دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان صردر

نظم الشاعر

الرئيس أبي منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل

الشهير بصرّ درّ

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان صريع الدلال

نظم الشاعر

الرئيس أبي منصور عليّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل

الشهير بصرّ در

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

فهرس

قوافى ديوان صَرَّ دُرّ

قصائد هذا الديوان غير مرتّبة فى الأصل على الحروف الهجائيّة، فطبعناها كما هى، ووضعنا لها هذا الفهرسَ على الترتيب الهجائىّ لسهولة المراجعةِ فى هذه الطبعة، والحروفُ الهجائيّةُ التى لم تُذكَر هنا لا يوجدُ منها شىءٌ للشاعر فى هذا الديوان.

قافية الهمزة ١١٨ — ١٢٢، ١٣٥ — ١٤٠

« الباء ٤٢ — ٤٣، ٦٣ — ٦٦، ٩٣ — ٩٩، ١٢٨ — ١٣١، ٢٠٠ — ٢٠١، ٢١١، ٢١٦ — ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٢

« التاء ١٩٢

« الثاء ٢١٢

« الجيم ٢١٩ — ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣١

« الحاء ٢٢٤، ٢٣٠

« الدال ٣٨ — ٤٢، ١٠٥ — ١١٠، ١٣١ — ١٣٤، ١٥٨ — ١٦١، ١٨٩، ١٩١، ٢١٠ — ٢١١، ٢١٣ — ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٠

« الراء ٢٧ — ٣٠، ٤٨ — ٥٢، ٥٦ — ٦٢، ٧٦ — ٨٨، ١٠٣ — ١٠٤، ١٥٣، ١٧٦ — ١٨١، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦ — ٢٠٠، ٢٠٣ — ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٢ — ٢٢٣

قافيـــة الزاى ١٥٣
« السين ١ — ٦، ٩٢ — ٩٣، ٢٢٦، ٢٣٠
« الصاد ٧٤ — ٧٦،
« الضاد ٤٤ — ٤٧، ٢٢٥
« الطاء ٢٢٨ — ٢٢٩
« العين ٦٦ — ٧٤، ١٦٢ — ١٦٦، ١٨١ — ١٨٣، ١٩٥، ٢٢٣
« الفـاء ١٩٤ — ١٩٥، ٢٠٥ — ٢٠٦
« القاف ١٠٢ — ١٠٣، ١١٠ — ١١٤، ١٢٣ — ١٢٨، ١٤٨ — ١٥٢، ١٥٣، ١٩١، ٢١٨، ٢٣١
« الكاف ٢٣١
« اللام ٢٢ — ٢٦، ٣٠ — ٣٤، ٩٩ — ١٠٢، ١٤٥ — ١٤٨، ١٥٢، ١٥٤ — ١٥٨، ١٦١ — ١٦٢، ١٦٧ — ١٧٦، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٢ — ٢٠٣، ٢٠٩ — ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧ — ٢١٨، ٢٢٠ — ٢٢٢، ٢٢٩
« الميم ٣٤ — ٣٨، ٨٨ — ٩٠، ١١٤ — ١١٨، ١٨٤ — ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٦ — ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٤ — ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢
« النون ٧ — ٢٢، ٥٣ — ٥٦، ٩٠ — ٩١، ١٤٠ — ١٤٤، ١٩٠، ١٩٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٦
« الهـاء ٢١٦، ٢٢٦ — ٢٢٧

ديوان صَرَّ دُرّ

أخرجتْ دارُ الكتب المصريّة هذا الديوانَ النفيسَ للشاعر المشهور، والكاتب المعروف "بصَرَّ دُرّ" فى عصرِ حضرة صاحبِ الجلالة مليك مصر المعظَّم

"فؤاد الأوّل"

حفِظه الله وأقرَّ عينَىْ جلالتهِ بولىِّ عهده المحبوب

"أمير الصعيد"

صَـــرَّ دُرّ

طالعنا طائفـةً كثيرةً من الكتب الأدبيّة والتاريخيّة لنقف منها على ما تحدّثنا به عن حياةِ هذا الشاعر، وإنا لنذكرُ من هذه الكتب "مرآة الزمان" و"النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة" و"شذرات الذهب" وتاريخ ابن كثير المسمّى "البداية والنهاية"، وكتاب "وفيات الأعيان" و"المنتظم، فى تاريخ الملوك والأمم" و" الكامل " لابن الأثير . وقد ورد اسم هـذا الشاعر فى بعض هـذه الكتب مضبوطا بالقلم بفتح " الصاد " وورد فى تاريخ " الكامل" و" المنتظم" مضبوطا بضمّها . ويظهـر أنّ المرحوم البارودى كان من المرجّحين ضـبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك فى غير موضـع من مختاراته . ونحن ليس لدينا ما نستيقن به وجه الصواب فى ضـبطه . بَيْدَ أنّ البيتين اللذين قالهما " الشريف أبو جعفر المعروف بالبياضىّ " وهو أحد الشعراء المعاصرين لصاحب الترجمة يهجوه بهما يرجّحان فتح " الصاد " ، وهما :

لئن لقّب الناسُ قِدْما أباكَ ... وسمّوْهُ من شُحّه "صَرَّ بَعْرا"

فإنكَ تنـثُرُ ما "صَـــرُّه" ... عُقوقا له وتُسمّيه شِـــعرا

* * *

وأمّا سيرة حياته فقد اتفقتْ هـذه الكتب على ترجمةٍ كادت تكون متشابهةً فى جُمَلها وألفاظِها، ونحن ننقُلُها هنا عن كتاب "وفيات الأعيان" قال :

"هو الرئيس أبو منصـور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب المعروف والشاعر المشهور "بصرّ دُرّ"، أحد نجباء عصره، جمع بين جَودةِ السبكِ وحُسن المعنَى،

وعلى شـعره طُلاوةٌ رائقة، وبهجةٌ فائقـة ، وله ديوانُ شعرٍ صغير، وإنما قيل له "صرَّ دُرّ" لأن أباه كان يُلقَّبُ "صرَّ بَعْر" لشُحِّه، فلمّـا نبغ ولدُه المذكور، وأجاد فى الشعر، قيل له : "صرُّدُرّ"[1].

وكانت وفاتُه سـنة خمس وستين وأربعمائة هجرية ؛ وكان سببُ موته : أنه تردَّى فى حُفرةٍ حُفرتْ لأسـد فى قريةٍ بطريقِ خراسان ، وكانت ولادته قبل الأربعمائة" . اهـ .

* * *

وقد نُقلت هذه الطبعة عن نسخةٍ خطيّة كتبها لنفسه بقلمه المرحوم محمود سامى البارودى باشا، وهى محفوظةٌ بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٥٠٨ أدب . واحتفاظا بخطه رحمه الله نقلنا له بالتصوير الشمسىّ نبذة بخط يده لتكون خير أثرٍ له على ممـرّ الأيام، وهى النبذة المذكورة فى صفحة ٢٣٤

وقـد شرحنا ما غمض من الكلمات شرحا وافيا يقرّب معانىَ الأبيات الى الأذهان . ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نُهدىَ آىَ الشكر الى حضرتَى صاحب العزّة المربّى الكبير محمّد أسعد برّاده بك مدير الدار، وصاحب الفضيلة السيّد محمد البيلاوى نقيب الأشراف ومراقب إحيـاء الآداب العربيّة، لمـا قاما به نحونا من إرشاد، وما شملانا به من رأيٍ تحيط به الأصالةُ والسـداد . ونشير كذلك الى المعاونة التى لقيناها من حضرة الأسـتاذ أحمد زكى العـدوى رئيس القسم الأدبىّ بدار الكتب المصريّة ومن حضرات العلماء والأدباء المصححين به ، فلهم منا جميعا أجزل الثناء وأجمل الإطراء ؛

أحمد نسيم
بدار الكتب المصرية

---

(١) أول من لقبه بهذا اللقب نظام الملك ، كما فى الكامل لابن الأثير .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرئيسُ [أبو علىّ][1] أبو منصور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب رحمه اللهُ يمدحُ الإمامَ القائمَ بأمرِ الله[2] — قدَّس اللهُ ضريحَه — :

كما قلتُما : بُرءُ الصبابةِ فى اليأسِ ... وليس لها غيرَ التجلُّدِ من آسِ[3]

فما فى الهوى مَرعًى يطيبُ لذائق ... ولا موردٌ عذبٌ يَلَذّ به حاسِ[4]

سؤالُ مغانٍ[5]، ربعُها أخرسُ الصَّدَى[6]، ... وشكوَى إلى مَن قلبُه ليِّنٌ قاسِ

أيبيضُّ فَرعى والجوى فى جوانحى[7] ... كأنّ الهدى ياقلب مسكنُه راسِ

وما هذه اللّمّاتُ[8] إلا صحائفٌ ... محاها بياضُ الشّيب عن لونِ قِرطاسِ[9]

كأنّ الرُّقَى مما عدِمت شفاءَها ... تعلَّمها الرافون من بعد وَسواسِ

مَددتُ يدًا نحو الطبيب فردَّها ... إلى النّحر وآستغنى بإخبار أنفاسى

وما زال هذا البرقُ حتّى آستفزّنى ... سَنَا[10] كلِّ وقّاد ولو ضوءُ نِبراسِ[11]

وليلٍ وِصالٍ أسرعَتْ خُطواتُه ... بهجعةِ سُمّارٍ وغفلةِ أحراسِ

---

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فى المظان ما يؤيد ثبوتها .
(٢) القائم بأمر الله : اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله ، ولد سنة ٣٩١ هجرية وتولى الخلافة سنة ٤٢٣ هـ ومات سنة ٤٦٧ هـ ؛ ومكث فى الحكم ٤٤ سنة .
(٣) الآسى : الطبيب .
(٤) الحاسى : الشارب .
(٥) مغان : جمع مغنى وهو المنزل .
(٦) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت يمثل صوته .
(٧) الفرع : الشعر .
(٨) اللمات : جمع لمة — بكسر اللام — وهى الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٩) القرطاس : الصحيفة .
(١٠) السنا : الضوء .
(١١) النبراس : المصباح .

فما قُصَّ للنَّسرين (١) فيه قوادمٌ (٢) ولا رُبِطتْ ساقُ "الثريا" (٣) بأمراس (٤)

ضحوك ثنيّاتِ الصّباح تخالُه ضياءَ إمامِ الحقّ من آلِ "عبّاس"

هو الوارثُ النُّورَ الذى كان آيةً لآبائه الماضين من عهد "إلياس"

فلو لم يكن للناس فى الليل راحةٌ لضوءٍ (٥) من لألائه كلَّ ديماس (٦)

كأن "رسولَ الله" ألقَى رداءَه من "القائم" الهادِى على جبل راس

ضميرٌ جلاه صَيقلُ الحلم والتُّقَى (٧) وكفٌّ حباها الله بالجودِ والباس

ومحتجب بالعزّ لولا مكانه لرُجَّت نواحى هذه الأرض بالناس

زمانُ الورى فى ظلّه وجنابه كأيّام تشريق (٨) وليلاتِ أعراس

رعاهم بروض الأمن غِبَّ مخافةٍ وألبسهم ثوبَ الغنى بعد إفلاس

وراضَ الجموحَ (٩) للذَّلولِ (١٠) برفقه فما بينهم إلا موازينُ قسطاس (١١)

حِماهُ هو البيتُ العتيقُ، ظباؤه حرامٌ على عَبل (١٢) الذراعَيْن فرّاس

---

(١) النسران : نجمان يقال لأحدهما : النسر الطائر، وللآخر : النسر الواقع .

(٢) القوادم : عشر ريشات فى مقدّم الجناح ، وهى كبار الريش ، والخوافى صغاره وهى تحت القوادم ، واحدها : قادمة . (٣) الثريا : سبعة كواكب، سميت بذلك لكثرة كواكبها .

(٤) أمراس : جمع مرس وهو الحبل . (٥) ضوأ : أنار . (٦) الديماس : المكان العميق الذى لا ينفذ إليه الضوء ، وسمى سجن "الحجاج" بالديماس لظلمته .

(٧) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها . (٨) أيام التشريق : هى ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، لأن لحم الأضاحى يشرق فيها .

(٩) الجموح : الذى لا يثنيه شىء . (١٠) الذلول : المنقاد . (١١) القسطاس : العدل .

(١٢) العبل : الضخم — والمراد به الأسد — .

فلو كان فيـه ناقـةَ اللهِ عاقرا (١) أخو "وائلٍ" "ماذاق طعنة "جَسَّاسِ"

وما ضرَّ من كان الإمامُ سحابَهُ (٢) تقاعُـــدُ لَمَّاعِ البـوارق رجَّاسِ

لسيَّارةِ المعـروف فى صُلبِ مالِهِ (٣) غنـائمُ لم تُقسم عليهـا بأخمـاسِ

له من صوابِ الظنِّ بالغيب مخبرٌ ولا خيرَ فى رأى امرئٍ غيرِ حسَّاسِ

وليس لأحقادٍ ذُكرنَ بذاكرٍ (٤) (٥) ولا لحقوق الله يُنسَيْنَ بالنَّاسى

ولولاه كانَ الدِّينِ فقعـا بقَـرقرٍ (٦) (٧) يُداسُ بأظلافٍ ويُفرَى بأضراسِ

سقاه ميـاه العـــز فاخضرَّ مُورِقًا (٨) وأينعتِ الأفنـانُ فى عُودِهِ العاسى

فلا تنشُروا للبـاطلِ اليـــومَ رايَةً (٩) (١٠) وهل يُنشَر المدفونُ فى قعرِ أرماسِ

---

(١) هو كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه : أعز من كليب وائل ؛ والشاعر يشير إلى قصته وهو بإيجاز : كانت البسوس خالة جساس بن مرة نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس وكان لها ناقة تسمى "سراب" فرت إبل لكليب بسراب هـذه وهى معقولة فى فناء بيتها بجوار جساس بن مرة ، فلما رأت "سراب" الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الإبل واختلطت بها حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معـه قوس وكنانة ، فلما رآها أنكرها ورماها بسهم فخرم ضرعها ففرت الناقة وهى ترغو ، فلما رأتها البسوس ألقت خمارها من على رأسها وصاحت : واذلاه وجاراه ، وأحست جساسا فركب فرسه حتى دخل على كليب فطعنه جساس فقصم صلبه ، فقامت الحرب بسبب ذلك وهى الحرب المشهورة بحرب البسوس ؛ والعرب تقول فى ذلك : أشأم من سراب ؛ وأشأم من البسوس . ويقال : إنها دامت بين بنى بكر وتغلب أربعين سنة وانتهت بقتل جساس . (٢) الرجاس : السحاب الشديد الصوت .

(٣) الأخماس : جمع خمس وهو نصيب يؤخذ فى الغنائم ، يقال : ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام أى أخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية وخمسها فى الإسلام . (٤) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ؛ يقال للذليـل : هو أذل من فقع بقرقر . (٥) القـرقر : الأرض المطمئنة اللينة .

(٦) أظلاف : جمع ظلف وهو خف البعير ، أو حافر الفرس . (٧) يفرى : يشق ويقطع .

(٨) الأفنـان : الأغصان واحدها فنن . (٩) العـاسى : الذى غلظ وصلب من النبات .

(١٠) أرماس : جمع رمس وهو القبر .

يؤيده الرحمن فى كلّ موقف (١) بنصر يعود الليثُ وهـو به خاسِ

جيوشٌ من الأقـدارِ تُفْنِى عُداته (٢) بلا ضربِ إيناخ ولا طعنِ أشناسِ

وكم شهـدَتْ يوما أغرَّ محجَّلا (٣) تُخلِّده الأقـلامُ ذِكرا بأطراسِ

يُشاكِلُ "بدرا" (٤) والملائكُ حُضَّرٌ وَيذكُرُ جندا أُنزِلتْ يومَ "أَوْطاسِ"

وقـد علِم المصرىُّ (٥) أنّ جنودَه سِنُو "يوسف" منها وطاعونُ "عَمْواسِ"

أحاطتْ به حتّى آستراب بنفسِه وأوجس فيهـا خِيفـةً أىَّ إيجاسِ

قصورٌ على "الفسطاط" (٦) أضحتْ كأنها (٧) (٨) قفـارُ ربوعٍ "بالسَّماوة" أدراسِ

سهامُ "أميرِ المؤمنين" مَكايدٌ ورُبَّ سهامٍ طرن عن غير أقواسِ

هو المصطَفِى التقوَى متاعًا لنفسه بجـوهرِها حالٍ بسُندُسها كاسِ

إذا وطِئت شُوسُ الملوك بساطَه (٩) (١٠) تضاءل منهـا كلُّ أغلبَ هِرماسِ

تَخِـرُّ بِهِ ثُمَّ الجماجم سُجَّـدا (١١) ويخشَعُ فيـه كلُّ ذى خُلُق جاسِ

(١) الخاسى : الصاغر الذليل . (٢) الناخ وأشناس : كذا بالأصـل ولعل الأولى "أنباج" جمع نبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر ؛ والثانيـة لم نوفق الى مراد الشاعر بهما .
(٣) أطراس : جمـع طرس وهو الصحيفة . (٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينـة وبهـذا المـاء كانت الوقعـة التى أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل . وأوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبى صلى الله عليه وسلم . (٥) يشير الشاعر الى الغلاء الذى حصـل فى مصر أيام المستنصر العباسى . وعمواس : كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقـدس ، وفيها كان ابتداء الطاعون فى أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم فشا فى أرض الشام فأهلك خلقا كثيرا وذلك فى سنة ١٨ من الهجرة . (٦) الفسطاط : مصر القديمة . (٧) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . (٨) أدراس : بالية . (٩) الأغلب : الأسد الغليظ الرقبة .
(١٠) الهرماس : الأسد الشديد . (١١) الجاسى : الجافى .

يُحيُّون من جسم النبوّةِ بَضعةً (١) هى القلبُ فى الحيزوم والعينُ فى الراسِ

ويَغشَون قَرْما من "لؤىّ بن غالبٍ" (٢) يعـدِّد فى أنسابه كلَّ قِنعاسِ

من الخلفاءِ الرافعين بِناءهم بأطـولِ أعمادٍ وأثبتِ آساسِ

رعَتْ ذمَمَ الإسلام منهـم كوالئٌ (٣) وسيست أمورُ الملكِ منهم بسُوَّاسِ

نجومٌ إذا السارون ضلُّوا هدتهُمُ هـدايةَ نِيران رُفعن بقُرناسِ (٤)

قِداحُهُـمُ يومَ الفخار فـوائزٌ وأسهمُهم إن نازلوا غـيرُ أنكاسِ (٥)

همُ ملئوا الدنيا بطيبِ حديثهـم كما ملأ الأسماعَ قعقاعُ أجراسِ (٦)

كرهبانِ ليلٍ لا تلائمُ مضجَعا وأُسْدِ صباحٍ ما تَقِـرُّ بأخياسِ (٧)

وما منهـمُ من ملَّك البِيضَ قلبَـه (٨) ولا طمِعتْ فى لُبِّهِ وثبـةُ الكاسِ

عَـادُهم فى حَجِّهـم وجِهـادهم جراجرُ أجمـالٍ وتَصهـالُ أفـراسِ (٩)

أولئـك آباء الإمامِ ورهطُـهُ أصـولُ كرامٍ زَيَّنتْ خيرَ أغراسِ

عَمِرتَ "أميرَ المؤمنين" بنعمةٍ وعيشٍ صفيقِ الظلِّ أخضرَ ميَّاسِ (١٠)

ولا زالت العلياءُ عنـدك وفدُها يروح بأنواعٍ ويغـدو بأجناسِ

---

(١) الحيزوم : الصدر. (٢) القنعاس : الرجل الشديد المنيع. (٣) الكوالئ : الحفاظ

(٤) القرناس — بكسر القاف وضمها — : شبه الأنف يتقدم من الجبل. (٥) الأنكاس : السهام الضعيفة التى ينكسر فوقها ، واحدها : نكس — بكسر النون — (٦) فى الأصل هكذا "تنقاع"

(٧) الأخياس : بيوت الآساد ، واحدها خيس. (٨) البيض : الجوارى الحسان

(٩) الجرجرة : ترديد صوت البعير فى حنجرته ، والتصهال : الصهيل وهو صوت الفرس.

(١٠) الصفيق : الثخين المنسوج نسجا متينا ؛ وهو مجاز.

أبحتَ حِمَى الإحسانِ حتّى أصابه معاشرُ من نَيـل المنى غيرُ أكياسِ

وما نعـــمةٌ إلا أفضتَ لباسَهـا على من عهدناه لها غيرَ لبّاسِ

مواهبُ فيهـا لابنِ حِصنٍ وحابسٍ نصيبٌ، فهـلّا مثلُه لابن مِرداسِ؟ (١)

فعـالى وبحرُ الفضل عنـدك زاخرٌ يطاوَل فى دار المُقـامة أحلاسى!!

إذا رُفعت نارُ القِرَى لك أُوقدتْ مَصابيحُ لم يُستدنَ فيهنّ مِقبـاسى

أعوذُ بواديك المقـدّسِ أن أُرى فريسةَ قنّاصٍ من الدهر نهّـاسِ (٢)

بلا رِقبـــةٍ جَـورُ الزمان وعدلُهُ وتحريمُـــه جارٍ على غير مقياسِ

فإن تصطنـعْ نُعمى فأنتَ وليُّهـا وهيهات تُقضَى من رجائك أحلاسى (٣)

تنال بأدنى القولِ منك مدَى العلا ولا عجبٌ أن يُحضر الدُّرُّ بالمـاسِ

وإن كان ندىُ الجود عندك حافلا (٤) فقـــد يُترَى دَرُّ اللَّبون بإبساسِ (٥) (٦) (٧)

تعامت لنـا الأيامُ عنك وأبلستْ (٨) نوائبُهـا عن قصـدها أىَّ إبلاسِ

فليست صروفُ الدهر ـ مادمت سالما مُعاشرَ أهليهـا ـ بخـوفٍ ولا باسِ

---

(١) أحلاس : جمع حلس وهو كل شيء على ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج، وفى الأصل : * ومالى وبحر الفضل عنـدى * الخ

وحلاسى بدل أحلاسى ولعل ما رجحناه أقرب الى الصواب . (٢) النهاس — بالمهملة — : النهاش — بالمعجمة — (٣) أحلاس : جمع حلس وهو الرابع من سهام الميسر وله غنم أربعة أنصباء ؛ والحلس أيضا العهد والميثاق . (٤) حافلا : ممتلئا . (٥) يترى : يحلب . (٦) اللبون : كثيرة اللبن . (٧) الإبساس : دعاء الناقة للحلب .

(٨) أبلس : تحير ولم يهتد .

* * *

وقال يمدح رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة (١) :

لو كنتُ أُشفقُ من خضيبِ بنانِ ... ما زرتُ حيَّـكُمُ بغـير أمانِ

يا صـبوةً دبَّت إليَّ خديعـةً ... كالخمـر تسرِقُ يقظـةَ النشوانِ

أُنظرْ فما غضُّ الجفـون بنـافع ... قلبا يَـرى ما لا تَـرى العينانِ

ولقـد محا الشَّيبُ الشبابَ وما محا ... عهـدَ الهوى معـه ولا أَنسانى

فعلمتُ أن الحبَّ فيـه غَـوايةٌ ... مغتـالةٌ للشّيبِ والشُّبّانِ

ما فـوق أعجـازِ الركابِ رسالةٌ ... تُلهى، ففـيمَ تَحيّـةُ الرُّكبانِ ؟!

عذرا، فلو علمـوا جواك لساءلوا ... غِزلانَ "وَجرةَ" (٢) عن غصون البانِ

قُولا لكُثبان "العقيقِ" (٣) : تطاولِى ... دون "الحِمَى" أقـدُرْك بالطَّمَحان

ولَيَنسِفَنَّ الرمـلَ زَفـرةُ مدنفٍ ... إن لم يُعنْـهُ الدمـع بالهمـلانِ

عجـل الفريقُ وكلُّ طَرفٍ إثرَهم ... متعـثِّر اللحظـاتِ بالأظعانِ (٤)

وكأنما رُدْنايَ (٥) يـومَ لقيتُهـا ... بالدمع قد نُسِجا من الأجفانِ

كلِّفْ تجـلّدِىَ الذى يسـطيعُهُ ... هـل فىَّ إلّا قـدرةُ الإنسـانِ

---

(١) هو على بن الحسين كان فى بيت رياسة ومكانة استكتبه القائم بأمر الله العباسى ثم استوزره ولقبه "رئيس الرؤساء" . ولد فى شعبان سـنة ٣٩٩ هجرية وقتل سنة ٤٥٠ ، وله تاريخ طويل يرجع اليه فى مظانه . (٢) وجرة : موضع بين مكة والبصرة مكتنف بالوحش . (٣) الكثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل ، والعقيق : ناحية بالمدينة . (٤) الأظعان : الإبل تحمل النساء أو هى الهوادج يجلس فيها . (٥) الردن : الكم .

ولئن فررتُ من الهـوى بحُشاشتي ... فالحبُّ شـرُّ متالف الحيـوانِ

يدري الذي نضح الفـؤاد بنَبْله ... أن قد رمى كَشحِهِ[1] حينَ رماني

لو لم تكن عيـني على أطـلالهم ... عُقِرتْ لما سَفَحتْ بأحمرَ قاني

متأوّلين على الجفـون تجنّيا ... فالدمع يُمطـرُهم بـذي ألوانِ

ولو أنّـه ماءٌ، لقالوا : دمعُـهُ ... رِيقٌ، وجفنَا عينِـه شَـفَتانِ

ظمئي إلى ماء "النُّقَيْبِ"[2] لأنّـه ... وِرْدُ اللَّمَى[3] ومناهـلُ الأغصانِ

ولَنِعمَ هينمـة النسيم محـدّثا ... عن طِيبِ ذاك الجيبِ والأردانِ[4]

إن لم يكن سهلُ "اللوى"[5] وحزونُهُ ... وطـني فإنّ أنيسَـه خُـلّاني

ولو أنّهم حلّوا "زرودَ"[6] منحتُـهُ ... كَلَفي وقلتُ : الدارُ بالجـيرانِ

عُلَقٌ تَلاعبُ بي ورُبَّ لُبانـةٍ ... "شاميّةٍ" شغَفتْ فؤادَ "يمـاني"

هل تُبلِغنّي دارَهُـمْ مزمومـةٌ ... بالشـوقِ موقَرةٌ[7] من الأشجانِ؟

فعسى أميلُ إلى القِبـابِ مناجيا ... بضمائـرٍ ثقُلتْ عـلى الكتمانِ

وأطـاردُ المُقـلَ اللـواتي فتكُها ... يُمـلي عـليَّ مَقاتل الفُـرسانِ

متجاذبين من الحـديث طرائفـا ... يُصـغي لطيبِ سماعِها النِّضـوانِ[8]

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الأضلاع . (٢) النقيب : موضع بين تبوك ومعان . على طريق حاج الشام . (٣) اللمى : سمرة في باطن الشفة . (٤) الأردان : جمع ردن وهو الكم . (٥) اللوى : واد من الأودية وهو بعينه . (٦) زرود : اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة . (٧) موقرة : مثقلة . (٨) النضو : المعيي المهزول من الإبل .

كرِّرْ لحاظكَ فى الحُدوجِ[1] فبعدها ... هيهات أن يتجاور الحيّانِ

من بعـــد ما أرغمتُ أنفَ رقيبهم ... حَنَقا وخُضتُ حميّـــة الغَـــيْرانِ

وطرقتُ أرضَهُمُ ، وتحتَ سمـائها ... — عدَدَ النجومِ — أسنةُ الخُرصانِ[2]

أرضٌ جَداولُها السيوف وعُشبُها ... نَبْـعٌ[3] وما ركزوا من المُـرّانِ[4]

فى معشرٍ عِشـقوا الذُّحولَ[5] وآثروا ... شُـــربَ الدماءِ بهـا على الألبانِ

قومٌ إذا حيَّا الضـيوفُ جِفـانَهم ... ردَّتْ عليهـــمْ ألسنُ النـــيرانِ

وإذَا شَـواةُ[6] الرأس صـوَّحَ نبتُهـا ... فعـلى قضاءِ مآربٍ من شانِ

ولتَعلَمنَّ البيـــدُ أنَّ جِباهَهـا ... موســـومةٌ بالنَّصِّ[7] والوخَـدانِ

يُزجَرْنَ أمثالَ القِـداحِ ضَوامرا ... ويُرَحْنَ أمثـالَ القِسىِّ حـــوانى

أو ينتهينَ إلى جنابٍ ترتـــعى ... فيـــه الوفودُ منـابتَ الإحسانِ

ربُّ المآثرِ والمحـامـــدِ ربُّـــه ... وولىُّ بِـكرِ صـــنيعةٍ وعَـــوانِ[8]

تلقَى الجبـابرةُ المصـاعبُ وجهَـهُ ... بجمـاجمٍ تحنـــو عـــلى الأذقانِ

متهافتـــين على الصَّعيد كأنّهـــم ... شِربـــوا بهيبتِـــهِ سُـلافَ دِنانِ

وطِئُـوا سَنابكَ خيـــله بشفاههم ... قُبَـــلا وجلَّتْ عنهـم القَـــدمانِ

---

(١) الحدوج : مراكب النساء وهى الهوادج أو المحفات . (٢) الخرصان : الرماح ، واحدها خرص — بتثليث الخاء — . (٣) النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . (٤) المران : الرماح . (٥) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٦) الشواة : جلد الرأس . (٧) النص والوخدان : ضربان من السير . (٨) العوان : الثيب .

حتى إذا صدّعوا السُّرادقَ أطرقت ... تلك اللواحـــظُ عن أغرَّ هِجـانِ (١)

قـد أيقنتْ قِمَـمُ (٢) المـلوك بأنه ... إن شـاء طلّقهـا من التيجانِ

خَطْـرًا أبا قَرْعَى (٣) الفِصال مُقاربا ... إن القُـــروم (٤) أحقُّ بالخَطَـــرانِ

فذروا "الحمى" يرعَى بـه متخمِّطٌ (٥) ... تُخشَى بودارهُ عـلى الأقـرانِ

ما بين ساعده الهصـورِ (٦) محرَّمٌ ... فتعرَّضـوا لفريسـةِ السِّرحانِ (٧)

لا مَطعَـمٌ لبُغـاثِـكم فى مأزِقٍ (٨) ... حامت عليـه كواسـرُ العِقبانِ (٩)

للمجلس الشـرقىّ أبعـدُ غايـة ... فى يوم مَلحَمـةٍ ويـومِ رِهانِ

فركابُه ما تَنـثنى بأزِمَّـةٍ ... وجيـادُه ما ترعـوِى بِعنـانِ

هِمَمٌ كما سرت البروقُ خواطفـا ... فى حاصبٍ (١٠) أو عـارضٍ (١١) هتّـانِ

وعزائمٌ رُبِيَتْ وأطـرافَ القنا ... وظُبا السـيوفِ وارضِعت بلبـانِ

إن الورى لمـا دعـوْه "جَمالَهم" ... حلُّوا من العلياءِ خـيرَ مكانِ

وأتتْ به "عدنانُ" فى أحسابهـا ... حتى أقـرّ لهـا بنـو "قَحطانِ"

مجـدٌ أطـلَّ على الزمان وأهـلِهِ ... متقيِّـلٌ فى ظـلِّه الثَّقَلانِ

---

(١) الهجان: الكريم. (٢) القمم: الرءوس. (٣) فرعى: جمع قريع والقرعى من الفصال: التى أصابها قرع وفى المثل: "إستنت الفصال حتى القرعى" يضرب للضعيف الذى يتشبه بالأقوياء.
(٤) القرم: الفحل العظيم. (٥) المتخمط: الفحل الهادر. (٦) الهصور: الكاسر.
(٧) السرحان: الذئب. (٨) المأزق: المضيق. (٩) العقبان: جمع عقاب وهى طائر من الجوارح، وهى حادة البصر ولهذا قالت العرب: «أبصر من عقاب». (١٠) الحاصب: الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء. (١١) العارض: السحاب المعترض فى الأفق.

ومفاخـــرٌ مشهودةٌ يَقضِى لهـا ... يومَ التفار سـواجعُ الكُهّانِ

من ذا يحـاذبه الفخارَ وقـد لوى ... أطنـابَه فى "يَذبُلٍ" "وأبانِ"(١)

طَلّاب ثأرِ المجـد وهـو مدفَّعٌ ... بين اللئـام مسَـفَّه الأعوانِ

لم يرضَ ما سنّ الكرامُ أمامَـه ... حـتى أتى بغـرائبٍ ومَعـانِ

نسخت فضـائلُه خِلالَهـم التى ... نجحـوا بهـا فى سالف الأزمانِ

فهى المنـاقبُ، لو تقـدّم ذكرُها ... تُليتْ مَثانِيهن فى القـرآنِ

يعطيـك ما حَرَم الجـوادُ، ودِينُه ... أن الـثراءَ وعُدْمَهُ سِـيّانِ

وإذا رجالٌ حصّـنوا أموالَهم ... جعَـل المواهبَ أوثقَ الخُـزّانِ

كم أزمـةٍ ضحِكت بهـا أنواءُهُ ... والغيثُ لا يـلوِى على ظمـآنِ

من راحيته نوافـلٌ(٢) ومنـائحٌ ... ومن القـلوب مطامـعٌ وأمانى

فحـذارِ أن يطغَى السؤالُ بطالبٍ ... رفـدًا فيركـبَ غاربَ الطُّوفانِ

وأصَبْتُ، قد يَحكى السحابُ نوالَه ... لكنّ ذا ناءٍ وهـذا دانِ

وقرنتُـه بالبحـر يقـذِفُ باللُّهَى(٣) ... ونسيتُ ما فيه من الحَـدَثَانِ

وذكرتُ ما فى الليث من سَـطَواتِهِ ... ولربّمـا وَلّى عن الأقـرانِ

لا تعـدَم الأزمانُ رأيَـك إنه ... فى ليلهـا ونهـارها القمـرانِ

---

(١) يذبل وأبان : جبلان . (٢) النوافل : جمع نافلة وهى العطية . (٣) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا .

رأىُ سوّى اللهُ الخـــلافةَ صـــوبَهُ ... ورمى بصاعقـــهِ ذوى الشَّـــنآنِ (١)

نُجْحا بنى "العبّاس" إن قنـاتكم ... هُزَّتْ بأحـــذقِ ساعدٍ بطعـانِ

جَـدٌّ أمـــدّ عديدكم من غِيـــله ... (٢) بأشـدَّ من أسَـد العرين الجـانى

يحمى ذمارَكُمُ بغـــير مســاعدٍ ... ويحـــوط سَرحكُمُ بلا أعـــوانِ

وثباتُه العـــزم الذليق إذا ســـطا ... (٣) وزئيره حُـــكْمٌ وفصـــلُ بيـانِ

مســـتلئمٌ بجَنـانه وبنـانِهِ ... (٤) ولســـانه ، مِضـــرابةٍ مِطعـانِ

لمـا رأى — والحزمُ ينفعُ أهلَه — ... عَوْدَ الخـلافةِ ضـاربًا بجـــرانِ ، (٥)

والسيفَ لم يَرْكُضْ بكفَّىْ ضاربٍ ... والرمحَ لم يَطمحْ بعينِ سِـــنانِ ، :

داوَى عيَـاءَ الداءِ ساحرُ رفقِـــهِ ... (٦) والنَّقْبُ (٧) يَشـــفيهِ هِنَـاءُ الهـانى

حـــتى إذا برح الخفـاءُ وسفَّهتْ ... حِلمَ الحلـــيمِ حفيظةُ الغضـــبانِ ،

ورأى الهَـــوادَةَ (٨) مَرْوَةً (٩) مقـــروعةً ... والسِّـــلم مطعمةَ العـــدوّ الوانى ، :

نادَى فلبّـاه صهيلُ ســـوابقٍ ... (١٠) وأطيـــطُ كلِّ حنيَّـــةٍ (١١) مِرنانِ

وفوارسٌ يَصلَوْن نيرانَ الوغى ... مما تُثـــيرُ جيـادُهم بدخانِ

---

(١) الشنآن : العداوة والبغض . (٢) الغيل والعرين : مربض الأسد ، ومن معانى الأول : الشجر الكثير الملتف ، والأجمة . (٣) الذليق : الشديد ، وفى الأصل : "الذلوق" .
(٤) مستلئم : متدرع . (٥) العود : الجمل المسن ، والجران : عنق البعير من مذبحه إلى منحره .
(٦) النقب : الجرب . (٧) الهناء : القطران ، والهانئ : الطالى بالهناء . (٨) الهوادة : اللين والرفق . (٩) المرو : حجارة صلبة براقة ، واحدها : مروة . (١٠) الأطيط : الصوت . (١١) الحنية المرنان : القوس التى ترن عند خروج السهم منها .

جنَبوا إلى الأعـــداءِ كلَّ طِمِـرَّةٍ (١) بُنِيت مفـاصلُهـا على شَـيطانِ

مثـــل المَـراقبِ (٢) تحتهـم وهُمُ على صهواتهـا (٣) كالهَضْب من "ثَهلانِ" (٤)

طلعوا طلوع الشمسِ يغمُرُ ضوءُها هامَ الرُّبَى (٥) ومغابنَ (٦) الغيطانِ

وكأنمـا سجـــدتْ قِســـيُّهُمُ إلى لألاء وجهـك إذ أتتـك حـوانِى

من بعد ما ســدّوا الفضاءَ وحرَّموا نَفَـــلَ (٧) الربيـع به على الغِـــزلانِ

يتسابقون إلى المنـون فكلُّهم يغشَى الردَى ما عُـــدّ فى الولدانِ

وإذا هُمُ عِدموا مَقـاودَ خيلهـم (٨) فتلوا لهـــنَّ ذوائبَ القُـــرسانِ

فى كلِّ معـتركٍ تُجيـلُ كما تُهـــم (٩) قِدْحا (١٠) يفـوز إذا ألتـقَى الجمعـانِ

فاسئلْ جبالَ "الروم" لمَّا طوَّقوا أعناقهَـا من جمعهـــم برِعانِ (١١)

ترعَى بهـا زُهرَ النجوم جيـادُهم ومن الســـحاب يَردنَ فى غُدرانِ

فكأنّهـــم يبغون فى فلَكِ الذُّرَى أن يأسروا "العَيُّوقَ" (١٢) "للدَّبَرانِ"

تركوا المعـارك كالمناحِرِ من "مِنًى" وجماجمَ الأعـــداء كالقُـــربانِ

---

(١) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٢) المراقب : جمع مرقب وهو الموضع المشرف .

(٣) الهضب : جمع هضبة وهى الجبل خلق من صخرة واحدة . (٤) ثهلان : اسم جبل .

(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس أو أعلى الشىء . (٦) المغابن : جمع مغبن وهو الأرض السهلة .

(٧) النفل : نبت أصفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل . (٨) الذوائب : شعور النواصى ، واحدها : ذؤابة . (٩) كماة : جمع كام وهو البطل . (١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) الرعان : الجبال الطوال ، واحدها رعن — بسكون العين — .

(١٢) العيوق : اسم نجم يتلو الثريا ، والدبران : منزل للقمر .

فكأنّما فـــرَشَ النجيعُ(١) تِلاعَهـا ... ووِهادَها(٢) "بشقائق النُّعـــمانِ"(٣)(٤)

فأتاك وفدُ بنى "الأُصيفِرِ"(٥) يرتمى ... بهـــمُ جَنـاحَا ذِلّةٍ وهـــوانِ

جنحوا به مستسلمين وطالمـا ... شَمَخـــوا بدينهـــمُ على الأديانِ

بذلوا الإتاوة عن يدٍ فكأنّهـم ... عقدوا بذاك الغُرمِ عَقْـدَ ضَمـانِ

فى كلّ يومٍ تستهلُّ كنوزَهم ... كرمًا بعَشـــرِ مِيءٍ من العِقيانِ

وبرزتَ فى حُلل الوقارِ بهيبـــة ... فقأتْ عيـــونَ الكفر بالإيمـانِ

وكفاك أن قُدتَ الضلالة بالهدى ... وجعلت دارَ الحـرب دارَ أمانِ

هذا "العراق" قد انجلت شُبُهاتُه ... وصَـــفا من الأقـــذاءِ والأدرانِ

إن مسّـــه نَصَبُ الورودِ فإنه ... ســـيُنيخ من نعـــمائك فى اعطانِ

نفّرت ذُؤبانَ(٦) "الغضا" عن شِريهِ ... فالأمنُ يَسرحُهُ بـــلا رُعيـانِ

ولّى "أرسلانُ"(٧) يُمسّح فى الحشا ... قلبـا يشـــير عليـــه بالطـــيرانِ

وهوت "بنو أَسَدٍ" تَشُلُّ لقاحَها ... فتسيل بين "الحَزْنِ" "فالصَّمّانِ"(٨)

وجرى الغرابُ مع البوارحِ صائحـا ... بالبين بين منازل "الجَـاوانِ"(٩)

---

(١) النجيع : الدم . (٢) التلاع : واحدها تلعة وهى ما علا من الأرض . (٣) الوهاد : ما انخفض من الأرض ؛ واحدها : وهدة . (٤) شقائق النعمان : نبات أحمر يشبه الدم به .

(٥) بنو الأصفر : الروم . (٦) ذؤبان : جمع ذئب وهو معروف . (٧) يشير الشاعر الى أرسلان التركى المعروف بالبساسيرىّ كان خصيصا عنـد القائم بأمر الله ، فتجبر وطغى بخفاه القائم بخطب ضـدّ القائم للمستنصر ، وقد قتـل شر قتلة . (٨) الحزن والصمان : موضعان .

(٩) الجـاوان : قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة المزيدية من العراق .

وطوتْ "عقيلٌ" عَرضَ كلِّ تنوفةٍ (١) بذميلِ ذِعلبـــةٍ (٢) وركضِ حِصـانِ

"بالشام" ألَّفَ خوفُ بأسك بينهم وقلوبُهـم شـــتّى من الأضـغانِ

هيهات لو ركِبوا "النعائمَ" (٣) فى الدجى وأردتَ لاقتنصاهُم (٤) النَّســـرانِ (٥)

وكذا عدوُّك إن نجـا جُثمانه (٦) فالقلبُ فى قِـــدِّ (٧) المخـافةِ عانِ

ما بين "مصرَ" وبين عزمِك موعدٌ متـــوقَّعٌ لوفائـــه الهـــرَمانِ

إن صانهـا بُعـــدُ المـدَى فلمثلها تقتادُ كـلّ نجيبـــةٍ مِـــذعانِ

ماءُ الجـــداول للأكُفِّ وإنمـا ماء القَليبِ (٨) يُنـال بالأشـــطانِ (٩)

من كان شرقُ الأرض طوعَ زمامِه لِمَ لا يصـــرِّف غَربَهـا بعِنـانِ

والجيشُ مَجْـــرٌ (١٠) والأوامرُ طاعـــةٌ والنصـر مرجـــوٌّ من الرحمنِ

* * *

وقال يمدحُه أيضا سنة ثمان وأربعين — أى بعد الأربعمائة — :

تَزاوَرنَ عن "أذْرِعات" (١١) يمينا نواشـــزَ (١٢) ليس يُطعنَ البُرِينا (١٣)

(١) الذميل : ضرب من السير . (٢) الذعلبة : الناقة السريعة . (٣) النعائم : منزلة من منازل القمر وهى ثمانية كواكب أربعة فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعـة خارجة وتسمى الصادرة ؛ وهى أيضا جمع نعامى وهى ريح الجنوب . (٤) اقتنصاهم بالألف الدالة على التثنية على لغـة من يلحقها الفعل المسند الى الفاعل الظاهر وهى لغة قليلة . (٥) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٦) القـد : القيد للأسير يقد من جلد . (٧) العـانى : الأسير . (٨) القليب : البـئر . (٩) الأشطان : الحبـال . (١٠) المجر : الكثير . (١١) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ؛ — تنسب اليه الخمر — . (١٢) نواشز : مستعصيات . (١٣) برين : جمع برة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يكون فيها زمامه .

كَلِفنَ "بنجدٍ" كأنَّ الرياضَ أخذنَ "لنجدٍ" عليهـا يمينا

وأقسمن يحملنَ إلا نحيـلا اليـه ويُبـلغنَ إلا حزينـا

ولما سمعن زفيرَ المشوق ونوحَ الحمام تركنَ الحنينا

إذا جئتما بانةَ "الواديين" (١) فأرخوا النسوع (٢) وحُلّوا الوضينا

فثَمَّ ملائقُ من أجلهنَّ مُلاءُ الضحى والدجى قد طُوينا

وقد أنبأتهم مياهُ الجفو ن أنّ بقلبك داءً دفينا

لعلَّ تمائمَ ذاك الغزال تُداوِى وَلوعا وتَشفِى جنونا

لقد شبَّ بينَ هذا الغرامُ وما بين قومِك حَربا زَبونا (٣)

تُراهم يظنّون لما أغرتُ بلحظى عليهنّ أن قد سُبينا

وماذا على مُسلِفٍ فى الظباءِ أُلطَّ (٤) به فتقاضَى الديونا؟!

تلوم على شغفى بالقدود فهْنَى وَرْقاءَ (٥) تهوَى الغصونا

سواءٌ نشيدى بهنّ النسيبَ وترجيعُها بينهنَّ الحُونا

ألا لُحِىَ الحسنُ من باخلٍ أبَى أن يصاحبَ إلا ضنينا

وإنّ وَلوعى بأهل "الحمى" يخيِّل لى كلَّ سِربٍ قَطينا (٦)

---

(١) نسوع : جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل من سير أو شعر يكون للهودج بمنزلة الحزام للسرج .

(٢) الوضين : بطان عريض منسوج فى الكثرة .

(٣) الزبون : التى يدفع بعضها بعضا

(٤) ألط به : موطل فى دينه .

(٥) الورقاء : الحمامة يضرب لونها الى خضرة .

(٦) القطين : القاطن .

أينشُـدُ رُعيانُهـم أن أضلّوا بعـيرا ولا أنشُـد الظاعينا؟!

وفي السَّربِ أحوى إذا ما استرابَ بقَنَّاصِـه أمَّ دارا شَـطونا (١)

ظلِلتُ أكُرّ عليـه الرَّقَى وتأبَى عريكتُه أن تلينا

يصون محاسـنَه بالصـدو دِ إذ ليس يلقَ عليهـا أمينا

ودون البراقع مكحـولةٌ تعـلِّم طبعَ السهـام القُيونا (٢)

وما كنتُ أعلم من قبلهـ نّ أن الأسـنّة تُسمَى عيونا

صـوارمُ تَنهَزُ فتقَ الجـراح وما خُلقتْ للضِّراب الجفونا

نوَدُّ النحورَ ونهـوَى الثغورَ ونعـلَم أنّا نحبُّ المنـونا

أقِلّني من الوُخّد (٣) الراسما تِ أكفِك من حيْهم أن يَبينا

ألسنَ اللواتى هزَزن الحدُو جَ هزًّا يُطاير عنهـا العُهونا (٤)

فكلُّ فنيقٍ ببطن "العقيق" (٥) من الضُّمْر (٦) قد أخدَجَتْه (٧) جنينا

عِدمتُ فتًى عند نقع الصري خ يُقعى (٨) عـلى أسْكَتَيه (٩) بطينا

يعـدُّ المفـاخرَ والمكرما تِ طرفا كحيلا ورأسا دهينا

---

(١) الأحوى : الذى فى شـفته حمرة . والشطون البعيدة . (٢) القيون : جمع قين وهو جلاء السيوف وصانعها ، ولعله يطلق على صانع السهام من باب التوسع . (٣) الوخد الراسمات : الإبل التى من دأبها الوخد والرسيم وهما ضربان من السير . (٤) العهون : جمع عهن وهو الصوف . (٥) الفنيق : الجمل الصعب المكرم . (٦) الضمر : الهزال . (٧) أخدجته : ولدته ناقصا لغير تمام . (٨) يقعى : يجلس على إليته و يرفع فخذيه . (٩) الأسكتان — وتكسر الهمزة — : جانبا الاست .

فهل لكَ فى بسط أيدى المطـ ـىِّ تَطوى المهامـهَ[1] بِينًا[2] فبِينا؟

إذا ما صُبغنَ بوَرسِ[3] الهجيـ ـر حمرا تجلَّينَ بالليل جُونا[4]

فشبَّهنَ لُجَّ السَّرابِ البحورَ وشبَّههنَّ السرابُ السفينا

وما تستطيلُ المـدى أينُقٌ بحمدِ "جَمال" الورى قد حُدينا

وجدنا لديه ربيعَ الثنا ء غضًّا وماءَ المعالى مَعينا

تبوَّأ فى المجـد بُحبوحـةً على مثلها يكمَد الحاسـدونا

ينـادى النـجاحُ بأبـوابه: ألا نِعْمَ ما قَـرَع الطـارقونا

وتحسبُ من بأسه والبهـا ءِ مجلسَـه فَلَكا أو عرينـا[5]

لكل مَـبزٍّ[6] به سجـدةٌ تسابق فيـه الشفاهُ الجبينـا

مقـامٌ تخاذَلُ من هوله خُطَى القوم حتى تراهم صُفُونا[7]

طغتْ يدُه وعلَتْ فى السما حِ حتّى ذممنا السحابَ الهتونا

إذا ما ٱدّعت صوبَهُ المعصرا تُ ردَّت عليهنّ غُبْرَ السنينـا

أيحكى بوارقُها والقِطـا رُ للعين عسجدَه[8] والرَّقينـا[9]!

وما النـارُ من ذَهب المجتدين وما المـاءُ من فِضَّـة الراغبينا!

---

(١) المهامه : جمع مهمه وهو المفازة . (٢) البين : القطعة من الأرض قدر مد البصر .
(٣) الورس : نبات يصبغ به . (٤) جونا : سودا . (٥) العرين : بيت الأسد .
(٦) المبز : اسم مكان من بز بمعنى غلب . (٧) صفون : جمع صافن ، وهو القائم .
(٨) العسجد : الذهب . (٩) الرقين : الفضة .

أفى دِية البخـــلِ لمَّـا أماتَ ... يؤدّى الألوفَ و يُعطى المئينا؟

بمـا شئتَ يسخو ولولا الحيا ... ءُ من مجـــده قدَّ المجـــدَ فينا

ويأبَى على ســـرَف الطـالبيـ ... ـنَ ألّا يُصدِّق فيـــه الظنونا

ومن يستدلُّ على المكرمات ... يُمِـــرّ(١) من الشـكر حبلا متينا

وما زال يَكذِبُ وعـــدُ المنى ... إلى أن أقامت يداه ضمينا

وقد غَمزت عُودَه النـائباتُ ... فـلم تجد الضارعَ المستكينا

وإن زعزعتْه فإن القنا ... ةَ للطعن زعزعها الطاعنونا

سرى عزمه والكرى خمـرة ... يُدير زجاجتَها الهـاجعونا

فبـات عـلى صهواتِ الخطو ... ب أقنَى(٢) يقلِّب طَرْفا شَـفونا(٣)

إذا ما ارتقى ظنُّـــه مرباً ... من الغيب أوحَى إليـه اليقينا

وأفوهَ طارده بالجـــدال ... نخرّ بغـــير العوالى طعينـا

وكم خُطّـــة أفردتْه الرجا ... لُ فيهـا وولت شَعاعا(٤) عِضينا

أضـاء بجِنـــدِسها رأيُه ... وكان له الله فيهـا مُعينا

ففى كلّ يومٍ يُوافى البشيرُ ... بفتـــحٍ مبينٍ يُقرُّ العيونا

رمَى أهلَ "بابلَ" فى سِحرهم ... برقشاءَ(٥) تلقَفُ ما يأفِكونا

---

(١) أمر الحبل : أحكم فتله . (٢) الأقنى : الصفر . (٣) الطرف الشفون : الذى لا يفتر عن النظر من شدّة الحذر . (٤) شعاعا عضينا : متفرقة متجزئة . (٥) الرقشاء : الحية .

ألم تعلمـوا أنّ فى أفقـهِ سحـائبَ، أمطارُها الدارعونا[1]،

وفتيانَ صـدقٍ تكون السهامُ طليعتَهـم والسـيوفُ الكمينا،

وجُرْدا[2] إذا وَجِيَتْ[3] بالبطـا ح[4] أحذَى[5] سنابكَهن[6] الوَجينـا[7]،

فيـوما لنُعمَى تَلُسّ[8] الغَميرَ[9] ويوما لبؤسَى تسُفُّ الدَّرينـا[10]

جرتْ سُنُحا بنواصى "العراق" فأحجم عن زجرها العـائفونا

وحكّتْ على "واسطٍ" بَرْكَها[11] بيومٍ عسـير أشـابَ القرونا

تصبُّ على الفئـةِ الناكثين لعهدك سـوطَ عذابٍ مُهينا

فتـلك جمـاجمُهم فى الصعيـ ـد تتّخـذ الطيرُ فيها وُكونا[12]

مَرَى[13] "ابنُ فَسنجُسَ" من خِلْفها[14] زُعافا[15] وما كـلُّ خِلْف لَبونا

فطـار على قادماتِ الفِـرار جريضًـا[16] وكان فِرارا حَرونا

زجَتْه إليـك أكفُّ القضاءِ وتأتى بأقـدامها الحـائنونا[17]

وفى دار "بَكْرٍ" لهـا رجفـةٌ أزالت صياصِيَهـا[18] والحصونا

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . (٣) وجيت : حفيت . (٤) البطاح : الحصى الصغار، واحدها بطحاء . (٥) أحذى : ألبسها حذاء . (٦) السنابك : حوافر الخيل . (٧) الوجين : الحجارة . (٨) تلس : تتناول . (٩) الغمير : النبات الأخضر . (١٠) الدرين : يبيس الحشيش . (١١) البرك : الصدر . (١٢) وكون : جمع وكن وهو عش الطائر كالوكر . (١٣) مرى : حلب . (١٤) الخلف اللبون : الضرع الحافل باللبن . (١٥) الزعاف : السم القاتل السريع . (١٦) الجريض : المغموم . (١٧) الحائن : الذى حان حينه أى موته . (١٨) الصياصى : جمع صيصية وهى الحصن .

غداةَ زحمَت بها "عامرا" تخـوضُ قبـائلَها والبُطونا

لهـا غُرَرٌ إن رآها العد وَ لم ير أكفالهَـا والمُتُـونا

قضت من "عُبَادَةَ" أوطارَها وحكَّمت البيض حتى رضينـا

وما تركت للـوالى حِمى ولا للعقـائل خِدرا مصـونا

فتلك "عقيـلٌ" (١) عقيلُ الفرا (٢) ر تُحرش بالدو (٣) ضبًّا مَكونا

جعلتَ من الخوف أفراسَهـا (٤) كأقتادِها والفيـافى سُجُونا

ووافت "بنو أسَدٍ" كالأسود تخُـطُّ الرماح عليهـا عَرينا

فدع فُرصـة الثأر ممطولةً لذنبٍ أقـرّ به المـذنبونا

أليس "طُلَيْحةُ" (٥) من عِيصهم (٦) أراغ النبوّة فى النـاس حينا

فلمـا نَـى الدينَ أشبالُه أناب وأطلقَ تلك الفنـونا

ولاقت به "الفُرسُ" أمَّ اللُّهَيـ (٧) ـم : وأدَ البناتِ وذبحَ البنينـا

ولا بدَّ "للشـام" من نطحة تُحذِّر "زمزمُ" منها "لَجُونا"

وأخرَى "لمصرَ" تَخُطُّ الرّوا ةُ فى الرقِّ منها الحديثَ الشُّجونا

جعلتَ الخـلافةَ فى عصرنا تُفاخر "مأمونَها" و "الأمينا"

---

(١) تحرش : تصيد . (٢) الدو : المفازة . (٣) يقال : مكنت الضبة والجرادة ونحوهما إذا باضت أو جمعت بيضها فى جوفها فهى مكون و بيضها : مكنها . (٤) أقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل أو هو جميع أدراته . (٥) طليحة هو ابن خويلد بن نوفل الأسدى كان يعد بألف فارس ثم تنبأ ثم أسلم ؛ والعيص : الأصل . (٦) أراغ : طلب . (٧) أم اللهيم : الداهية .

وجاهدتَ فيهـا جِهادَ آمرئ ... له جمـعَ الله دنيا ودِينـا

إذا ما سلكتَ بهـا منهجا ... وثبتَ الجبالَ وجُبت الحُزونا

بسـطتَ لعَمرك كفَّ الزما ... ن يُحصى الليالى ويُفنى القرونا

ولا برِحتْ ألسنُ المكرما ... ت تُغْنِيك عن ألسن المـادحينا

دعاءٌ إذا سمِعتْـه العُـدا ... ةُ قالت على الكره منها أمينـا

* * *

وقال يمدحُه أيضا فى سنةِ خمسين، وهى آخرُ ما أنشدَه :

من علَّم القلبَ ما يُمـلى من الغَـزَلِ ... نوحُ الحمـام له أَمْ حَنَّـةُ الإبـلِ؟

لا بل هو الشوقُ يدعو فى جوانحنـا ... فيستجيبُ جَنانُ الحـازم البطـلِ

لكلِّ داء نِطـاسىٌّ يلاطفـهُ ... فهل شـفاك طبيبُ اللوم والعـذلِ؟

بيْنٌ وهجـرٌ يَضيع الوصـلُ بينهما ... فكيف أرجو خِصـام الحبِّ بالمَلَلِ

يُميت بثِّىَ فى صـدرى ويَدفِنـه ... أنى أرى النَّفث بالشكوى من الفشلِ

هن اللآلئ حازتهـا حمولُهـمُ ... وإنمـا أبدلوا الأصداف بالكِلَلِ (١)

ولستُ أدرِى أبالأصداغِ قد كَحَلوا الـ ... ـأجفان أم صبغوا الأصداغَ بالكَحَلِ!

ما يسـتريب النقا أنَّ الغصون خطت ... عليـه لكن بأوراقٍ من الحُلَلِ

من يشهد الركبَ صرعَى فى محلّهـمُ ... يدعوه رَمْسا ولا يدعوه بالطلـل

(١) الكلل : جمع كلة وهى غطاء يغطى الهودج ؛ ويلاحظ أن "الباء" فى قوله "بالكلل" دخلت على غير المتروك .

قـد أَلِفَ الحيُّ من مسراكِ طـارقةً ... تبيتُ أحراسُهم منهـا على وجـلِ

أمسى شحـوبى وإرهافى يُدلِّسـنى ... على الرقيب بسُمرٍ بينهـم ذُبُـلِ (١)

لم يسألوا عن مقامى فى رحالِهـمُ ... إلا أتيتُ على الأعـذارِ والعِلـلِ

لله قـومٌ يُبيحون القِـرَى كرما ... وينهرون ضـيوفَ الأعينِ النُّجُلِ

لو عدِموا البيضَ والخَطِّىَّ أنجـدَهم ... ضربٌ دِراكٌ (٢) ورشْـقاتٌ من المُقلِ

كأنما بين جَفْنَىْ كلّ ناظرةٍ ... ترنو كِنانةُ رامٍ من بنى "ثُعَـلِ" (٣)

لا روضُ أوجههـم مَرعَى لواحظنا ... ولا اللَّمَى مَـوردُ التجميش والقُبَـلِ (٤)

تحكى الغمامـةَ إيمـاضا مباسمُهـم ... وليس يحكيهـا فى جَوْدها المِطَـلِ (٥)

خافوا العيونَ على ما فى براقعهـم ... من الجمـال فشابوا الحسنَ بالبَخَـلِ

يا رائد الركب يسـتغوى نواحظَهُ ... برقٌ يلاعب ماءَ العـارض الخَضِـلِ (٦)

هذا "جَمـال" الورى تُطفِى مناصـلُه ... نارَ القِـرَى بدماء الأينُق البُزُلِ (٧)

لا يسأل الوفـدَ عمّـا فى حقائبهـم ... إن لم يوافوا بهـا ملأى من الأمـلِ

وما رعين المطـايا فى خمـائله ... إلا سَخَطن على الحَوْذانِ (٨) والنَّفَـلِ (٩)

إن آمتنعتَ حيـاءً من مواهبـه ... أولاكهـا بضروب المكرِ والحيـلِ

---

(١) السمر الذبل : الرماح الدقيقة . (٢) دراك : متابع . (٣) بنو ثعل : قبيلة مشهورة بالرمى والإصابة . (٤) التجميش : المداعبة . (٥) الجود : المطر . (٦) العارض الخضل : السحاب الندى . (٧) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٨) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (٩) نبت من أحرار البقول له رائحة طيبة .

قصّرتِ يا صحبُ عن إدراك غايتـــهِ ... فما بروقُك إلا حُمـــرةُ الخجـــلِ

ومصلح بين جدواه وراحتـــه ... يسعى ويكدَح فى صلح على دَخَـــلِ (١)

سيفٌ "لهاشمَ" مسلولٌ إذا خشُنتْ ... له الضرائبُ لم يَفـــرَقْ من الفَلَـــلِ

فى قبضة "القـائم" المنصور قائمُـــهُ (٢) ... وشَفرتاهُ (٣) من الأعداء فى القُلَـــلِ (٤)

بيضُ القراطيس (٥) كالبِيضِ (٦) الرِّقاق له ... وفى اليراع (٧) غِنًى عن اسمـرٍ خطِلِ (٨)

وطالما جـــدَّلَ الأقرانَ منطقُـــه ... حتى أقـــرُّوا بأنّ القـــولَ كالعملِ

يـــوَدُّ كلُّ خصيم أن يعمِّمهُ ... فضـلَ الحسام ويُعفيـه من الجـدَلِ

ما البأس فى الصَّـــعدة الصَّمّاء (٩) أجمعـه ... فى القول أمضَى من الهندىِّ (١٠) والأسـلِ (١١)

ومستغرِّين بالبغيـا مزجتَ لهـــمْ ... كيدا من الصَّابِ (١٢) فى لفظٍ من العسلِ

ما آستعذبت لَهَوَاتُ (١٣) السـمع مشربَهُ ... حتى تداعت بنـاتُ النفسِ (١٤) بالهبَـلِ (١٥)

أطعتَ فيهـــم أناةً لا يســـوِّغهـا ... حـلمٌ، وقد خُلق الإنسانُ من عجـلِ

---

(١) الدخل : الخديعة والمكر . (٢) القائم : مقبض السيف . (٣) الشفرة : حدّ السيف . (٤) القلل : الرءوس واحدها : قـلة . (٥) القراطيس : الأوراق . (٦) البيض : السيوف . (٧) اليراع : القلم (٨) الأسمر الخطل : الرمح المهتز . (٩) الصعدة الصماء : قناة الرمح الصلبة . (١٠) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (١١) الأسل : الرماح . (١٢) الصاب : نبات مر الطعم . (١٣) لهوات : جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم — وقد استعارها هنا للسمع — . (١٤) بنات النفس : الهموم والخواطر . (١٥) الهبل : الثكل .

ثم ٱشتَمَلْتَهُـــمُ الصَّمّاءَ (١) فٱنشـــعبوا ... "أيدى سَبَا" (٢) فى بطون السهل والجبلِ

ليس الرُّقَى لجميـــع الداء شافيـــةً ... الَكىُّ أشـــفَى لجلدِ الأجربِ النَّغِـــلِ (٣)

قـــل للعُـــريبِ : أنيبى إنهـــا دولٌ ... والطعنُ فى النحر دون الطعنِ فى الدولِ

هيهـــات ليس "بنو العباس" ظلُّهـــمُ ... عن ساحة الدين والدنيـــا بمنتقـــلِ

حَمَى حقيقتَهـــم مُرٌّ مَذاقَتُـــه ... موســـد الرأى بين الرَّيثِ والعجلِ

موطَّأٌ فإذا لُـــزَّت (٤) حفيظتُـــه (٥) ... تكاشر الموتُ عن أنيابهِ العُصُلِ (٦)

إيهـــا "عقيـــل" إذا غابت كتائبُـــهُ ... فُزتم وإن طلعتْ طِرتم مع الحَجَلِ (٧)

هـــلَّا وقوفا ولو مقـــدار بارقـــةٍ ... وما الفِـــرار بمَنجاةٍ من الأجلِ

فٱلهَىْ عن "الرِّيف" يا فَقْعًا (٨) بقَرقَرةٍ ... وٱبغى الـــنزولَ على اليَربوع (٩) والوَرَلِ (١٠)

نســـجُ الخَدَرنَقِ (١١) من أغلَى ثيابكُمُ ... وخـــيرُ زادِكُمُ دَهُريَّةُ الجُعَـــلِ (١٢)

---

(١) الصماء : يقال : اشتمل الصماء وهى أن يرد الرجل الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقـــه الأيمن فيغطيهما جميعا . (٢) أيدى سبا : يقال : تفرق القوم أيدى سبا : أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده ، وذلك أن الله أرسل على أرض سبأ — وهو أبو عامة قبائل اليمن — سيلا أغرقها وانتزع سبأ وقومه فتبددوا فى البلاد فضرب بهم المثل . والمراد بأيدى سبا جنوده الذين كان يسطو بهم فى غاراته وحروبه . (٣) النغل : الذى فسد جلده . (٤) لزت : هاجت واجتمعت . (٥) الحفيظة : الغضب . (٦) عصل : جمع أعصل وهو الأعوج . (٧) الحجـــل : طـــائر . (٨) الفقع : الرخوة من الكمأة ؛ ويقال للذليل : هو أذل من فقـــع بقرقرة ، أى أذل من كمأة فى أرض منخفضة لأنها لا تمتنع على من جناها ، وقيل : لأنها تداس بالأرجل . (٩) اليربوع : حيوان من فصيلة الفار طويل الرجلين وقصير اليدين جدًا . (١٠) الورل : دابة على خلقة الضب إلا أنه أكبر منه . (١١) الخدرنق : ذكر العنكبوت . (١٢) الدهرية : التى أسنت وطال عليها الدهر . والجعل : ضرب من الخنافس تؤذيه رائحة الورد ، قال المتنبى : * كما يضر أريج الورد بالجعل *

إن يعهَدوا العـــزَّ فى الأطنابِ آونةً ... فذا أوانُ حُلول الذلّ فى الحُلَـــلِ

ترقّبوها من "الجُودىّ"(١) كامنـــةً ... فى نقعها ككمون الشمس فى الطَّفـــلِ(٢)

إن عُطفتْ عنكُمُ يوما فإنَّ غدًا ... مع الصباح توافيكم أو الأُصُـــلِ(٣)

بكلّ مرتعـدِ العِرنين(٤) ما عرَفَتْ ... حَـــوْباؤه(٥) خُلُقَ الهيّـابةِ الوَكَـلِ(٦)

تدعُو على ساعديه ، كلّمَـا اشتملتْ ... على حنيّتـــه ، الأرواحُ بالشَّـــللِ

فى جَحفـــلٍ(٧) كالغمام الجَوْنِ(٨) ملتبسٍ ... بالـــبرق والرّعد من لَمعٍ ومن زَجَلِ(٩)

يُزجِى قَـــوارحَ(١٠) فاتت باعَ مُلجِمِها ... كأنّ راكبَهـا موفٍ على جبـــلِ

عوّدها الكرّ والإقـــدامَ فارسُها ... فأنت تحسَبُها صـــدرا بلا كَفَلِ

أمَا سمعـــتم "لبولاذٍ" وأســـرتِهِ ... أحدوثةً شَرَدت فوضَى مع المَثَـــلِ

إذ حطّه الحَيْنُ من صمّاء شاهقةٍ ... لا يلحَـــق الموتُ فيهـا مهجةَ الوَعِلِ(١١)

فخـــرَّ للفـــمِ والكفّين منعفـــرًا ... إنّ السيوفَ لمن يَعصيك كالقُبَلِ

تعافه الطـــيرُ أن تقتاتَ جثّتَـــهُ ... لعلمهـا أنه من أخبث الأُكُلِ

الأرضُ دارُك والأيامُ تُنفقهـا ... على بقائك والأمـــلاكُ كالخَـــوَلِ(١٢)

متّـــع لواحظَنا حتّى نقـــولَ لهـا : ... لقـــد رأيتِ جميعَ النـاس فى رجلِ

---

(١) الجودى : اسم جبـــل . (٢) الطفل : احمرار الأفق قبيل غروب الشمس .
(٣) أصل : جمع أصيل وهو الوقت مابعد العصر الى المغرب . (٤) العرنين : الأنف .
(٥) الحوباء : النفس . (٦) الوكل : العاجز . (٧) الجحفل : الجيش العظيم .
(٨) الجون : الأسود . (٩) الزجل : الصوت . (١٠) القوارح : جمع قارح وهو من الخيل بمنزلة البازل من الإبل . (١١) الوعل : تيس الجبل . (١٢) الخول : الخدم .

* * *

وقال يمدح الوزير أبا العباس بن فَسَنجُس الملقّب بعَلاء الدين ، وكتب بها إليه بواسط، ويذكر حربَه لابن الهَيْثم أميرِ البطائح :

لا أعذِر المـــرءَ يصبو وهو مختـارُ ... الحبُّ يُجمَـعُ فيـــه العـارُ والنـارُ

فعـارُه سَـفَه العـــذّال إن هَجـروا ... ونارُه حُـــرَقٌ إن شطّت الدارُ

لـــولا كَهانة عيني ما درت كبِدى ... أن الخِمـارَ(١) سحـابٌ فيـــه أقمـارُ

يُهـــوَى بيـاضُ محيّـاها وحُمـــرتُهُ ... كما يروقـــك دِرهامٌ ودينـارُ

إيهِ(٢) أحاديث "نَعْمانٍ" وساكنـــه ... إنّ الحديثَ عن الأحباب أسمـارُ

يا حبذا روضُه الأحوَى إذا آحتجَبتْ ... عنّى الثغـــورُ حكاها منـــه نُـوّارُ

وحبّـذا البانُ أغصانا كَرُمنَ فمـا ... لهنّ إلا الحمَامُ الـــوُرقُ أثمـارُ

ظلِلتَ مُغْـــرًى بذى عينينِ تعـــذُله ... وقبـلَه قد تعاطى العشـــقَ "بشّارُ"(٣)

عنـــد العـــذول آعتراضات ومَعنفـةٌ ... وفى العتـاب جـــواباتٌ وأعـــذارُ

لا سنَحتْ بعدهم عُفـــرُ الظبـاء ولا ... ترنّحتْ فى الغصـــون الخُضْر أطيارُ

كأننى يومَ "سُـــلمانَيْنِ" قد علِقتْ ... بى من أُسَامةَ(٤) أنيـابٌ وأظفـارُ

---

(١) الخمار : غطاء يوضع على رأس المرأة . (٢) إيه : اسم فعل للاستزادة من حديث معهود واذا نونته كاف للاستزادة من أى حديث . (٣) بشار : هو ابن برد الشاعر الضرير المشهور، وفى هذا البيت إشارة الى قوله : * والأذن تعشق قبل العين أحيانا * (٤) أسامة : الأسد .

أفتش الريحَ عنكم كلما نفحتْ ... من نحو أرضكم نكباءُ معطارُ
وأسال الركبَ أنباءً فيكتمُني ... كأنكم في صدورِ القوم أسرارُ
حتى الخيال بدا جنبي ليوهمَني ... قُربا ومن دونكم بيدٌ وأخطارُ
ما تطمئنُّ بكم دارٌ كأنّ "علا ... ءَ الدّين" مطلبُه في حيّكم ثارُ
هو الذي لو حمى مَرعًى لما سرحتْ ... سوائم الدهر إلا حيث يختارُ
ولو تُجاوره الأغصانُ ما خطرت ... ريحُ النُّعامَى(١) عليها وهي مغوارُ
يُحكَى له في المعالي كلُّ مأثرةٍ ... تُصبي القلوبَ وتُروَى عنه أخبارُ
عظّمتُمُ مَن له في المجد مكرُمةٌ ... وأين ممّن له في المجدِ آثارُ
أنّى أقام فذاك الشّعبُ(٢) منتجَعٌ ... وكلُّ يومٍ يُحيّا فيه مختارُ
لولا ضمانُ يديه ريّ عالِمَهِ ... لجاءت السُّحبُ من كفّيه تمتارُ
يلقَى العُفاةَ ببشرٍ شاغلٍ لهمُ ... عن السؤال وللأنواء أنوارُ
وحظُّه في العطايا أنّ راحتَه ... بين العُفاةِ وبين الرِّفدِ سُمّارُ
أخو المطامعِ يلقاه بذِلّتها ... وينثني وهو في عِطفيه نَظّارُ
أفنَى الرجاء فما للخيل ما نحتوا ... من السروج ولا للعِيس أكوارُ
لا يَنهَبُ الشكرَ إلا من كتائبِه ... يومَ التغاورِ أضيافٌ وزُوّارُ
إذا القِرَى عقَرت أمّ الحُوارِ(٣) له ... رأيتَه وهو للآمال عقّارُ

(١) النعامى: ريح الجنوب. (٢) الشعب: الحي العظيم. (٣) الحوار: ولد الناقة الى أن يفطم.

لله مقتبـــلُ الأيام همّتـــهُ لهـا من البأس والإقبـال أنصارُ

ثِقْ بالنجاح إذا ما آجتـاب سابغـــةً (١) لهـا "الـــثريّا" مسامـــيرٌ وأزرارُ

لا يتـــوارى ضمـــيرٌ عن سريرته كأنمـا ظنُّـــه للغيب مِســـبارُ (٢)

من الورى هـو، لكن فاقهـــم كرما كذلك الدرُّ والحصـباءُ أحجـارُ

بأيِّ رأيٍ "أبـــو نصرٍ" يجـاذبه حبـلَ الخلاف وبعضُ النقضِ إمرارُ (٣)

أما رأى أنَّ ليثَ الغـاب مجتمعٌ لوثبـــةٍ وفنيـــقَ (٤) النِّيبِ (٥) هَـــدّارُ

ولا جُنـاحَ عـــلى مُرسٍ كلا كلَه (٦) اذا تقـــدّم إعـــذارٌ وإنـــذارُ

بدأتَهُ بآبتسـامٍ ظنَّـــه خَـــوَرا فآغترَّ والكوكـبُ الصبحيّ غرّارُ

الآن إذ كشفَتْ عن ساقهـا ورمت قناعَهـا الحـــربُ والفُرسان أغمـارُ، (٧)

غـــدَا يمسِّـــح أعطافَ الردَى ندما وكيف تنهضُ ســاقٌ مُخُّهـا رارُ (٨)

يُغشِي الســـفائنَ نيرانَ الوغَى سـفَها والنـارُ أقـــواتُها الأخشابُ والقـارُ (٩)

إن كان للأجَـــم (١٠) العـادىِّ مـــدّرعا فالليثُ بين يراع (١١) الخيس مِـذعارُ

أو كان يغـــترُّ بالأمـــواه طاميـــةً فإن بالقـاعِ من كفّيْه تيّـارُ

---

(١) اجتاب : لبس، والسابغة : الدرع . (٢) المسبار : أداة يعرف بها غور الجرح .
(٣) الإمرار : إحكام الفتـل . (٤) الفتيق : الجمـل الكريم على أهـله ولا يركب .
(٥) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٦) الكلاكل : الصـدور — والمراد بها هنا الأحمال والأثقال — . (٧) أغمار : جمع غمر وهو الكريم الواسع الخلق . (٨) الرار : الفاسـد . (٩) القار : الزفت . (١٠) الأجم العادى : الشجر الملتف القديم .
(١١) اليراع : القصب، والخيس : مريض الأسد .

إذا تـــرنَّم حَـــولىُّ البعـــوض له ... ترنَّمت فى قسىِّ "التُّرك" أوتارُ

أنجِـــزْ مواعيـدَ عزمٍ أنتَ ضامنُهـا ... ولا يُنهنهُـــكَ إرديٌّ وقِنـــطارُ

فإنما المـالُ رُوحٌ أنت مُتلفُهـا ... والذِّكرُ فى فلواتِ الدهر سَـــيَّارُ

لا تـــترُكْ نُهـــزَةً عنَّتْ مسـلَّمَةً ... إلى عـــلاك فإن الدهرَ أطـــوارُ

وما ترشَّح يـــومُ المِهـــرَجانِ لهـا ... إلا وللسـعدِ إيـــراد وإصـــدارُ

لما رآك نـــوى نَـــذرا يقـــومُ به ... حتى أتاك وشـــهرُ الصـــوم مِضمارُ

وقـــد زففنـا هـــداياه مُنمنَمـــةً (١) ... كأنّهـا فى رقاب المجـــد تِقصـارُ (٢)

ولستُ ارخصُ أقـــوالى لسائمهـا ... إلا عليـــك، وللأشـعارِ أســـعارُ (٣)

* * *

وقال يمدح الوزير أبا المعالى بن عبد الرحيم فى النيروز :

أَلَكم الى ردِّ الشـباب سبيلُ ... أم عنـــدكم لمشـــيبه تأويلُ؟

نُورٌ من الشـــعَراتِ ليتَ أفولَه ... فيهـا طـــلوعٌ والطـــلوعَ أفولُ

ما كان يشفع لى بجـدَّد هِجرةً ... فِقـــدانُهُ لكنّه تعليـــلُ

يا ليتـــه جَنَبَ الغـــرامَ وراءه ... فيقـالَ : لا غِـرٌّ ولا معـــذولُ

ها تلك أشجـانى كـما خلَّفتها ... لعبَ الزمانُ بهـا وليس تحـــولُ

---

(١) منمنمة : مزخرفة موشاة . (٢) التقصار : القلادة . (٣) فى الأصل "أشعار" وهو تصحيف .

يقتادُني البرقُ اليمانِ كأنه ... من عند إيماضِ الثغور رسولُ

وكأنّ قلبي — والمهامهُ بيننا — ... حيٌّ على "وادى العِضاهِ" حُلولُ

تُفتي براقِعُهم، وما آستفتيتُها، ... أنّ اللّحاظَ إذا آختُلسنَ غُلولُ (١)

أُنظر خليلي من "قَرارِ" (٢) هل ترى ... قَطنا (٣) فطَرفُ العامريِّ كليلُ؟

وحلفتُ ما بصَرِى بأصدقَ منكما ... نظرا ولكنّ الغرامَ دليلُ

قالوا : الديارُ وقد وقفت فزدانى ... بثّا رسومُ رثّةٌ وطلولُ

ونَشِقتُ خفّاقَ النسيم فما شفا ... دائى ، وهل يشفِى العليلَ عليلُ؟!

وكرَعتُ سَلسالَ الغدير وليس ما ... بُلّ الشفاهُ به يُبَلُّ غليلُ

يا ضالةَ الوادى أَحُثّ مطيّتى ... أم عند ظبيكِ فى الكناسِ (٤) مَقيلُ؟

عيناه أسلمُ لى ويُعجِبُ ناظرى ... مُقَلٌ (٥) كأن لحاظَهنّ نُصولُ

مُقَلٌ لغِزلانِ "الحِجازِ" وسِحرُها ... من "بابِلٍ" مستجلَبٌ منقولُ

ولقد طرقتُ البيتَ يُكره ربُّه ... والشوقُ ليس يَعيبه التطفيلُ

أيظُنُّ من عَقَر النجائبَ قومُه ... أن الدماءَ جميعَها مطلولُ

من دون سفكِ مدامعى ماشئت من ... حِلْم ودون دمِى تغولك غولُ

وأنا آمرؤٌ لو مُدّ من غُلوائه (٦) ... نطقَ، لقيل : كلامُه تنزيلُ

---

(١) غلول : جمع غل وهو القيد . (٢) قرار : واد قرب المدينة . (٣) القطن : جمع قطين بمعنى القاطن . (٤) الكناس : بيت الظبي . (٥) نصول : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف . (٦) الغلواء : — وقد تسكن اللام — الغلو فى الشيء .

لا يطمع العظماءُ فى مـدحى ولا ... طمَعى على أبوابهـــم معقـولُ

ولو آستطعتُ لمـا آغتبقتُ بشَربةٍ ... مما يَمُدُّ "فُراتُهـم" "والنيلُ"

وإذا تأمّلتُ الرجالَ تفاوتت ... قِيَما ومـيّز بينهـا التحصـيلُ

بعضٌ هُمُ غُرر الجيـادِ وبعضُهم (١) ... بين السنابك (٢) والصِّفاقِ (٣) حُجولُ

مِثل الحُلـى دمالجٌ وخلاخلٌ ... منـه ومنـه التـاجُ والإكليلُ

لـولاهُمُ غرَبتْ شموسُ محاسنٍ ... وهوَى ببـدر المكرمات أفُـولُ

تبًّا لهـذا الدهر لا مِيزانُهُ ... قِسْـطٌ (٤) ولا فى قَسمه تعـديلُ

جَوْرٌ يساوى عالمـا متعـالمٌ ... فيـــه ويُشبِهُ فاضـــلا مفضولُ

لا درّ درُّ المرء يقطـعُ دهرَه ... رِخـوَ الإزارِ وعزمُه مفـــلولُ

اَلبيـــدُ تزرعُهـا المناسمُ (٥) وهى لا ... تدرى أعرضٌ شَوطُها أم طـولُ

واليَعْمَلاتُ (٦) سياطُهـا وحذاؤها ... نسبٌ نماه "شَدقمٌ" (٧) "وجديلُ"

فاذا "كمالُ الملكِ" سَحّ سحابُهُ ... نبتَ الرجاءُ وأثمر المـأمولُ

سبقت مواهبُه المديحَ فظنّ مَن ... عجِلتْ اليـه أنهـا بِرطيـلُ (٨)

---

(١) السنابك : حوافر الخيل . (٢) الصفاق : جلد البطن كله . (٣) الحجول : جمع حجل — بكسر الحاء — وهو البياض فى قوائم الفرس . (٤) القسط : العدل وهو من المصادر التى يوصف بها كما يقال : رجل عدل ، — ويستوى فيه الواحد والجمع — . (٥) المناسم : جمع منسم وهو الخف . (٦) اليعملات : النوق النجيبة المطبوعة على العمل . (٧) شدقم وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل فى النجابة . (٨) البرطيل : الرشوة ، ومنه « البراطيل تنصر الأباطيل » .

عجِلٌ الى المعروف يَحسَب أنه ... ظـــلٌّ اذا لم يغتنمه يزولُ

كثُر الكلامُ به ، وفى أمثالهم ... من قبـله : أنّ الكرامَ قليلُ

وإذا جرى فى غايةٍ شهِدت له ... أنـ لا محلّقَ فى مَداه رسيلُ (١)

ضلّتْ ركائبُ من يؤمُّ طريقَه، ... إنّ العـــلاءَ سبيلُه مجهـولُ

يتوارث المجـــدَ التليـدَ بمعشر ... أدنَتْ فروعَـهمُ اليـــه أُصولُ

جازوا على عَنَت الحسودِ فلم يجد ... عيبا، وماذا فى النجوم يقـــولُ ! !

لهمُ، إذا كرمُ الطبـاعِ هززْنَهُ، ... نصـــلٌ وأنت الرونقُ المحـــلولُ

وإذا آنتهى نسبٌ إليـــك فإنه ... فَلَقُ الصباح مع الضُّحى موصولُ

ولقد شـددتَ وَثاقَ كلِّ مُلمَّـةٍ ... يُلوَى عليهـا مُبرَمٌ (٢) وسحيـــلُ

وحميت أعطانَ الأمور وإنمـا ... كانت غمـاما بالدماء تسـيلُ

وإذا آلتقت حلَقُ البِطان (٣) فإنمـا ... يكفيك ثَمَّ رسـالةٌ ورســولُ

بدلا من القُب (٤) العِتاق ضـوامرٌ ... رُقشُ (٥) المتونِ (٦) صريرُهن (٧) صهيلُ

يَنبُتنَ مثـل الروض إلا أنّه ... ترعاه أسمـاعٌ لنـا وعقـــولُ

ومن الصِّفاح البيضِ كل صحيفةٍ ... لنزاعهـا بالراحتين صليـلُ

---

(١) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق . (٢) المبرم : الحبل المحكم الفتل ، والسحيل ضده . (٣) البطان : حزام الدابة . (٤) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٥) رقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة ببياض وسواد — والمراد بها هنا الأقلام — . (٦) المتون : الظهور . (٧) الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

سَحَبت لكَ الأيامُ فضلَ ردائها مَرَحا يدوم بقاؤه ويطـــولُ
وتتابعت حِجَجٌ يؤرِّخ عصـــرَها عُمُرٌ به خُلدُ الزمان كفيلُ
يتنابك "النوروز" يجنُب إثرَهُ أعوامَ ســـعدٍ كلُّهن صقيـــلُ
هو خطةٌ همّ المُصيفُ بقصـــدها شـــوقا ونادى بالشـــتاء رحيـــلُ
أخذ الربيعُ زمامه حتى آستوى فى عارضـــيه نبتُه المطـــلولُ
بك أشـــرقت أيّامـــه فكأننـــا فى عصرِ "كِسرَى يَزْدِجِرْدَ" نُزولُ

* * *

وقال يمدحُه أيضا :

ما ضاع من أيّامنا هل يُغرَمُ هيهات والأزمانُ كيف تقـــوَّمُ ؟!
يومٌ بأرواحٍ يبـــاعُ ويشـــتَرَى وأخـــوه ليس يُسامُ فيـــه دِرهمُ
سيان قلبي فى المشيب وفى الصِّبا لو يســـتوى شَـــعرٌ أغرُّ وأسحمُ (١)
لى وقفـــةٌ فى الدار لا رجعت بما أهـــوى ولا يأسِى عليهـــا يُقدِمُ
لا تحسب الآثارَ لُعبـــةَ هازلٍ نار آذكارِك فى المعـــالم تُضرمُ
أوما رأيتَ عِمـــادَها فى نؤيها (٢) مثلَ السِّوار يحول فيـــه المِعصمُ
وكفَاك أنى للنوائبِ عاتبٌ ولصُـــمِّ أحجـــارِ الديار مكلِّـــم
ومن البـــلادةِ فى الصبـــابة أننى مستخبرٌ عنهنَّ من لا يفهـــمُ

(١) الأغر : الأبيض ، والأسحم : الأسود .
(٢) النؤى : حفيرة حول الدار تمنع السيل ، وفى الأصل «غمارها فى ثوبها» وهو تحريف .

وأنا البليـغُ شكا اليها بثَّـه عبثا فما بالُ المطايا تُرزِمُ (١)

كلٌّ كنَى عن شـوقِه بلغاتِه ولربّما أبكَى الفصيـحَ الأعجمُ

ترجُو سُلوَّكَ فى رسومٍ بينها الـ ـأغصانُ سَكَرى والحمامُ متيَّمُ

هذى تميـلُ إذا تنسَّمت الصَّبا والوُرق تذكر إلفَها فـترنَّم

فمتى تروع العيسُ غزلانَ النقا بعصابةٍ سئمَ العواذلُ منهـمُ

النُّسكُ عند عفيفهم دينُ الهوى والنصح عنـد لبيبهم لا يُفهَـمُ

حتّام أرعَى وردةً لا تُجتنَى فى الخـدِّ أو تُفّاحـةً لا تُلثمُ

أيُذادُ عن تلك المحاسنِ ناظرى وتريد منى أن يسَـوَّغَها الفمُ؟

فى كلّ يومٍ للعيون وقائعٌ إنسانُها الطمَّاحُ فيها يُكلَـمُ (٢)

لو لم تكن جَرْحَى غداةَ لقائهم ما كان يجرى من مآقيها الدمُ

ولو ٱقتدرتُ قسمتُها يومَ النوى؛ عينا تلاحظهـم وأخرَى تَسْجُمُ (٣)

دع لمحةً إن تستطع عُلَقَ الهوى فبـذاك تعلمُ كيف نام النوَّمُ

ولطالما ٱعتقب العواذل مسمعى فزجرنَ منه مُصْعَبا (٤) لا يُخطَمُ (٥)

ما كنتُ أولَ من عصاهُ فؤادُه وجنَى عليـه مقنَّعٌ ومعـمَّمُ

لم أدر أنَّ الحبَّ حومةُ مأزِقٍ تُصلِي ولا أنّ اللواحظَ (٦) أسهـمُ

(١) ترزم : تحن وتئن . (٢) يكلم : يجرح . (٣) تسجم : تسح بدمعها كالقطر .

(٤) المصعب : الجمل الذى لا يركب لكرامته . (٥) يخطم : يوضع فى أنفه الخطام .

(٦) فى الأصل «المحاسن» وفى منتخبات البارودى «اللواحظ» وقد رجحناها .

أصفُ الأحبّةَ، واللسان يقول لى: وصفُ الوزير «أبى المعالى» أعظمُ
المستجير من المذمّة بالنَّدَى والمستجار إذا أظلَّك مَغْرمُ
فى كلِّ يوم للمكارم عندَه سوقٌ، "عُكاظٌ" دونَها والموسِمُ
وكأنّما أموالُه من بَذلها نَهبٌ بأيدى الغانمين مقسَّمُ
فلو آنها وَجدتْ عليه ناصرا لرأيتها من كفّهِ تتظلّمُ
أسمعتَ قبلَ يمينه وشماله بسحائبٍ أو أبحرٍ تتختَّمُ؟
فيهنّ من قِصدِ اليراع[1] أراقمٌ[2] تَقضِى وتَمضِى والقنا يتحطَّمُ
ماهنّ إلا موردٌ من فوقهِ طيرُ الرغائبِ والمطالبِ حُوَّمُ
الجِدُّ من عزماتهِ متلقِّنٌ والمجدُ من أخلاقه متعلِّمُ
متهلّلٌ للوفد يُحسَب أنه بدرٌ أحاط بجانبيه الأنجُمُ
تُثنِى عواذله عليه بعذلهم ولربّما نشَر الثناءَ اللُّوَّمُ
خلعتْ عليه المكرُماتُ ملابسا مايزال ينقُشها المديح ويرقُمُ
عشِق المعالىَ فهْو من شغفٍ بها عند الرقاد بغيرها لا يَحلُمُ
بصوابه فى الرأى ثُقِّفت القنا وبعزمه صُقِل الحسامُ المِخذَمُ[3]
يحمِى بسطوته مسارحَ لحظهِ فالعزُّ فى أبياته مستخدَمُ

---

(١) قصد اليراع : كسر الأقلام . (٢) الأراقم : الحيات . — وهى هنا على التشبيه — . (٣) المخذم : القاطع .

وإذا تلمَّح قلت : صقرٌ ناظـرٌ (١) وإذا تغاضَى قلت : أطرقَ أرقمُ

ثبتُ الجَنانِ كأنّما فى بُرده (٢) يومَ الزعازع "يذبلٌ" "ويلملمُ"

رفعتْ له هِمّاتُه وزماعُـه (٣) بنيانَ مجدٍ ركنُه لا يُهـدَمُ

طَوْلَ تشرّد فى البـلاد فمنجدٌ يَروِى الذى يَرويه آخرُ متهـمُ

لله أنتَ إذا تسـلّبت الـرُّبَى (٤) وشـكا الأُحاحَ سِماكُها والمِرْزَمُ

لِيُرُدَّ مَن جاراك رأسَ طِمِرَّةٍ (٥) ما كلُّ طِـرْفٍ (٦) فى السّباقِ مطهَّمُ (٧)

للمجـد أثقـالٌ تعِجُّ (٨) إفالُهـم (٩) منهـا وينهَـزها (١٠) الفنيقُ المُقـرَمُ (١١)

حاشاك أن يَثنِى طباعَك فى الندى ثانٍ وينقُصَ من خِلالك مُبرِمُ

إن تَصنع الحسنَى فإنك زائدٌ أو تُسـبغ النُّعمَى فأنت متمّـمُ

وأنا الذى سيَّرتُ شكرك فى الدُّنَى (١٢) حتى تلاه مُعـرِقٌ أو مُشئمُ

وجلبتُ من بحر الثناءِ لآلئـا فى نحـرِ ما أو ليـتنيه تُنـظَّمُ

أو ردتُ آمالى غـديرَك آمنـا من أن يكون وراءَ شهـدٍ عَلقمُ

ورضعتُ ثدىَ ندالك من دون الهوى ثقـةً بأنّ رضيعَـه لا يُفطَمُ

---

(١) الأرقم : الثعبان . (٢) يذبل ويلملم : جبلان . (٣) الزماع : المضاء .
(٤) الأحاح — بالضم — : العطش وحرارته ، والسماك والمرزم : نجمان . (٥) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٦) الطرف : الجواد . (٧) المطهم : التام الحسن .
(٨) تعج : تصيح وترفع صوتها . (٩) إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .
(١٠) ينهزها : ينهض بها ؛ والفنيق : الفحل لا يركب لكرامته . (١١) المقرم : المكرم الذى لا يحمل عليه . (١٢) الدنى : جمع الدنيا ، — وإذا جمعت مع أنها واحدة فلاعتبار أقسامها .

أهدَى لك "النيروزُ" فى أغصانهِ زَهرا بأوراقِ العـــلاء يُكمَّـــمُ
فى كلِّ يومٍ خيـــلُه وركـــابُه جَبَهاتُهنَّ بطيب ذكرك تُوسمُ
لا زالت النَّعماءُ عنـدك، حَلْبُهـا ملءُ الإناء وبطنُهـا لا يُعقَـــمُ
والدهر مجنـــوبٌ وراءك كلّمـا واتاك أســـعده القضـاءُ المبرَمُ
كالنِّقسِ(١) ليلتُـه وطِـرسٍ يومُـهُ والنُّجحُ يَكتُبُ والسـعادةُ تختِمُ

* * *

وقال يمدحُ بَرَكَةَ بن المقلَّد العُقَيلىّ، ويلقّب زعيم الدولة :

تُرى رائحٌ يأتى بأخبـار مَن غـــدا وهل يكتُمُ الأنبـاءَ من قد تزوَّدا
أُحبّ المقـالَ الصدقَ من كلّ ناطقٍ ســوى ناعبٍ قد قال : بينهُـمُ غدا
ألَا ٱستوهِبا لى الأرحبيَّـةَ(٢) هَبَّـة لنُحدثَ عهـــدا أو لنضربَ موعدا
حرامٌ عـلى أعجازهنّ ســياطُنا فيـا سائقيْها ٱستعجِلاهنَّ بالحُـــدا
مـتى ترِدا المـاءَ الذى ورَدتْ به ظبـاءُ "سُلَيمٍ" تَنقَعا غُـلّةَ الصدى
فلا تُشغَلا عنـــه بلـثمِ حَبـابهِ(٣) تظنَّـانِه ثغـــرا عليـــه تبـــدَّدا
فقـد طـال ما أبصرتُمـا ظبىَ رملةٍ فشبّهتُماه ذا دَمالجَ أغيـــدا
فرشتُ لجنبِ الحبّ صدرى وإنمـا تهابُ الهوى نفسٌ تخاف من الردى

---

(١) النقس : المداد الأسود . (٢) الأرحبية : الإبل المنسوبة الى الأرحب وهو فحل من الفحول النجيبة ؛ أو هو ٱسم قبيلة تنسب اليها . (٣) الحباب : نفاخات الماء والخمر التى تعلوهما .

ونفَّرتُ عن عيني الخيالَ لأنه يحاولُ مَـدًى نحو باطـله يدا

أرى الطيفَ كالمرآة يخلُق صورةً خداعا لعيني مثلما يَسحَر الصَّدى (١)

أتزعمُ أنّ الصبرَ فيك سجيّةٌ وتشجَى إذا البرق التِّهامىُّ أنجدا

وقالو : أتشكو ثم تَرجِعُ هائما؟ فقلتُ : غرامٌ عاد لى منه ما بدا!

تُعاد الجسومُ إن مرضنَ ولا أرى لهذى القلوب إن تشكَّين عُوَّدا

فلا تحسبوا كلّ الجوانح مُضغةً ولا كلَّ قلبٍ مثلَ قلبىَ جلمدا (٢)

وحىٍّ طرقناه على زَوْرِ موعدٍ فما إن وجدنا عند نارهمُ هُدى

وما غفلتْ أحراسُهم غيرأنّنا سقطنا عليهم مثلَما سقَط النَّدى

فلما ٱلتقينا حشَّ قلبي فراقُهم فلم ينكروا النارَ التى كان أوقدا

نزحتُ دموعى بعدَهم من أضالعى مخافةَ أن تطغَى عليها فتجمُدا

وفى العيش مَاهًى لامرئٍ بات ليلَه يشاور فى الفتك الحسامَ المهنَّدا

إذا ما ٱشتكت قَرْحَ السهاد جفونُهُ أداف لها من صِبغة الليل إثمِدا (٣)

يظنّ الدجَى فرعا أثيثًا نباتُهُ ويحسَبُ قَرن الشمس خدًّا موردًّا (٤)

ويرضَى من الحسناء بالرِّيم إن رنا كحيلا ما قيه وأتلعَ أجيدا (٥)

---

(١) يسحر : يخدع ؛ والصدى : ما يرده الجبل وغيره على الصوت يمثل صوته . (٢) الجلمد : الصخر . (٣) أداف : أذاب وخلط ؛ والإثمد : حجر يكتحل به . (٤) الفرع الأثيث ، الشعر الكثيف . (٥) الريم — ويسمى — الغزال ؛ والأتلع الأجيد : الطويل الجيد .

كما "بزعيم الدّولة" الأمم ارتضت ... على الدّين والدنيا زعيما وسيّدا

أقاموا بدار الأمن فى عَرَصاته[1] ... كأنهم شدّوا التميمَ المعقّدا

رمى عزمُه نحو المكارم والعلا ... مصيبا فكان المجد مما تصيّدا

إذا أمّم السارون نورَ جبينه ... كفى الرّكب أن يدعو جُدَيًّا[2] وفرقدا

تلألأ فى عِرنينه نورُ هيبةٍ ... تخِرّ له الأذقانُ فى الترب سُجّدا

أباح حِمَى أمواله كلّ طالب ... من الناس حتى قيل : ينوى التزهّدا

له روضةٌ فى الجود أكثرُ رودًا ... من المنهل الطامى وأوفرُ وِرْدا

تناكصُ عن ساحاته السُّحبُ، إنها ... متى حاكمته فى الندى كان أجودا

وهل يستوى من يمطر الماءَ والذى ... أنامله تهمى لجُيْنا[3] وعسجدا

ومَن برقُه نارٌ ومَن برقُ وجهه ... تهلّلُ مرتاحٍ الى الجود والنّدى

قليلُ هجوعِ العين تسرى همومُه ... مع الجاريات الشُّهب مَثْنَى ومَوْحَدا

ومن كان كسبُ المجدِ أكبرَ همّه ... طوى بُردةَ الليل التّمامِ[4] مُسهّدا

متى ثوّب الداعى ليومٍ كريهةٍ ... تأزّر بالهيجاء وآعتمّ وآرتدى

وقد علمتْ أشياخُ "جُوثةَ"[5] أنه ... أمدُّهُمُ باعًا وأبطشُهم يدا

---

(١) عرصات : جمع عرصة وهى ساحة الدار . (٢) جدى وفرقد : نجمان . (٣) اللجين والعسجد : الذهب والفضة . (٤) الليل التمام – بكسر التاء – هو أطول ما يكون من ليالى الشتاء، ويقال أيضا : ليل التمام – بالاضافة – . (٥) جوثة : قبيلة .

لهم واصَلَ الطعنَ الخِلاجَ (١) فأصبحت تَشَكّى الرديناتُ (٢) منـــه تأوُّدا

رأى الودَّ لا يُجـــدى وليس بنـافع سـوى نقمات السيف والرمح فى العدا

فما يقتـــنى إلا حساما مهنـــدًا وأسمرَ (٣) عسّـالا وأقـــودَ (٤) أجردا

متى يَرْمِ قوما بالوعيد وإن نأت ديارهمُ عنـــه أقام وأقعـــدا

وما الرمح فى يمـــنى يديه مسـدَّدا بأنفـذَ منـــه سهمَ رأيٍ مسـدّدا

صهيـــلُ الجيـاد المقرَبات (٥) غِناؤه فلو شاء سمّاها "الغريضَ" (٦) "ومعبدا"

ويُذكِره بزلَ النجيع (٧) من الطُّلَى (٨) عِشارٌ جلبنَ اليـابليَّ (٩) المـبرَّدا

فلو لم يكن فى الخمر للبأس مشبِهٌ ولِلجود لم يجعـــلْ له الكأسَ مَوردا

بعثت لسكّان "العراقِ" نصيحةً متاركةَ (١٠) الرئبـال فى غيـــله سُـدَى (١١)

ولا تأمنـوا إطراقَه إنّ كيْـــده ليستخرج الضبَّ الخبيثَ من الكُدَى (١٢)

أرى لك بالعليـاء نارا قَراتُهـا ضيوفُك يُقرَوْنَ السَّديفَ (١٣) المسَرْهَـدا (١٤)

فلا تُفنِيَنَّ العِيسَ (١٥) بالعَقْـر إنهـا مـــتى تَفنَ تجزُرْهُم إماءٌ وأعبُـــدا

---

(١) الخلاج : المضطرب المهتز . (٢) الرديانات : الرماح — منسوبة الى امرأة تسمى "رديئة" كانت تقوم الرماح ؛ والتأود : التثنى . (٣) الأسمر العسال : الرمح المهتز .
(٤) الأقود الأجرد : الفرس الذلول المنقاد القصير الشعر . (٥) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٦) الغريض ومعبد : مغنيان معروفان . (٧) النجيع : الدم .
(٨) الطلى : الأعناق ، واحدها طلية . (٩) اليابلى المبرد : الخمر . — منسوب الى بابل — .
(١٠) الرئبال : الأسد . (١١) الغيل : مربض الأسد . (١٢) الكدى : جمع كدية وهى الأرض الغليظة ؛ ويقال : ضب الكدية وضباب الكدية لولعها بحفرها . (١٣) السديف : شحم السنام . (١٤) المسرهد : السمين . (١٥) العيس : الإبل .

وكم موقفٍ أسـكرتَ من دمِه القنا وأشبعتَ فيـه السـيفَ حتى تمرَّدا

ولو تجحد الأقرانُ بأسَك فى الوغى أنتك النسورُ بالذى كان شُهَّدا

إليـك نقلناها أخامصَ لم تجد سوى بيتك الأعلى مُناخا ومَقصِدا

ولو بُعدَ المسرَى زجرنا على الوجَى (١) أغرَّ وجيهًا (٢) ووجناءَ جَلْعَدا (٣)

ومثلك من يرجُو الأسيرُ فِكاكَه ولو كان فى جَور الليالى مقيَّدا

لئن كنتَ فى هـذا الزمان وأهـلِه كبيرا لقد أصبحتَ فى الفضل مفردا

* * *

وقال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

حرامٌ عـلىَّ طُروقُ الدِيا رِ ما دام فيها الغزالُ الربيبُ

أشاهـد فى جانبيها هـوايَ لغـيرى ومالىَ فيـه نصيبُ

وقـد كان فوضَى فكان المنى تعـللنى، والتمـنِّى كذوبُ!

فلمَّا تصـيَّده قانـصٌ ألدُّ على ما حـواه شَـغوبُ،

تداويتُ من مرضٍ فى الفـؤاد بيأسىَ، واليأسُ بئسَ الطبيبُ!

فقد وهبَ الثأرَ ذاك الحريصُ ونام على الحقـدِ ذاك الطلوبُ

ومن عزَّ مطلبُـه مُهـمَلا فكيف به وعليـه رقيبُ؟!

فلا حظَّ فيـه سـوى لمحـةٍ تُنافس فيها العيونَ القـلوبُ

(١) الوجى : الحفا . (٢) الوجيه : فرس تنسب اليه جياد الخيل . والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين . (٣) الجلعد : الصلبة الشديدة .

وُجـــود الأمـــير بأمثـاله فكلُّ بعيـدٍ عليـه قـريبُ
وهـوب الجيـادِ وبيضِ القِيا ن والظبيِ يرتجُّ منه الكثيبُ (١)
وعَقَّـار كُومِ (٢) الصَّفايا (٣) إذا تعـــذَّرَ عند الضُّروع الحليبُ
تَعيثُ الأخـــلّاءُ فى ماله كما عاث فى جانب السِّربِ ذيبُ
وما يسـحَرُ القـولُ أخلاقَـهُ ولكنّـه الكرمُ المستجيبُ

* * *

ظفِرتَ ، وويلُ آمّها حُظوةً ، ببـدرٍ تُزرُّ عليـــه الجيوبُ
إذا رُدِّد الطَّـرفُ فى حسـنه أثار البـديعَ وماج الغريبُ
عُبـوسٌ يُولَّد منـــه السرورُ ومن خُلُقِ الخندريسِ (٤) القُطوبُ
وتيـهٌ كأَنْ ليس بدرُ السماء يُلمُّ الكسوفُ به والغُـروبُ
ولـــولا حيـاءٌ تقمَّصـــتُهُ لأجلكَ حجَّ إليـــه النسيبُ
سأطـــوِى على لَهَبٍ غُلَّـــتى إلى أن يُعطَّـــلَ ذاك القَليبُ (٥)
وأعلمُ أنْ ســيباحُ الحمى إذا أظهـر الشعَراتِ الدبيبُ
طِـرازٌ ينمـنِمُ فى العـارضَيْن يُزيَّنُ منـــه الرداء القشيبُ (٦)
فمـا ذلك الحسنُ مســتقبَحا بشَـعرٍ ولو لاح فيه المشـيبُ

---

(١) الكثيب : تل الرمل — والمراد به هنا الكفل فى ارتجاجه — . (٢) كوم : جمع كوماء . وهى الناقة الضخمة السنام . (٣) الصفايا : جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن . (٤) الخندريس : الخمر . (٥) القليب : البئر — وفيه كناية حسنة — . (٦) القشيب : الجديد .

* * *

وكتب إليه وقد بلغه عنه عتبٌ فى تأخّرِ الزيارة :

قد طال لماطلِ أن يُقتَضَى ... وأن يعافِى الحبُّ من أمرضا

سلُوا الذى حالفنى فى الهوى : ... بما الذى كفَّر إذ أعرضا؟ !

ملآن غيظا وفؤادى به ... مقلَّبٌ فى جمراتِ "الغضا"

نادِ على نفسك : هذا القِلَى[1] ... جزاءُ من حَكَّم أو فوَّضا !

صاح ترى برقًا على "جاسمٍ" ... كأنّه هِنديّةٌ[2] تُنتَضَى،

أذكرنى عهدَ "عقيقِ الحِمَى" ... ولا يُعيد الذكرُ ما قد مضَى

سرَى مع الطيف، فهذا لمن ... يسهَر، والطيفُ لمن غمَّضا

إن لم يكن شجوِى فقد شاقنى ... سيّانِ مَن قاتَل أو حرَّضا

تالله لو تُضمِرُ أحشاؤه ... ضميرَ أحشائى لمَا أومضا

حىّ غزالا بين أجفانه ... أسنّةُ الحينِ وسيفُ القضا

رامٍ وما "القارةُ"[3] آباؤه ... يَستغرق[4] السهمَ وما أنبضا

إياك تلقاه بلا جُنّةٍ ... خوفَ سلاحَىْ سُخطه والرِّضا

ما تُجمِعُ الأضدادُ، والرأس لِمْ ... قد جمَعَ الأسودَ والأبيضا ! !

---

(١) القلى : البغض . (٢) الهندية : السيوف — منسوبة الى الهند — . (٣) القارة : قبيلة مشهورة بالرمى : وفى الأصل : « القادة » وهو تحريف . (٤) استغرق السهم : بلغ به غاية المد . وأنبض : جذب وتر القوس لتصوت .

كأنّ فرعِى[1] حَلبــةٌ[2] أرســلوا دُهمــا[3] وشُهبا[4] فوقها رُكَّضا

طالبــةً شــأوَ آمرئ سـابقٍ كلُّ جَنـاح خَلفَـه هُيِّضـا[5]

شـيَّدتِ الاباء من قبــله له البنـاءَ الأطولَ الأعرضـا

مَعـاشرٌ كانت مساعيهُــمُ أغطيةَ الأرض وحشـوَ الفضا

مذ غمســوا فى المـاء أطرافَهم ما أَجَنَ المـاءُ ولا عَرْمَضا[6]

لو وطِئـوا الصخر بأقدامهـم أو لَمســتهُ راحُهــم رَوّضـا

لم تعـدَم الدنيـا ولا الدينُ مِن أبنائهــم وزارةً أو قَضـا

بينـا ترى أقلامَهــم رُعَّفـا[7] حتى ترى أســيافَهم حُيَّضـا

ولم يــزل واطئُ أعقابهــم ينهَض حتى لم يجــد مَنهَضـا

طاب ثَــراه فنما فــرعُهُ ويُخــرِج الزُّبدةَ من أمخضا

محكَّم فى العـلِم إن شـاء أَن يختَــلَّ[8] فى مَرعاه أو يُحمِضـا

كِنانةُ[9] الآداب فى كفِّه مــتى رمَى أسهمَها أَغْرَضـا[10]

يَفهم مَغزَى القول من قبل أن يُرفــعَ أو يُنصَب أو يُخفَضـا

---

(١) الفرع : الشعر . (٢) الحلبــة : الخيــل تجرى للسباق على رهان وهى هنا بمعنى ساحة الجرى . (٣) الدهم : السود . (٤) الشهب : البيض . (٥) هيض : كسر . (٦) عرمض : ظهر به العرمض وهو الطحلب . (٧) رعفا : قاطرة ؛ وأصل الرعاف خروج الدم من الأنف . (٨) يختل : يحتبس فى الخلة وهى نبات حلو ، ومنه : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها . والحمض : ما ملح وأمر من النبات تأكله عند سآمتها من الخلة . (٩) الكنانة : كيس من أدم توضع فيــه السهام . (١٠) أغرض : أصاب .

إيهٍ[1] "أبا نصرٍ" وأنت آمرؤٌ ... لا يستردُّ الدهرُ ما أَقرضا

منحتني الودَّ فجازيتُه ... بالشكر والمُثنِي كمن عوّضا

خيَّم في قلبي نظيرٌ له ... مذ عقَد الأَطنابَ ما قوَّضا

مثل خلال فيك أثوابها ... أَبَى لها التطهيرُ أن تُرحَضا[2]

وكلُّ ما يبنيهِ هذا الهوى ... بالنأيِ والتفريقِ لن يُنقَضا

لا ينفَع القربُ بجسمٍ اذا ... لم يك قلبٌ مُصْغيا مُنغِضا[3]

كم من بعيدٍ عاشقًا وامقا ... ومن قريبٍ شانئا مبغضا

ما زُخرُفُ القول بمُجْدٍ وقد ... غُيِّض[4] في الأحشاء ما غُيِّضا

والسيفُ إن كانَ كَهاما[5] فهل ... يُمضيه أن أَذهِبَ أو فُضِّضا؟!

أُنبئْتُ رَيْبا فيَّ جَمْجَمْتَهُ[6] ... ويبلُغُ التصريحَ مَن عَرَّضا

مرَّ كما مرَّ نسيمُ الصبا ... مزعزِعا بالرِّفقِ ماءَ الأضى[7]

دُعابةٌ ساءت ظنوني لها ... ما ألينَ السيفَ وما أَجْرضا[8]

لم أدر: إنسانٌ به ناطقٌ ... أم حيَّة القُفِّ[9] الذي نَضنَضا[10]؟!

لكنَّ سمعي قاء ما قاله ... كأنه بالصاب قد مُضمِضا

---

(١) إيه: بمعنى زد. (٢) ترحض: تغسل. (٣) المنغض: المتحرك، والمراد به هنا المتحرك بالمحبة والود لا فتور فيه. (٤) غيض: غار. (٥) الكهام: غير القاطع. (٦) جمجمته: أخفيته. (٧) الأضاة: الغدير وجمعه أضى. (٨) أجرض: أغص. (٩) القف: حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة. (١٠) نضنض: حرك لسانه لينفث به.

يروعـــنى عتبُ خليـــلى ولا يروعـــنى الليثُ إذا قَضقضا (١)

وتسكُن الأسرارُ منّى حشًى ليس بهنّ مُخـــدَجا مُجهَضا (٢)

هيهات ! ما الزورُ حُلَى شيمتى ولا لباسُ الغـــدر لى مَعرِضا

ولا لَبـــونى بالأسى حافـــلا (٣) ولا عِشـــارى بالمـــنى مُخَّضا (٤)

معترفٌ بالحقّ من قبل أن يوجَبَ للصـــاحب أن يُفرَضا

وكيف أجفو من هو الروح إن فارقتِ الجسمَ فُـــواقا قضى (٥)

ما الذنبُ إلا للزمان الذى إن ألبس الإنســـان ثوبا نَضا

تقلَّبتْ بى كلُّ حالاتـــهِ وليس فيهـــا حالةٌ تُرتَضَى

إما عـــلَى رَمضـــائه ماشـــيا (٦) أو راكبا شامســـةً (٧) رِيّضا (٨)

من يكن الدهر له ماتحـــا (٩) لا بدّ أن يشرَب ما خَوّضا

جُلْ فى طِلاب الرزق تَظفَرْ به فالسَّجلُ ممـــلوءٌ (١٠) إذا خُضْخِضا (١١)

لطال جوعُ الأُسْدِ لو أصبحت وأعتمتْ فى خِيسها رُبَّضا (١٢) (١٣)

أذمُّ أيامى عـــلى أنـــنى لأحمـــدُ الله عـــلى ما قضى

---

(١) قضقض الأسد : كسر فريسته بأسنانه . (٢) المخدج : الناقص الخلق و إن كان لونه .
(٣) اللبون : الغزيرة اللبن . (٤) العشار : النوق التى نتجت أو هى التى ينتظر نتاجها بعد عشرة أشهر .
(٥) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع . (٦) الرمضاء : الأرض الحارة . (٧) الشامسة : الدابة الممتنعة . (٨) الريض : المنقادة الذلول . (٩) الماتح : نازح الماء من البئر . (١٠) السجل : الدلو : (١١) خضخض : حرك فى الماء . (١٢) الخيس : بيت الأسد . (١٣) ربض : جاثمة فى مرابضها .

* * *

وقال يمدحُ الوزيرَ أبا الفرج بن فَسانْجُس الملقَّب بذى السعادات فى النيروز :

هو منزلُ النجوَى بخالى الأعصرِ ... فمـــتى تجاوزُهُ الركائبُ تُعقَـــرِ

أشـتاقُ دارَهُمُ وليس يشـوقنى ... إلا مجـاورةُ الغـــزال الأحورِ

وأفضِّـــل الطيفَ المُـلمَّ لأنهـم ... هَجَـروا ، وأن طُيوفَهم (١) لم تَهجُـرِ

أرضَى بوعـــدٍ منهُمُ لم يُنتظَـــرْ ... ومن الخيـال بزَورةٍ لم تَعـــبُرِ

لا مأوهم للشـــتكى ظمأً ولا ... نيرانُهـــم للقـابس المتنـــوِّرِ

أثرَوْا ولم يقضُـوا ديونَ غريمهم ... واللُّؤمُ كلُّ اللُّؤم مطلُ الموسِـــرِ

هل ترعوون بأنَّةٍ من مدنفٍ ... أو تسمحون لمطلبٍ من مُقـــترِ؟

أو تتركون من الدموع بقيَّةً ... يلقى بهـا يومَ التفـرُّق مَحْجرى؟

ما آجتاز بعضكمُ بأسرابِ المهـا ... إلا آعترفن عليه مقـلةَ جُـؤذُرِ

يا من تبلَّد بين آثار الحِمَى ... يقفـــو مَعـالِمها بعيـــنَىْ مُنكِرِ،

أنشدْ قضيبَ البان بين مُروطِهم (٢) ... وآطلب كثيبَ الرمل تحت المئزرِ

وإذا أردتَ البدرَ فآبعث نظرةً ... لمطالع بين "اللِّوى" "فمُحَجَّرِ"

أتردُّ يا روضَ "العقيق" ظُلامةً ... رُفعتْ إليك من القِلاصِ (٣) الضُّمَّرِ

---

(١) فى الأصـــل "ظنونهم" وهو تحريف .

(٢) المرط : كساء يؤتزر به .

(٣) القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .

إياك أن تطأَ اللَّعاع[1] بمَنسِم[2] منها وأن ترعَى الجميمَ[3] بمَشفَرِ[4]

لولا النجاءُ[5] من الرواقِص[6] بالفلا لم يُفجَع "النجدىُّ" "بالمتغوِّرِ"

فصَمِمْنَ حتى لاوعت أسماعُها تَصهالَ رعدٍ فى حَبِىٍّ[7] ممطِرِ

وعمِين حتى لا رأت أبصارُها بَرقا كناصيةِ الحِصان الأشقرِ

إن كنتَ تنظرُ ما أرى فانظر الى بانٍ على أكتادِ[8] نَخلٍ موقَرِ[9]

وكأنما رفعوا قبابَهُمُ على شجرٍ بربَّات الهوادج مثمِرِ

أممتِّعى وحشَ الفلا بجمالهم ما ذنْب طرف الهائم المستهترِ[10]؟!

خلَّفتُمُ خِلَّ الصفاء وراءكم كالميْتِ إلا أنّه لم يُقبرِ

بمدامع لمَّا تَغِضْ ومَكاسرٍ لم تَنجبر وجرائحٍ لم تُسبَرِ

وإذا العواذلُ أطفأت صبَواتِه شبَّت لظاها زفرةُ المتذكِّرِ

احذرْ عذارك والعذارُ مغلِّس[11] فاذا بدا صبحُ المشيبِ فأقصِرِ

وَضَحٌ[12] تجنَّبَهُ الغوانى خِيفةَ الـ ـعَدوَى فإن يقرُبْ إليها سُفِرِ

ما كنت أحسبُ أنَّ سيفَ ذؤابتى ينبو بترديد الصّقال الأزهرِ

---

(١) اللعاع : النبت الناعم الأخضر أول ما يبدو . (٢) المنسم : الخف . (٣) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٤) المشفر — بالكسر ويفتح — للبعير كالشفة للإنسان والجحفلة للفرس . (٥) النجاء : سرعة السير . (٦) الرواقص : النوق ترقص فى مشيها . (٧) الحبى : السحاب المعترض اعتراض الجبل . (٨) أكتاد : جمع كتد وهو الكتف (٩) موقر : مثقل . (١٠) المستهتر : الذى يتبع هواه . (١١) مغلس : مظلم — كناية عن سواده — . (١٢) الوضح : ضوء الصبح .

صدأُ النُّصول (١) من الشعور أدلُّ من ... لونِ الجلاء (٢) على كريم الجوهرِ

أأسير فى الليـــل البهيم فأهتدى ... وأضَـــلُّ فى إدلاجِ ليـــلٍ (٣) مقمرِ؟!

ومدحتَ لى صِبْـغَ المشيبِ بأنه ... كافورةٌ ونسـيتَ صِبْـغَ العنـبرِ

وإذا الثنـاءُ على الوزير قَرَنتَـــه ... بهما أقـرَّا للذكـىِّ الأعطـرِ

"فلذى السعادات ابنِ جعفرَ" شيمةٌ (٤) ... من قَرقفٍ صِرفٍ ومِسك أذفـرِ

فى الأرض سبعةُ أبحرٍ، ويمينُـه ... وشِمـالُه تجـرى بعشرةِ أبحـرِ

وهما سحـائبُ، ماؤهنّ لُجينُه ... وبروقُهن من النضار (٥) الأحمـرِ

قَسمت أناملُه المواهبَ فى الورى ... فكأنهـم زَجَروا قـداحَ الميسرِ

وإذا عِشـارُ المـال عُذنَ بكفِّهِ ... فلقـــد عقَلن نفوسَهنّ بمَنحَرِ

ومعـــذِّلٍ، أعيَـا على عُـــذّاله ... فى الجود (٦) قَصُّ جناحِ ريحٍ صرصرِ

وهو السخىُّ وإنما حسدوا اسمَهُ ... فدعَـــوْه فيما بينهـم: بمبـــذِّرِ

طلبوا الذى أُجرِى إليـه فخُيِّبوا ... ومن العنـاء طِلابُ مالم يُقـدَرِ

والأكرمون حَكَوه فى أفعاله ... فعُـــزُوا الى كرمٍ عليـــه مزوَرِ

مازال يبحث عن سرائر وفده ... حتى أجاب إلى السؤال المضمَرِ

---

(١) النصول: خروج الشعر من خضابه. (٢) فى الأصل: «السعود»: وهو تحريف.
(٣) الإدلاج: السير أول الليل. (٤) القرقف: الخمر. (٥) النضار: الذهب.
(٦) الصرصر: الريح الشديدة الهبوب والبرد.

يغزو إليـــه المُقترونَ لعلمهم أنَّ النـوالَ لديه غـــيرُ مخفَّرِ

فى كلّ يومٍ يُلجمون لغـارةٍ فسِـنُوه غير محرَّماتِ الأشهـــرِ

مستنشق عِطـــرَ الثناء بسـمعه ما كلّ طيِّبـة تُشَـــمُّ بمَنخِرِ

متيقِّـــظٌ فمتى تُصِـــبه نَفثـــةٌ للشكر فى عُقَـــدِ المطامع يُسـحَرِ

يسعَى ويكدحُ ثم يُتلفُ ماحوى، عاداتُ أروعَ للأنام مســـخَّرِ

بالله نُقســـمُ : أنه لا خـــيرَ فى حسبٍ ولا نسبٍ لمن لم يُشكَرِ

لو كان مجهـولَ المغارس أخبرت عنـــه شمـائلُه بطِيب العُنـصُرِ

قـــد زان مَخبَره بأجمـــلِ مَنظرٍ وأعانَ مَنظرَه بأحسن مَخـــبرِ

ما مَن نتوج أو تمنطـقَ عسجداً كمطـــوَّق بالمكرماتِ مســـوَّرِ

تحكى أنابيبُ اليراع بكفّه (١) فعلَ الرماح تخاطرت فى "سَمهرِ"

وكأنها الخطباءُ فـــوقَ بنـانه لكن بلاغتُها كلامُ المنـــبرِ

لا تبعـــدنْ هِمـــمٌ له لو أُودِعت عندالكواكب لأدّعاها "المشترى"

وعزائمٌ يَلحُمْن مثـــلومَ الظُّبا (٢) ويُقمنَ أصـلابَ القنا المتأطِّـرِ

إطـراقهُ يُخشَى، ويُرهَبُ صَمتُه، والسـيفُ محذورٌ وإن لم يُشهَرِ

لولاك ما آنتبـه الثرَى بمَناسمٍ (٣) خُلطتْ بطونُ صعيده بالأظهرِ

---

(١) سمهر : قرية فى الحبشة تنسب اليها الرماح .

(٢) المتأطر : المثنى .

(٣) المناسم : الأخفاف .

وسواهم "لبنات نعش" لحظُها ... وخِفافُها تفلى "بنات الأَوْبرِ" (١)

فأنتك أمثالَ السَّعالِي (٢) زُوجتْ ... أشباحَ رُكبانٍ بِكَنَّة "عبقرِ" (٣)

غصبوا النجومَ على السُّرَى وتعلَّموا ... خوضَ الظلام من المطىِّ (٤) الزُّوَّرِ

لا ينظرون وِصابَهم وشحوبهم (٥) ... إلا بِمرآة الصباح (٦) المُسفرِ

لم يلبسوا الأدراع إلا رِيبةً ... لا خيفةً من أبيضٍ أو أسمرِ (٧)

إن لم يُنيخوا فى ذَراك فإننى ... لكفيلُ كلِّ مهنّئٍ ومبشِّرِ

جدِّدْ "بنوروز" الأعاجم رتبةً ... سَمْتَ "المجرة" أو فويقَ "الأنسُرِ" (٨)

وأسرِحْ سوامَك فى رياضِ سعادةٍ ... وعميمِ عُشْبٍ بالعلاء منوِّرِ

فاذا وردت فماء أعذبِ مَوْرِد ... واذا صدرتَ فروْح أفسحِ مَصدَرِ

أهديتُ من كلِمى اليك تحيَّةً ... غراءَ تسترعى حنينَ المِزهرِ (٩)

ولو ادخرتُ المالَ أو أبقيتُه ... يوما أثبتُ بأبيضٍ وبأصفرِ (١٠)

---

(١) السواهم : النوق الضامرة ؛ و بنات أوبر : ضرب من الكمأة تشبه القلقاس أو اللفت ولونها كلون التراب . (٢) السعالى : الغيلان . (٣) عبقر : أرض يقال إنها مملوءة بالجن . (٤) فى الأصل : « المط » . (٥) الوصاب : المرضى ، واحدها : وصب — بكسر الصاد — . (٦) الشحوب : تغير اللون من السفر . (٧) الأبيض والأسمر : السيف والرمح . (٨) يشير إلى كوكبين : هما النسر الطائر والنسر الواقع . (٩) المزهر : العود . (١٠) فى الأصل هكذا « أبت » والأبيض والأصفر : الفضة والذهب .

* * *

وقال يمدح عميدَ المُلك أبا نصر [محمد بن] منصور بن محمد الكُنْدرىّ وزير طُغْرُلْبك عند وصوله إلى العراق فى محرم سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة] : (١)

أكذا يُجازَى ودُّ كلّ قرينِ ... أم هذه شيمُ الظباءِ العِين؟!

قُصُّوا علىَّ حديث من قتَلَ الهوى ... إن التأسِّىَ رَوْحُ كلِّ حزينِ

ولئن كتمتم مشفقين فقُدوتى ... بمصارع "العُذرىِّ" و"المجنونِ" (٢)

فوق الركابِ ولا أطيل مشبِّها ... بَلْ ثَمَّ شهوةُ أنفسٍ وعيونِ،

هُزَّت قدودُهمُ وقالت للصَّبا ... هُزأً : أعند البانِ مثلُ غصونى؟!

وكأنما نقلتْ مآزرُهم إلى ... جَدَدِ الحمى "الأنقاءَ" من "يبرينِ" (٣) (٤)

ووراء ذيلك المقبَّلِ موردٌ ... حصباؤه من لؤلؤ مكنونِ (٥)

إنما بيوت النحل بين شفاههم ... مضمومةً أو حانةُ الزَّرجونِ (٦)

ترمى بعينيك الفِجاجَ مقلِّبا ... ذاتَ الشِّمال بها وذاتَ يمينِ

---

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان حيث استوعب تاريخ هذا الممدوح . (٢) العذرى والمجنون : عروة بن حزام عاشق عفراء بنت عمه ، المنسوب إلى بنى عذرة ، وقيس بن الملوح عاشق ليلى . (٣) الجدد : ما استرق من الرمل . (٤) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . و يبرين : موضع بأصقاع البحرين معروف بكثرة رماله . (٥) الحصباء : الحصى الصغار . (٦) الزرجون : الخمر — فارسى معرب — .

لو كنتَ "زرقاءاليمامة"(١) ما رأت ... من "بارق"(٢) حيًّا على "جَيْرونِ"(٣)

شكواك من ليـل التّمام(٤) وإنمـا ... أرقى بليـــل ذوائبٍ(٥) وقـرونِ(٦)

ومعنّف فى الوجدقلت له : آتئد ... فالدمـعُ دمعى والحنـينُ حنينى

ما نافعى — إذ كان ليس بنافعى — ... جاهُ الصبا وشـفاعةُ العشرينِ

لا تُطـرِقن خجلا للومةِ لائم ... ما أنت أوّلُ حازمٍ مفتـونِ

أأسومهم — وهم الأجانب — طاعةً ... وهواى بين جوانحى يُصـبينى؟(٧)

دَيْنى على ظَبَياتهـم ما يُقتضَى ... فبأىّ حُكْمٍ يقتضون رهـونى؟!

وخشِيتُ من قلبى الفِـرارَ اليهمُ ... حتى لقـــد طالبتُـه بضمينِ

كلّ النّـكال أطـيق إلا ذِلّةً، ... إنّ(٨) العـزيزَ عذابُه بالهونِ

يا عينُ مثلُ قَذاكِ رؤيةُ معشرٍ ... عارٍ عـــلى دنيـاهُمُ والدّينِ

لم يُشـبهوا الإنسانَ إلا أنهـم ... متكوّنون من الحَمَـا(٩) المسـنونِ

نَجَسُ العيون فإن رأتهـم مقلتى ... طهّرتُهـا فنزحتُ ماءَ جفـونى

---

(١) زرقاء اليمامـة : امرأة مشهورة بحـدّة بصرها وكانت ترى ما بعـده ثلاثة أيام واسمها حذام — بالبناء على الكسر — . (٢) بارق : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة . (٣) جيرون : اسم دمشق قديما — وفى ذلك أقوال كثيرة يرجع اليها فى مظانها — .

(٤) ليـل التمام : — بالكسر — أطـول الليالى . (٥) الذوائب : شعر النواصى .

(٦) القرون : الغدائر . (٧) كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش : «أصل هـذه القافية لم يكن ظاهرا» . وهذا يدل على أن الناسخ أثبت هذه الكلمة من عنـده ، ونحن نرجح أن تكون «يعصينى» لمطابقتها لكلمة «طاعة» فى الشطر الأوّل . (٨) فى الأصل «إلا» وهو تحريف .

(٩) الحمأ : الطين ، — وسهلت الهمزة للضرورة — .

أنا إن هُمُ حسبوا الذخائر دونهم ... وهُمُ إذا عدّوا الفضائلَ دونى

لا يُشمِت الحسّادَ أنَّ مطالبى ... عادت إلىَّ بصفقةِ المغبونِ

لا يستديرُ البدرُ إلّا بعد ما (١) ... أبصرتُه فى الضُّمر كالعُرجونِ

هذا الطريقُ اللَّحْبُ (٢) زاجرُ ناقتى ... واليُمُ قاذفُ فُلكىَ المشحونِ

فاذا "عميدُ الملك" حلَّا ربعه ... ظَفِرَا بفال الطائر الميمونِ

مَلِكٌ إذا ما العزمُ حثَّ جيادَه (٣) ... مرِحتْ بأزهرَ شامخِ العِرنينِ

يا عزَّ ما أبصرتُ فوق جبينه ... إلا اقتضانى بالسجودِ جبينى

يحلو النواظرَ فى نواحى دَسْتِه (٤) ... والسرجِ بدرُ دجًى وليثُ عرينِ

عمَّت فواضلُه البريّةَ فالتقَى ... شكرُ الغنىِّ ودعوةُ المسكينِ

قالوا — وقد شنُّوا عليه غارةً — : ... أصِلاتُ جودٍ أم قضاءُ ديونِ؟

أمّا خزائنُ مالِه فمباحةٌ ... فاستوهبوا من علمه المخزونِ

كرمٌ إذا استفتيته بجوابه : ... منعُ اللُّهَى (٥) كالمنعِ للماعونِ!!

ما الرزق محتاجا بعرصته إلى (٦) ... طلبٍ وليس الأجرُ بالممنونِ

لو كان فى الزمن القديم تظلَّمت ... منه الكنوزُ الى يدَىْ "قارونِ"

---

(١) الضمر : الهزال ، والعرجون : أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا . (٢) اللحب : الواضح . (٣) العرنين : الأنف . (٤) الدست : المجلس ، أو هو صدر البيت . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا ، والماعون : الزكاة . (٦) العرصة : ساحة البيت .

وإذا آمرؤ قعدت به همّاتُه خلّى سبيلَ رجائِه المسجونِ

أقسمتُ أن ألقَ المكارمَ عالما أنّى برؤيتــه أبَرَّ يميــنى

شهدتْ علاه أنّ عنصرَ ذاتِه مِسكٌ وعنصرَ غيره من طـينِ

ساس الأمورَ فليس تُخلَى رغبةٌ من رهبـة وبسالةٌ من لينِ

كالسيف رونقُ أثرِهِ(١) فى متنـهِ ومضاؤه فى حــدّه المسـنونِ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا نصر محمـد بن محمد بن جَهـير، ويهنّئه بوزارته للخلافة، وأنفذها اليه من واسـط فى سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة]، ويعرِّض بآبن دارست الوزير وآبن حُصَيْن الكاتب :

لَحـاجةُ قلبٍ ما يُفيـق غُرورُها وحاجةُ نفسٍ ليس يُقضَى يسيرُها

وعينٌ الى الأطلالِ تُزجِى سحابَهـا إذا لوعةُ الأحشاءِ هبَّ زفــيرُها

أكلِّفهـا هطـلا على كلِّ مــنزلٍ فلو أنهـا أرضٌ لغـارت بُحـورُها

وما تجمع العينُ التوسُّمَ والبــكا فهـل تعـرفانِ مقـلةً أسـتعيرُها

وقفنا صــفوفا فى الديار كأنهـا صحائفُ ملقـاةٌ ونحن سـطورُها

يقول خليــلى والظّباء سـوانحٌ : أهذى التى تهوى؟ فقلت : نظيرُها !

لئن أشبهتْ أجيـادُها وعيونُهـا لقد خالفت أعجـازُها وصدورُها

---

(١) الأثر : جوهر السيف .

فيـا عجبي منهـا يَصُـــدّ أنيسُهـا ... ويدنو على ذُعرٍ الينـا نَفـــورُها

وما ذاك إلا أنَّ غِزلانَ "عامرٍ" ... يثقنَ بأن الزائرين صُـقورُها

ألم يكفِها ما قـد جنتهُ شموسُها ... على القلب حتى ساعدتها بدورُها

نكَصنا على الأعقاب خوفَ إناثها ... فمـا بالها تدعـو : تَزالِ، ذُكورُها

ووالله ما أدرى غَـداة نظرننَـا ... أتلك سهام أم كئوسٌ تديرُها؟

فإن كنَّ من نَبـلٍ فأين حَفيفُها (١) ... وإن كنَّ من خمـرٍ فأين سرورُها!؟

أيا صاحبيّ آستأذنا لىَ خُمَّـرَها (٢) ... فقد أذِنتْ لى فى الوصول خدورُها

هبـاها تجافتْ عن خليلٍ يروعُها ... فهـل أنا إلا كالخيـال يزورُها؟

وقد قلتما لى : ليس فى الأرض جَنةٌ ... أما هـذه فوق الركائب حُورُها!؟

فلا تحسَـــبا قلبي طليـــقا فإنمـا ... لها الصورُ سجنٌ وهو فيه أسيرُها

يعِـزُّ على الهِـيم الخوامسِ وِردُها (٣) ... إذا كان ما بين الشفاه غديرُها

أراكَ "الحمى" قل لى: بأىّ وسيلةٍ ... وصلتَ الى أن صادفتـك ثغورُها

وما لى بهـا علمٌ، فهل أنت عالم : ... أأفواهها أولى بهـا أم نحـــورُها؟!

يطيب النسيمُ الرطبُ فى كلّ منزلٍ ... وما كلُّ أرض يستطابُ هجيرُها

وأنَّ فروعَ البان من أرض "بِيشَةٍ" (٤) ... حبيبٌ إلىّ ظلُّهـا وحَرورُها

---

(١) الحفيف : دوى صوت السهام . (٢) خمر : جمع خمار وهو كل ما غطى الرأس .

(٣) الهيم الخوامس : الإبل العطاش ترد فى اليوم الرابع لظمئها . (٤) بيشة : موضع معروف بكثرة الأسود .

ألذُّ من الورد الجنيّ عَرارُها وأحلَى من الشهدِ المصـفّى بَرِيرُها (١)

على رِسْلكم فى الحبّ، إنّا عصـابةٌ إذا ظفِرتْ فى الحبِّ عفّ ضميرُها (٢)

سَواءٌ على المشتاق ـ والهجرحظُّه ـ أألقت عصاها أم أجدَّ بُكورُها

لعمرُك ما سحـرُ الغوانى بقـادرٍ على ذات نفسى والمشيبُ نذيرُها

وما الشعَراتُ البيضُ إلا كواكبٌ مطالعُها رأسى وفى القلب نُورُها

ضياءٌ هـدانى فاهتـديتُ لمـاجدٍ سُهولُ المعـانى طُـرقُه ووُعورُها

أجابَ به اللهُ الخـلافةَ إذ دعت وزيرا فكان من أجنّ ضميرُها

به غَصّ ناديهـا وأشرقَ سـعدُها وأُنعمَ واديهـا وسُـدّت ثُغورُها

تَبـاهَى به يومَ الرحيـل خيامُها وتُزهَى له يومَ المقـام قصـورُها

وقد خفيتْ من قبـله معجزاتُها فأظهـرها حتى أقرّ كَفورُها

فما رأيه الا سَمُـوطٌ لآلئٌ يرصَّـع منهـا تاجُهـا وسريرُها

ولا عجبٌ أن تستطيلَ عِمـادُها وهـذا الهمامُ الأريحيّ وزيرُها

فقـل للّيـالى : كيف شئتِ تقلّبى ففى يدِ عبـلِ (٣) الساعدينِ أمورُها

يدٌ عبِقت بالمكرُمات وضُمّخت وما الطيبُ إلا مسكها وعبـيرُها

إذا كان خاتامُ (٤) الخلافةِ حَلْيَهـا فأىّ افتـخار يستزيد فخـورُها

---

(١) البرير : أول مايظهر من ثمر الأراك .
(٢) الرسل : الرفق والتؤدة .
(٣) العبل : الضخم .
(٤) الخاتام : الخاتم .

وما صيغ لولا معصماهُ سِـــوارُها ... ولا صين لولا مَنكباه حريرُها

أمانيُّ فى صـــدر الوزارةِ بُلِّغتْ ... به كُنهَها حتى آستحقَّتْ نُذورُها

لوتْ وجهها عن كلّ طالب مُتعـةٍ ... إلى خاطبٍ حِلَّ عليـــه سُفورُها

ومن ذا "كفخر الدولة" آستامها له ... وما كلُّ نجم فى السماء منـــيرُها

آلانَ(١) رأينـا فى مجالس عزِّها ... مجالسَ تُملَا بالعَـــلاء صـدورُها

كأنَّ على تلك الأرائك ضيغما ... له نأماتٌ(٢) لا يجـابُ زئـــيرُها

إذا مَثَـلَ الأقوامُ دون عَرينِه ... تساوَى به ذو طيشها ووقورُها

تكاد لِمـا قد أُلبست من سكينةٍ ... ترِفُّ على تلك الرءوس طيـورُها

دعوا المجـد للرّاقى إلى كل قُـــلَّةٍ(٣) ... يشُـقُّ على العَوْدِ(٤) الذلول حُدورُها

لذى الخَطَراتِ المخبراتِ يقينَـــه ... بمستقبَل الحالاتِ ماذا مصـيرُها!

ألم تعلموا أنَّ النعائمَ فى الثرى ... وأن البُزاةَ فى الشِّعاب وُكورُها

وقد علمت أبنـاءُ "هاشمَ" كلُّها ... بأى آبن هَـــمٍّ قـد أُمِرَّ مَريرُها(٥)

بمكتهِلِ الآراء لـو زاحمـوا به ... جبالَ "شَرَوْرَى" لارجحنَّت صُخورُها(٦)

مقـــيم بأطرافِ المكارم سـائل ... ركابَ بنى الحاجات : أين مسيرُها؟!

---

(١) يريد « الآن » لخفف للضرورة . (٢) النأمة : صوت الأسد . (٣) القلة : رأس الجبـل . (٤) العود : الجمل المسن ؛ والحدور : الانحدار . (٥) المرير : الحبل المحكم الفتل . (٦) ارجحنت : مالت واهتزت .

جزى اللهُ ربُّ الناس خـيرَ جزائه ركائبَ تخـدِى بالمكارم عِـيرُها

وأسقَى جيادا سِرنَ بالبأس والندى من السارياتِ الغـاديات غزيرُها

تناقلن من علياءِ دارِ "ربيعـةٍ" و"بَكرٍ" بأنواءٍ يفيض نميرُها (١)

تخطّت شُعوبا من ذؤابة "عامرٍ" لها العـزُّ حامٍ والنجاحُ خفـيرُها

وساعدها من آلِ "جُوثَةَ" (٢) عصبةٌ إذا ثوب الداعى يعـزُّ نصيرُها

حماةُ السيوف والرماح حِمَامُها وأحشاءُ ذؤبانِ (٣) الفلاة قبورُها

قِبابهـم السمرُ الطوالُ عِمادُها ومُقربَةُ الخيلِ العتاقِ ستورُها

وأفنيـةٌ مثـلُ الروابى جِفانُها ومثـلُ الجبال الراسيات قدورُها

إذا طَرقَ الأضيافُ غنّت كلابُها وناحت بشجوٍ شاتُها وبعـيرُها

فاخطت "الجُودِى" (٤) حتى تراجفتْ اليهنّ آكام "العراقِ" وقُورُها (٥)

وكادت لها "بغدادُ" يوم تطلّعت تسـيرُ مغانيها وتجمـحُ دُورُها

فلم تك إلا هِجـرةٌ "يثربيّـةٌ" حقيقٌ على رهطِ "النبىّ" شُكورُها

فلله شمسٌ، مغربُ الشمسِ شرقُها وفى حيثما شاءت طُلوعا ذُرورُها (٦)

أعدْتَ الى جسم الوزارة رُوحَـهُ وما كان يُرجَى بعثُها ونُشـورُها

---

(١) النمير : العذب الصافى .
(٢) جوثة : موضع أوحى ؛ وتميم جوثة منسوبون اليهم .
(٣) ذؤبان : جمع ذئب .
(٤) الجودى : جبل فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل .
(٥) قور : جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو هى الصخرة العظيمة .
(٦) الذرور : الطلوع .

أقامت زمانا عنـــد غيرك طامثـا (١) وهـــذا الزمان قُرءُهـا (٢) وطَهورُها

من الحق أن يُحبَى بهـا مستحقُّها ويُنزَعَهـا مردودةً مســتعيرُها

إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها أشار عليهـا بالطـلاقِ مُشـيرُها

أظنَّ آبنُ "دارستَ" الوزارةَ تَلعةً (٣) "بفارسَ" قد عُدَّتْ عليه بُدورُها (٤)

وإن هضاب المجد ليست بمَزلَقٍ؛ لأحنفَ (٥) كابى الحافرين عُشـورُها

ألَمّـا يكن فى نسجِ "تُوَّجَ" (٦) شاغلٌ له عن تعاطى رتبـــةٍ لا يطورُهـا (٧)

أقول وقـــد واراه عنّـا حِجابُه : رويدَكَ دون الفاحشات سُتورُها

وأعلقه بآبن "الحُصَيْن" سفاهةٌ ألا خابَ مولاها وســاء عشيرُها

فأعدَى إليـــه رَأيَهُ فأبادَه كما أهلك "الزَّبّاءَ" (٨) يوما "قَصيرُها"

وهل نجمه الهـاوى سوى دَبَرانهـا (٩) وهـل ريحُـــه الهوجاءُ (١٠) إلا دَبورُها

وأطـــربه تحت الرِّواق نُهـاقُه (١١) وليس يروق الأُتْنَ (١٢) إلا حَميرُها

وما كان ظنّى أن للـذئب وقفـــةً (١٣) وقـد جرَّ أرسانَ (١٤) الأمور هَصورُها

(١) الطامث : الحائض . (٢) القرء : الطهـر من المحيض ، وفى الأصـل « قرها » وهو تحريف . (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٤) بدور : جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم . (٥) الأحنف : الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها بأصابعها . (٦) توج : مدينة بفارس تصنع فيها ثياب من الكتان ذات ألوان حسنة . (٧) لا يطورها : لا يقرب منها . (٨) الزباء : لقب ملكة الجزيرة وقصتها مع قصير بن سعد مشهورة . (٩) الدبران : منزل للقمر . (١٠) الهوجاء : الريح التى لا تستوى فى هبوبها ؛ والدبور : الريح الغربية . (١١) فى الأصل «نهامة» وهو تحريف . (١٢) الأتن : جمع أتان وهى الأنثى من الحمير . (١٣) الأرسان : الحبال ، واحدها رسن . (١٤) الهصور : الأسد .

فأرضُ رُعاءِ البَهْـــمِ إلا تُقِـــرَّه يُعقَّرْ بنـابٍ لا يُبِـــلُّ عقـــيرُها

ولا تُلقِيَنَّ البأسَ عنـد آحتقارِه ألا ربما جرَّ الخطـوبَ صـغيرُها

بودّيَ لو لاقيتُ مجـــدَك تاليًـا (١) مناقبَ أُســـديها له (٢) وأُثيرُهـا

ولكنني أبعدتُ في الأرض مذهبي (٣) لإعزاز نفسٍ قد جفاها عَذيرُهـا

وهجهج بي (٤) عن أرض "بغدادَ" ذِلّةٌ (٥) كوخزسنانِ السـمهريّ (٦) حُصورُها

لأمثالها تعـــلو الجيـادَ (٧) سُروجُها ويلتقم الحَرْفَ العَلَنـــداةَ (٨) كُورُهـا

فـكدت بأن أنسى لذاك فصاحتي سوى أنّ طبعا في الحَمـام هديرُها

تركنا رُبَى "الزوراء" (٩) جَنادبُ يعلو (١٠) خِلالَهـا الهجير (١١) صَريرُهـا

وقلتُ : بـــلادُ الله رحبٌ فسيحةٌ (١٢) فهل معجزي أُخوصة أســتجيرُها

وقد تترك الأســدُ البـلادَ تنزُّهًـا إذا ما كلابُ الحيّ لجَّ هريرُهـا

أقامت بمثـــواك الليـالي مُنيخةً مكـرَّرةً أيامُهـا وشُهورُهـا

يؤرِّخُ من ميلاد سعدك عَصْرُهـا وتُحصَى بأعمـار النسور دُهورُهـا

فدونكها للتـاج يُبتـاعُ دُرُّهـا "فرزدقُها" غوّاصها و"جريرُها"

وقـد زادها حسـنا لعينيك أنهـا على مسمعَيْ "داود" يُتلَى "زَبورُها"

---

(١) أسدى الثوب : جعل له سدى . (٢) أثار الثوب : جعل له نيرا وهو ضد أسدى .
(٣) العذير : النصير . (٤) هجهج بي : زجرني . (٥) السمهري : الرمح — منسوب الى سمهر وهي بلدة بالحبشة — . (٦) الحصور : الأسر . (٧) الحرف العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٨) الكور : الرحل . (٩) يزو : يثب ؛ والجنادب : الجراد . (١٠) الهجير : شدة الحر . (١١) صريرها : صوتها .
(١٢) الأخوصة : مجثم الدجاجة والنعامة .

* * *

وقال يمدحه، ويهنئه بعوده الى الوزارة بعد أن عُزِل عنها :

قـد رجـعَ الحقُّ الى نِصـابهِ ... وأنت من كلّ الورى أولَى بهِ

ما كنت إلا السـيفَ سلَّه يدٌ (١) ... ثُمّ أعادتـه إلى قِـرابهِ

هزَّتهُ حتى أبصـرتْهُ صـارما ... رونقُـه يُغنيه عن ضِرابهِ

أَكرِمْ بهـا وزارةً ما سلَّمت ... ما آستُودِعت إلا الى أربابهِ

مشـوقة إليـك مذ فارقتَها ... شوقَ أخى الشّيب إلى شـبابهِ

مثلُك محسـودٌ ولكن معجز ... أن يُدرَكَ البـارقُ فى سحـابهِ

حاولهـا قومٌ ومن هـذا الذى ... يُخْرِجُ ليثا خادرا من غابهِ

يُدمِى أبو الأشـبال من زاحمَـهُ ... فى خِيسـهِ بظُفـره ونابهِ

وهـل سمعتَ أو رأيت لابسا (٢) ... ما خلَع الأرقمُ (٣) من إهـابهِ

لا تحسَـبا لهوَ الحديث ماحيا ... حَـتما (٤) قضـاه الله فى كتابهِ

مرُّ النسـيم غاديا ورائحـا ... لا يُزلقُ الأعصمَ (٥) عن هِضـابهِ

وليس يُعطى أحـدا قيـادَه ... أمرٌ، لسـانُ المجد من خُطّابهِ

تيقّنـوا لمـا رأَوهـا صـعبةً ... أن ليس للجـوّ سـوى عُقـابهِ

---

(١) القراب : غمد السيف . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الإهاب : الجلد .
(٤) فى الأصل «ختما» وهو تصحيف . (٥) الأعصم : تيس الجبل يعتصم به .

إن الهـــلالَ يُرتَجى طـــلوعُه بعـــد السَّرارِ[1] ليـــلةَ ٱحتجابهِ
والشمس لا يُوءَس من طُلوعِها وإن طواها الليـلُ فى جِلبـابهِ
ما أطيبَ الأوطـانَ إلا أنهـا للمـــرء أحـــلَى أثَرَ ٱغـــترابهِ
كم عَودةٍ دلَّت عـلى دوامها، والخُـــلدُ للإنسان فى مآبه
لو قَرُبَ الدُّرُّ عـــلى جالبـــه ما لجَّجَ الغـائصُ فى طِـــلابه
ولـــو أقام لازما أصـــدافَه لم تكن التيجانُ فى حسـابه
من يعشق العلياءَ يلقَ عنـدها ما لقَى المحبُّ من أحبـابه
طورا صـــدودا ووصالا مرّةً ولذّةُ الـــوامقِ فى عتـابه
وربّمـا ٱعتاصَ[2] الذى تأمُلُه وأصبحَ المخوفُ من أسبابهِ
ما لـــؤلؤ البحـر ولا مَرجانُه إلا وراءَ الهول من عُبـابهِ
ذلَّ "لفخرالدولة" الصعبُ الذُّرَى وعـــلَّم الأيام من آدابهِ
وٱســـتخدم الدهرَ فمـا يأمره إلا أتى الطـاعةَ فى جوابه
يكاد من تهذيبـــه أخلاقَهُ أن يســـتردَّ الغـدرَ من ذئابهِ
قـــد طأطأتْ أيامُه أعناقَها خاضـــعةً تســـير فى رِكابهِ
كأنهـا عصائبٌ من طالبى ثـــوابهِ أو خائـــفى عِقـابهِ

(١) السرار : آخر الشهر .

(٢) اعتاص : صعب وصار عويصا ، وفى الأصل : «اعتاض» وهو تصحيف .

إن أخطأتْ واصلت آعتذارَها وإن أصابت فهو من صــوابهِ

يا ناشــد الجُود وقــد أضــلَّه مالك لا تبغيـــه فى جَنـابهِ؟

حيث أقام أبصرَ الناسُ الندى تُشـــير كفاه الى قِبـابهِ

ترى وفودَ الشـكر حولَ بيتـــه كأنهـا الأوتادُ فى أطنـابه

ما ثوَّروا(١) الآمال عن صــدورهم إلا أناخت بفِنـاء بابهِ

وكيف لا يهـــوَى الرجاءُ رَبعَه وليس مَرعاه ســـوى أعشابهِ

قَـلَّد أيدى المكـرُماتِ إذنَهُ فرفَعتْ من طَرَفَىْ حِجـابهِ

لا تسئلنَّ عن مدى معروفه أو تســـل الوسمىَّ(٢) عن مَصابهِ؟!

يكفيـك ما يبسُـطه من بِشره أن تطلبَ الإذن الى حُجَّـابهِ

يطغَى بتكرير الســؤال رفـدُه والدَّرُّ جيَّاشٌ(٣) على آحتــلابهِ

هو الذى أفعـالُه من حسـنِها كأنمـا آشتُقِقن من ألقابهِ

مَن حسَبُ السـؤددِ فى صميمهِ ونسبُ العليـاء فى لُبـابهِ

كالسمهرىّ عزمُه لو لم يكن ينقُص عنـــه الرمحُ بآضطرابهِ

شـكرا وزير الوزراء تســـترد أضعافَ ما بُلِّغتَ من وَهابهِ

قِدمتَ كالغيث أصاب ظامئا ســـوَّفه الخَـــدَّاعُ من سَرابهِ

كم ساجدٍ لمّـا سموتَ طالعـا كأنه صـــلَّى الى محـــرابهِ

---

(١) ثوروا الآمال: هاجوها وجعلوها ثائرة. (٢) الوسمى: أوّل المطر. (٣) جياش: متدفق.

وصائم رؤياك قـد أغنته عن طعـامه طِيبـا وعن شرابهِ
ولو أطاق الدَّستُ سـعيا لسعى مســتقبِلا يختـال فى أثوابهِ
كان حشاه قِلقا حتى آحتبى فى صــدره من كان من آرابه
أقمت فى نعماءَ مطمئنّــةٍ تُحكِّم الفــؤادَ فى إطــرابهِ
تساعد الدنيـا عــلى زينتها وتغلب الدهر عــلى أحقـابهِ
ألقت عصاها وآرتمت ركابُهـا فى سُرَرِ الوادى وفى شِــعابهِ
قد أُعفىَ المـارنُ (١) من خَشاشـهِ (٢) ورُوِّحَ الغـاربُ (٣) من أقتـابهِ (٤)
عــلى يديك المرتجَى إنعـامُها تابَ غرابُ البين من نُعابهِ

* * *

وقال أيضا فيه ، ويذمّ آبن دارست ، ويذكُر مصيرَ هذا الى العراقِ من البلاد العُليا ، وهذا من السفلَى :

قالوا : وزيرانِ ، هوَى نجمُ ذا ونجمُ هـذا قـد علا طالعـا
كذلك الدهرُ يُرَى خافضـا طورا وطورا قد يُرَى رافعـا
قلتُ : قياسٌ ويحكم زِبْرِجٌ (٥) جوهرُه لا يقبــلُ الطابعـا (٦)

---

(١) المـارن : الأنف . (٢) الخشاش : خشبة تعترض أنف البعير . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) أقتاب . جمع قتب وهو الرحل على قدر السنام . (٥) الزبرج : الذهب .
(٦) فى الأصل «الطائعا» وهو تصحيف .

هذا أتى من "آمِدٍ"(١) ساميا وذا أتى من "فارسٍ" خاضعا
كم بين من وُلِّىَ من فوقها فقـــرَّ فى مركزها وادعا،
وبين من رُقِّىَ من تحتها فخـــرَّ من ذِروتها واقعا
نطَّرِحُ الباطنَ ما بيننا ونستفيدُ الظاهر الذائعا
اِبنُ "جَهيرٍ" وٱبنُ "دارسْتِكم" بأىِّ لفظٍ يُعجِبُ السامعا
أليس مطبـــوعا على قلبـــه من ظنَّ تيسا أسدا رائعا!

* * *

وقال يمدحُ ولدَه عميدَ الدولة، ويهنئُه بالخِلَعِ عليه وٱستخلافِه على الوزارة :

قـــد بانَ عذرُك والخليطُ مودَّعُ وهوَى النفوسِ مع الهوادج يُرفَعُ
لك حيثما سمت الركائبُ لفتـــةٌ أتُرى البـــدورُ بكل وادٍ تَطلعُ!
لله مطـــوىٌّ عـــلى زفَـــراتهِ لم يقضِ من ظمأ ولا هو يَنْقَعُ
قرُبت أمانىُّ النفـوس وعنـدَه أمـــلٌ تُخُبُّ(٢) به الركابُ وتوضِعُ
ونأتْ مَطارحُ قلبـه عن سمعـه فالعـاذلون بهنّ حَسَرَى(٣) ظُلَّـــعُ(٤)
ما خاف فى ظُـلَمِ الصـبابةِ ضلَّةً إلا ودلَّتْـــه الـــبروقُ اللُّمَّـــعُ
فى الظاعنين من الحِمَى ظبىٌ له الـ أحشـاءُ مرعًى والمآقى مَكرَعُ

(١) آمد : بلد قديم حصين يحيط بأكثره نهر الدجلة كالهلال . (٢) الخبب والإيضاع : ضربان من السير . (٣) حسرى : معياة . (٤) الظلع : التى فى مشيها غمز يشبه العرج .

ممنوعُ أطرافِ الجمال، رقيبُـــه حِذرٌ عليـه، والغيـــورُ البرقُـعُ
عهِـدَ الحبـائلَ صائداتٍ شِبهَهُ وآرتابَ، فهو لكلِّ حبلٍ يقطعُ
لم يـــدرِ حامِي سِربهِ أنّى اذا حُرِمَ الكلامُ له، لسـانى الإصبعُ
وإذا الطُّيوف الى المضاجع أُرسِلت بتحيـــةٍ منه فعيـــنى تسـمعُ
ويح الألى آنتجعوا الغمامَ وعندهم بين المحـاجرِ ديمـــةٌ[1] ما تُقلعُ
لجـُوا الى عزِّ الخدور وفى الحشا بيتٌ أعزُّ من الخـــدور وأمنعُ
هـــل فى قِبابهم اللواتى رفّعـوا مبنيّـــةٌ أطنـابهُنَّ الأضـــلُعُ؟!
لهُمُ مَصيفٌ فى الفؤاد ولو سُـقِى ماءَ الوصـال لكان فيـه مَربَعُ
يا كاسرَ النَّجلاءِ تُرسـل نظـرةً خَطفا كلحظ الريمِ[2] وهو مروَّعُ
لسوى أسنّتك المجنُّ مضـاعَفٌ ولغير أسهمك السـوابغُ[3] تُصنَعُ
لى حيـــلةٌ فى كلّ رامٍ مُغرِضٍ[4] لو أنه فى غـــير قوســـك ينزِعُ
أطيبْ بأطلالِ "الأراك" ونفحةٍ باتت بمسراها الرجالُ تَضَـــوَّعُ
ومواقفٍ لم ألقَ مَولًى راحمـا فيهـا ولم أظفَر بخِـــلٍّ يشـــفعُ
لولا الذين البيـــدُ من أوطانهم ما كان يملِكنى الفضـاءُ[5] البلقعُ
آنستُ من أطلالهم ما أوحشوا وحفِظتُ من أيّامهم ما ضـيّعوا

---

(١) الديمة: المطرة الدائمة . (٢) الريم — ويهمز — الغزال . (٣) السوابغ : الدروع . (٤) المغرض : الذى يصيب الغرض وهو الهدف . (٥) البلقع : القفر .

ورضيتُ بالمُهـدِى إلىّ نسيمَهم ... إن المحب بما تيسّر يَقنَعُ

ولقد حللتُ حُبَى الظلام بفتيـةٍ ... أَلِفَتْ وجوهَهُم النجـومُ الطُّلَّعُ

قَرَوُا الهمومَ جسـومَهم ونفوسَهم ... وبطونُهـا بسـواهُمُ ما تشـبعُ

وسَرَوا بأشباحٍ تجـاوَزها الردى ... إذ لم يكن فيهـا له مستمتَعُ

لا قتْ بهم خُوصُ(١) المهارَى مثلما ... لاقى بأربَعِهـا الثرى واليَرْمَعُ(٢)

فى حيثُ لا زَجَلُ(٣) الحُداة مردَّدٌ ... خوفَ الهلاك ولا الحنينُ مرجَّعُ

قلِقَت بهـم قلقَ اللديغ كأنمـا ... ظنَّت سياطَهُمُ أراقمَ تلسـعُ

فتَـل الذُّءوبُ لحومَها(٤) بشحومِها ... فتشابهت(٥) أثباجهـا والأنسُـعُ(٦)

متباريات بالنَّـجاء(٧) كأنمـا ... وضَعت رهونا سُـوقُها والأذرعُ

وإلى "عميد الدولة" آعتسفت بنا ... أنضاؤها(٨) حتى هنـاها المرتَعُ

من عندَه الظلُّ الظليلُ ومنهلُ الـ ... ـعذب المصفَّق والجنـابُ المُمرِعُ

والغـادياتُ انساريـاتُ بريقُهـا ... ولِبانُهَـا يسقى الرجاءَ ويُرضَـعُ

ما زال يُفهمنـا العـلاءُ صنيعَه ... حتى علمنـا ما الأغرُّ الأروعُ

---

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء وهى التى غارت عينها . والمهارى : جمع مهرية وهى الإبل المنسوبة الى مهرة بن حيدان وهى نجائب تسبق الخيل . (٢) اليرمع : حصى بيض تلمع وهى رخوة إذا فتتّ انفتت . (٣) الزجل : الصوت . (٤) فى الأصل "فتشابهن" .

(٥) أثباج : جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر . (٦) أنسع : جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد ، والساق والقدم (٧) النجاء : السير السريع . (٨) أنضاء : جمع نضو وهو المهزول من السير .

يخشى سهامَ الذمّ فهو مسالما ومحاربا بنواله يتدرَّعُ

غرسَ الصنائعَ فاجتنى ثمراتِها شكرا، وكلُّ حاصدٌ ما يزرعُ

عيدانُ مجدٍ لا تلين لغامزٍ وجبالُ عزٍّ مَرْوُها(١) ما يُقرَعُ

ومناقبٌ يقضِى لها متعنِّتٌ فى حكمه ويجيزها(٢) متتبِّعُ

كم أزمةٍ خَرِسَتْ رواعدُ سُحبِها وسحابةٍ فيها خطيبٌ مِصقَعُ

وإذا المطالبُ بالمئام تعثَّرت ظلّت مواهبُه بهنّ تُدَعدِعُ(٣)

تبِعوا مساعيَهُ فلمّا أبصروا بُعدَ المسافة أفردوه وودّعوا

إنّ المعالىَ صعبةٌ لا تُمتطَى والمأثُراتُ ثنيّةٌ(٤) ما تُطلَعُ

يقِف الثناءُ عليه وقفةَ حائرٍ ممّا تسُنُّ له يداه وتشرَعُ

إن قصّرت مُدّاحه عن وصفه فعجائب البحرين ما لا تُجمعُ

قلِقُ اللواحظ أو تقرّ بزائرٍ كالمضرحىّ(٥) لصيده يتوقّعُ

فهناك أبلجُ ما وراء لثامِه ملآنُ من ماء البشاشةِ مُترَعُ

هو قِبلةُ المجد التى ما مِلّةٌ إلا وتسجُدُ نحوها أو تركَعُ

تتناسب الأهواءُ فى تفضيله والقولُ فى أديانها يتنوّعُ

---

(١) المرو : حجارة براقة صلبة، واحدها مروة. (٢) فى الأصل «ويجيرها» وهو تصحيف.

(٣) تدعدع : تقول لها : دع دع وهى كلمة – ساكنة الآخر – تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش، كما يقال : لعا.

(٤) الثنية : طريق العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبال. (٥) المضرحى : الصقر، أو النسر الطويل الجناح، وكلاهما مشهور بحدّة البصر.

عِلمًـا بأنّ الشمس ما فى عينهـا ... رمَدٌ ولا ثوبُ السـماء مرقَّعُ

يا دهرُ لا تَعرِضْ لمن آراؤه ... فى مَفصِـل الجُـلَّى تَحُزُّ وتَقطـعُ

لطُـفَت وجلَّ فعالهـا ولطالمـا ... نزحَ النجيعَ (١) من العروق المِبْضَـعُ (٢)

وله عزائمُ ضـاق عنهـا ذَرعهُ ... كالسيل غصَّ به الطريقُ المَهيعُ (٣)

شوسٌ (٤) إذا آستدعتْ أنابيبَ القنا ... أبصرتَها من سُرعة تـتزعزعُ

إياك تنحتُ فى جوانبِ كُدْيةٍ (٥) ... بالحارشينَ (٦) ضِبابُها لا تُخـدعُ

أنسيتَ إذ قارعتَـه عن مجـده ... فرجعتَ مفـلولا وأنفُك أجدعُ (٧)

أيّامَ جاهـدَ فى أبيـه بهمّـةٍ ... هجـعَ الظلام وعينُهـا ماتهجَـع

حتى آطمأنَّ من الوزارة نافـرٌ ... وثُنى إليـه لِبتُهـا (٨) والأَخـدعُ (٩)

وآسـترجعتْ عذراءَ لم يَنعَمْ بهـا ... بعـلٌ كما آرتجع الوديعـةَ مودِعُ

ومشى أمام جيـادهِ مسـتقبِلا ... من كان أمسِ وراءَهنّ يُشيِّعُ

بالرفق تحـطُّ الوعولُ (١٠) من الذُّرى ... ويصاد يَربوعُ (١١) الفـلا المتقصِّعُ (١٢)

هـذا أمـيرُ المؤمنين وظنّـه ... بالغيب مِرآةٌ تضيء وتلمـعُ

---

(١) النجيع : الدم . (٢) المبضع : المشرط . (٣) المهيع : الواسع .

(٤) شوس : جمع أشوس وشوساء وهو الجرئ على القتال الشديد . (٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب . (٦) الحارش : صائد الضب من كديته التى حفرها . (٧) أجدع : مقطوع . (٨) الليت : صفحة العنق . (٩) الأخدع : عرق فى الرقبة .

(١٠) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (١١) اليربوع : حيوان أشبه بالفأر إلا أنه كبير عنه قصير اليدين . (١٢) المتقصع : الداخل فى القاصعاء وهى جحر اليربوع .

لمـا تنسّم من شمـائلِ عِطْفـــهِ ... ارجَ الكفاية فائحـا يتضـــوّعُ،

ناجاه بالوادى المقـــدّس نابذا ... كَلِمًا تلين لهـا القلوبُ وتخشعُ

وكساه من حُلل الدِّمَقْسِ(١) جلابيا ... كالروض بل منه أغضُّ وأنصعُ

فكأنهـا نُسجَت بجنّـــةِ عبقـرٍ(٢) ... أو ظـلَّ يرقمُهـا الربيعُ ويطبَـعُ

لو أنهـا دِمَنٌ أقامت بينهـا ... وُرْقُ الحمـائم تستهِلُّ وتسـجَعُ

إن أُكلمتْ حسنا فقد زُرّت على ... جسـدٍ يكلّل بالعـــلا ويرصّـعُ

وأعاضه من تاج "فارسَ" عِمةً ... إذ عنـــده تاجُ الأعارب أرفعُ

كالليـل إلا أنهـا قد طُـرِّزت ... شـــفَقا على آفاقهـا يتشعشعُ

ما أشرقُ الألوان إلا سُـــودُها ... ولأجل ذا لونُ الشبيبة أســـفعُ(٣)

أمثالُهـا فـــوق الرءوس وهـذه ... فوق الزرانةِ والحصانة(٤) توضـــعُ

وحباه من قُبّ(٥) العتاقِ بضـامرٍ ... كالذئب زعزعَ منكبيْه مَطمَـعُ

لا تُثبِت العينـانِ أين مقـــرُّهُ ... فى الأرض لولا نقعُـــه(٦) المترفّـعُ

يقظانُ تحسَب سَرجَه ولجامَـــه ... فى لُجّـــة أمواجُهـا تتدفّـــعُ

يخطو فيختصر البعيدَ من المَـدى ... بقـوائم مثـلِ البليـــغ تُوقّـــعُ

بالســـبق متفـــردٌ بلَى فى متنه ... منـه الى طُـرُق المعـالى أسرعُ

---

(١) الدمقس : الحرير . (٢) عبقر : موضع تنسب اليه الجن . (٣) الأسفع : الأسود . (٤) كذا فى الأصل ويحتمل أن تكون «الحصافة» . (٥) قب العتاق : الخيل الضامرة البطن ، واحدها : أقب وقباء . (٦) النقع : الغبار .

إن الخليفـــةَ للزمان وأهـــلِهِ طَودٌ من الحَدَثانِ لا يتضعضَعُ

هو فى الدجى بدرٌ ينير وفى الضحى شمسٌ لها فى كل أفقٍ مطلعُ

و"بنو جَهير" دَوحةٌ فى ملكه أفنانُها وغصونُها تتفرّعُ

بوزيرها وعميدها وزعيمها و"جهيرها" أبدا يُضَرُّ ويُنفَعُ

القارحُ(١) المـــوفى عليها سابقٌ ورَباعُها(٢) وثَنيُّها(٣) والمُجذِعُ(٤)

كلٌّ له يـــومَ الفخار مناقبٌ ثمّ الأكابرُ فضلُها لا يُدفَعُ

لله أربعةٌ بهم هـــذا الورى وكذا حكَوْا أن الطبائع أربعُ

"أحمدُ بن محمدِ بنِ محمـــدٍ" وعُلاكَ منصتةٌ تجيبُ وتسمَعُ

لا كان هـــذا الدهرُ إن عطاءَهُ بالله يسمُجُ فى العقول ويفظُعُ

ما بال أقـــوامٍ به لو أُنصِـــفوا رُدّوا على باب النجاح ودُفِّعـــوا

ما كان قطُّ لهم على دَرَج العـــلا مرقًى ولا عند الصنيعة موضعُ

وأرى المعـايشَ بينهم مقسومةً كالغُـــنم يُخمَسُ(٥) تارة أو يُربَعُ(٦)

وأعابهم(٧) نفـــرٌ بلا سببٍ سـوى أن المعـايبَ بين قومٍ تجمَعُ

---

(١) القارح : من الخيـــل بمنزلة البازل من الإبل . (٢) الرباع : — من الخيل — ما استتم السنة الرابعة . (٣) الثنى : — من الخيـــل — ما استتم السنة الثالثة .

(٤) المجذع : الذى صار جذعا وهو ما قبل الثنى . (٥) فى الأصل « كالفيم » وهو تصحيف .

(٦) يربع ويخمس : يؤخذ ربعه وخمسه . (٧) كذا بالأصل ، والوارد فى المعاجم « عاب » بغير التعدية بالهمزة ، ولعلها « قد عابهم نفر ... الخ » .

أأُذادُ عن بَرْدِ الحياض ومثلُهم ... يُدعَى إلى العَذبِ الزلالِ فيكرَعُ

فأبذُرْ عوارفَك الجسامَ بتُربةٍ ... يزكو بها ثمرُ الجميلِ ويونعُ

هذا مقالى إن هززت فعنده ... ما يَحسُنُ المطبوعُ والمتطبّعُ

ويدى إذا استخدمتَها وبسطتَها ... حسدتْ أناملَها الرياحُ الشُّرَّعُ

ما بى إلى الشفعاء عندك حاجةٌ ... ولسانُ فضلك شافعٌ ومشفّعُ

* * *

وقال يودّعه عند توجُّهِه فى الرسالة إلى خراسان :

من رأى المجدَ يُثير القِلاصا (١) ... والعُلا تُزجى العِتاقَ الخِماصا؟! (٢) (٣)

والقِبابَ البيضَ قد وعَدُوها ... بالمعالى فاستطالتْ خِراصا (٤)

"بعميد الدولةِ" الأرضُ تُطوَى ... حين (٥) لا ترجو النجومُ خَلاصا

وبفِلجُ السعى بين يديه ... تشترى الآمالَ منه رِخاصا

مذ رأيناهُ سحابا عجِبنا ... كيف يحتلُّ ويأوى العِراصا (٦)

كرمٌ فاضَ فما اختصَّ أرضا ... دون أرضٍ بنداه اختصاصا

من يحبّ العزّ يَدأبْ إليه ... وكذا من طلب الدُّرَّ غاصا

قرّت الأعينُ بالقربِ منه ... فأراد البعدُ منها القِصاصا

---

(١) القلاص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل . (٢) العتاق : الخيل النجيبة .
(٣) الخماص : الضامرة البطن . (٤) خراص : جمع خريص وهو السحاب . (٥) فى الأصل «حيث» . (٦) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار .

لو ملَكنا الأرضَ أو لو أطقنـا لسَـــددنا برُباهـا الخَصـاصا (١)

وعقَلنـا النـاجيـاتِ (٢) خـــلاءً وربَطنا المُقْـــرَباتِ (٣) ٱرتهاصـا (٤)

فهِـمتْ ما حمَلتْ فى ذُراهـا من جمالٍ فٱرتقصنَ ٱرتقاصا

ماجدٌ إن خاف أسهـمَ ذمٍّ لبس الجـــودَ عليـه دِلاصـا (٥)

أدواتُ الفخـــرِ ألَّفنَ فيـه حسَـبا عِـدًّا (٦) وعِرقا مُصـاصا (٧)

رُبَّ عزمٍ إن يُحَكَّمْ [به] (٨) لم تجد الأقـــدارُ عنـــه مَناصـا

ســاهر القلب اذا رامَ عُظـمَى إن كرَى النـومِ للأعينِ حاصـا (٩)

فذفتْ منـــه الليـالى بقِـــرنٍ تنكُص الأبطالُ عنـه ٱنتكاصا (١٠)

محســنٌ بالرأى ضربا وطعنـا يُخجل البيضَ ويُخزِى الخِراصـا (١١)

ساحر الألفـاظ لوشـاء ظبيـا (١٢) أسر الوحش بهنَّ ٱقتناصـا

كلمـا أبصـــرَه حاســـدوه كُلِّلتْ تلك العيـــونُ حُصَاصـا (١٣)

كشـعاع الشمسِ ترجِع عنـــه مَضْرحِيّـاتُ (١٤) العيـــون عِماصـا

(١) الخصاص : كل خرق أو خلل فى باب أو غيره ، — والمراد : كل ما انفـرج من الأرض ، وفى الأصل : «الخضاص» وهو تصحيف . (٢) الناجيات : الإبل تنجو بصاحبها . (٣) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٤) الأرتهاص : الرص وذلك بأن يكون بعضها بجانب بعض . (٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة وجمعها دلاص أيضا وقيل : دلص — بضم الدال واللام — . (٦) العد : القديم . (٧) المصاص : الخالص من كل شىء . (٨) ليست بالأصل . (٩) حاص : خاط . (١٠) القرن : الشجاع ؛ والانتكاص : الرجوع . (١١) الخراص : الرماح . (١٢) كذا فى الأصل ولو خيرنا لقلنا « صيدا » ليكون المعنى أعم . (١٣) الحصاص : داء يتناثر منـه الشعر — والمراد به هنا تناثر شـعر أهداب العيون لشدة ما يبهرها من الضوء — . (١٤) المضرحى : الصقر أو النسر — وكلاهما يوصف بحدة البصر — .

ففـــداه كـلُّ جَهـــمِ المُحيَّا (١) مانـعٌ عســـجدَه (٢) والرِّصـاصـا

كالشَّموسِ (٣) الصَّعبِ إن ذلَّلـوه زادهـم ذُعـرا ولَجَّ قِمـاصـا

مســـتهامٌ بالغـــوانى اذا ما صقَلتْ خـدًّا وأرختْ (٤) عِقاصـا

أين تبغى؟ قد زحَمتَ الثريّا (٥) فى مَـــداها وٱنتعلتَ النَّشاصـا

غايةٌ لـــو ذو جَناحٍ اليهـا طار لٱعتاصت عليـــه (٦) ٱعتياصا

أنتُمُ آلُ "جَهـــيرٍ" عـــديدٌ لا رأتْ فيـــه البنـانُ ٱنتقاصا

كلّمـا قيـل: الرحيـــلُ قريبٌ غَصَّ بالبـارد حَلْقى ٱغتصـاصا

وأرى قلـــبى سيقتصُّ، إمّا ســـرتَ، آثارَ المطىِّ ٱقتصاصا

اِقْضِ فى أمرى بمـا أنتَ قاضٍ فبإنعامك أرجـــو الخَـــلاصا

ردَّك الله إلينـا ســـليما بـــك أيامُ الزمان تَواصَى (٧)

* * *

وقال يمدحُه عندَ عودهِ من هذهِ السَّفرة، وقد صاهرَ نظامَ المُلك فى شـعبان سنة ٱثنتين وستين [بعد الأربعمائة] :

اذا نثرَ النـاسُ "الهِرَقْليَّةَ" (٨) الصُّـفْرا نثرتُ على عليـائك الحمـدَ والشُّـكرا

---

(١) الجهم : العابس غير الطلق . (٢) العسجد : الذهب . (٣) الشموس : الأبى الممتنع . (٤) عقاص : جمع عقصة — بكسر العين — وهى الضفيرة . (٥) النشاص : السحاب . (٦) اعتاص : صعب واشتد . (٧) يريد : تتواصى أى يوصى بعضها بعضا ، ويقال : تواصى النبت أى اتصل بعضه ببعض . (٨) الهرقلية : دنانير منسوبة الى هرقل ملك الروم .

وصفتُ[1] من الذهن المصفّى بدائعا ... أقرّط أسماعَ الرُّواةِ بها شَذْرا[2]

فلا تحسبنّ الدُّرَّ فى البحرِ وحدَه ... فقد تُخرِج الأفواهُ من لفظها دُرّا

ومن كان جسمَ المكرمات وروحَها ... تحلّى ثناءً لا بلُجينا[3] ولا تِبرا

يُحيّا بريحان المحامدِ سمعُه ... ويكفيهِ أن كانت مناقبه عِطرا

ولست براضٍ غيرَ وصفك تحفةً ... ولا قاضيا إلا بمدحتك النَّذرا

بلغتَ "عميدَ الدولة" الغايةَ التى ... ركائبُ أبناءِ المنى دونَها حَسرى[4]

وما زالتَ تُغلى[5] المجدَ حتى جعلتَهُ ... عليك حبيسا لا يباعُ ولا يُشرى

وكم طالبٍ فيه نصيبا وإنه ... ليَقبِضُ كفَّيه إذا عرَف السِّعرا

تطيعك فى المعروف نفسٌ حيِيّة ... إذا سُئلتْ جدواك تستقبحُ العُذرا

أظنُّك فى الدنيا تُريد زهادةً ... فلستَ بمستبقٍ لعاقبةٍ ذُخرا

وقد كانت النَّعماءُ جادت بنفسها ... فأنشأتَها فى عصرك النشأةَ الأخرى

مواهبُ يُعطين الغنىَّ على الغِنَى ... مَزيدا ويتركن الفقيرَ كمن أثرى

يوافين[6] سرًّا والسحابُ برعدها ... تبوح بما توليه إن أرسلتْ قَطرا

فدًى لك صيفىُّ الغمامة فى الندى ... يَظُنّ سؤالَ السائلين به مكرا

اذا حامت الآمالُ حول حِياضه ... سمعنَ بها من كلِّ ناحيةٍ زَجرا

---

(١) فى الأصل «وضعت» وهو تصحيف . (٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير وهو أيضا الذهب .

(٣) اللجين : الفضة . (٤) حسرى : كليلة معياة . (٥) فى الأصل « تعلى » .

(٦) فى الأصل « توافيك » وهو تحريف .

ألستَ من القـــوم الذين نداهُـــمُ حبائلُهم ، والراغبون بهـا أسرى

يبيتون فى المشتى نِعـاصًا(١) وعنـدهم من الزاد فضلاتٌ تُصان لمن يُقرى(٢)

خشَوا أن يضِلَّ الضيفُ عنهم فرفَّعوا من النـار فى الظلماء ألويةً حُمـرا

أفادوا الذى شاءوا وأفنَوه عاجـلا فقـد جمعتْ أيديهم العُسرَ واليُسرا

تواليـك حبّاتُ القـلوب كأنمـا خُلقتَ سرورا فى الضمائِر أو سِرّا

فإن كانت العينان داعيـةَ الهوى فقد أبصرتْ من شخصك الشمسَ والبدرا

وإن كان للنفس الطروبِ تتيّمٌ فأجدرُ أن تهـوَى خلائقَك الزُّهرا

فقـد جنَح الأعداءُ للسّلم رغبـةً إليك ، وأىّ الناس لا يعشـق البِرّا؟

فأما سَـقام الحاسدين فما له شفاءٌ وقـد كادتهُـمُ نِعَمٌ تَتْرَى

تساوت يداك بسـطةً وسماحةً فلم تفخر اليمنى بفضـل على اليسرى

ومعترَكٍ للقـوم مزّقتَ جمعَـه بحـدِّ لسانٍ يُحسن الكرّ والفرّا

وفحشاء أدّتها إليـك جهالةٌ جعلتَ رتاجَ(٣) الحلم من دونها سِترا

سما بك فوق العـزّ قلبٌ مشيعٌ(٤) اذا ركب الأهوالَ لم يستشر فكرا

وهمّـةُ وثّابٍ على كلّ ذِروةٍ يَنـال على أكتادها(٥) النّهىَ والأمرا

ألا ربَّ ساعٍ فى مَـداك كبَتْ به مطاياه أو قالت له رِجـلُه : عَثْرا

(١) الخماص : الجياع . (٢) يقرى : يضاف . (٣) الرتاج : الباب العظيم المغلق ، وفى الأصل «رياح» وهو تصحيف . (٤) المشيع : الشجاع . (٥) الأكتاد : الأكناف .

وملتمِسٍ فى عـــدِّ فضـــلك غايةً ... ومن يَشبُرُ(١) الحضراءَ أو يترِف البحرا؟!

خذوا عن غُبار الأعوجيّات(٢) جانبـا ... وإلا فقـــد ضيعتمُ خَلفها الحُضرا

وخلُّوا لهـذا البـازلِ القَرمِ(٣) شَـــولَه(٤) ... فإنكُمُ لم تحذِقوا الهَـــدْر والخَطْـرا

فتًى سالَبَ الأعداء حِرصا على العـلا ... فأجلَوا له عنهـا وما عَقَـــد الأُزْرا(٥)

وهـــل يُعجب الروضُ المنوّرُ أعينا ... رعَتْ فى محيّاه الطـــلاقةَ والبِشرا

كأنَّ الحيـاءَ أنهلَّ فى وجَنـاته ... فكانَ لهـا ماءً وكانت له غُـــدْرا(٦)

تحـــدّثه الغيبَ الخـفىَّ ظنـــونُه ... فتحســـبُها قد أودِعتْ صُحُفا نُقرَا

وقالوا : هو الغيث الذى يغمُر الربَى(٧) ... فقلت لهـــم : ما زدتمونى به خُبرا

فقالوا : هـــو الليثُ المعفَّر قِـــرنَهُ(٨) ... فقلت : بحـــقّ الله أيُّهـــما أجرا؟

حلفت بهـا تَهـــوِى على ثِفناتها(٩) ... من الأين(١٠) مرخاةً أزمَّتُهـا صُعرا(١١)

تجـــرِّر أذيالَ الرياح وراءَها ... إذا كتبتْ سطرا محتْ قبلَه سطرا

تَنَزَّهُ عن حَمل الأوانس كالدُّمى(١٢) ... وتحمِل فى كِيرانهـا الشُّـعثَ والغُبْرا

إلى حيث لا تُجزَى بحسن صنيعهـا ... إذا ما قضَوا نُسكا جزَوها به نَحرا

---

(١) يشبر : يقيس بالشبر . (٢) الأعوجيات : النجائب من الإبل المنسوبة الى أعوج وهو فحل ، والحضر : العدو . (٣) البازل القرم : الفحل الكريم . (٤) الشول : جمع شائلة — وهى من الإبل — : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .
(٥) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٦) غدر : جمع غدير وهو النهر . (٧) فى الأصل : «يعمر» وهو تصحيف . (٨) يريد أجراً . (٩) ثفنات : جمع ثفنة وهى ما يقع على الأرض من البعير اذا استناخ . (١٠) الأين . الجهد . (١١) صعرا . مائلة .
(١٢) كيران : جمع كور وهو الرحل .

وبالبيت محفـوفا بمن طاف حـوله إطافةَ سِمطَيْ لؤلؤ قـلّدا نحـرا،
تُفـاضُ سجـوفُ(١) الرَّقـم فى جنباته على ماثلٍ تَعرَى السيوفُ ولا يعرى،
حمًى لا يخـاف الطـيرُ فى شجـراتهِ قنيصا ولا تخشى الظبـاءُ به ذُعرا،
وبالحجـرِ الملثـومِ سمعـا وطاعـة ونعـلم أنْ ما يملك النفـع والضـرا،:
لأنت إذا صَكُّوا القِداح على العلا أحظُّهـمُ سهـما وأسرعُهـم قَمـرا(٢)
وأعلاهُـمُ كعبا وأحلاهُمُ جَنًى وأوفاهُـمُ عهـدا وأرفعُهم ذِكرا
كفاك نجاحُ السعى فى كلّ مطلب همتَ به أن تزجُرَ الأُدْمَ(٣) والعُـفرا
بعـزمٍ كما أطلقت أُنشـوطةَ الحُبَى وجِدٍّ كما نفَّـرتَ عن مَربِا صَـقرا
رأيتـك طـــودا للخليفـــة شامخـا وسيفا على شانيه يختصر العمـــرا
إذا عرَضتْ حَوجاءُ كنتَ قضاءَها وإن طرَقتْ غَمّـاءُ سَـدّ بك الثغرا
دعاك لأمرٍ ليس يُحكِم فتـلَه سـواك وهِجّيراك(٤) أن تُبرِمَ الأمرا
فأرسلتَهـا من « بابلٍ » وكأنمـا تُقلقِلُ من تحت السروج قَطًا كُدْرا
صدمَت بهـا الأجبالَ والقُـرُّ(٥) كالحٌ تجلّلهـا ثلجا وتُنعلهـا صخـرا
تَذكّرُ مَرعىً « بالعـراقِ » وموردا وهل ينفع المشـتاقَ ترديدُه الذكرا

---

(١) سجوف الرقم . ستائر الخز. (٢) قمرا : مصدر قمره — بفتح الميم — لاعبه فى القمار فغلبه .
(٣) الأدم والعفر : — من الخيل والنوق والظباء — البيض والتى لونها كلون العفر وهو التراب .
(٤) هجيراك : بمعنى دأبك وشأنك . (٥) القر . البرد .

إذا رَبأتْ (١) فى قُنّـــةٍ (٢) خِلت أنهـا خُدارِيّةُ (٣) العِقبانِ طالبـــةً وَكرا

فزاحمن فيها الشُّهب حتى طمعن أن يحلّين منهنّ القلائدَ والعُـــذْرا (٤)

بكلّ منيفٍ يقصُـــر الطـــيرُ دونه ولا تجـد النكباءُ من فوقه مَجرى

وطـودٍ بحـولىّ الجليـــدِ معمَّمٍ كما زار لونُ الشيب فى هامةٍ شَـعرا

كأنا كشـــطنا عنـــه جِـلدةَ بازلٍ (٥) كسا شحمُه جنبيـــه والمتنَ والظهرا

أقامت به الأنواءُ تُهـدى لك القِرى ولم تقتنـــع بالمـاء فاحتلبت دَرّا

فرشنَ بِكافورِ السماء لك الربَى فشابهنَـــه لونا وخالفنَـــه قِشرا

اذا خلَصت منها الجيـادُ رأيتها وما خالطت لونا محجّلةً غُرّا

وقاسمها بُعـــدُ المدى فى جسومها فأفنى بها (٦) شـطرا وأبقى لهـا شـطرا

ولمـا دَحَت قُود الهضاب وراءَها (٧) ورنّحها طـــولُ القيادِ لهـا سُكرا،

رمتْ صحصحانَ "الرّىّ" (٨) (٩) منها بأعين تردّد فى أعطافه نظـــرا شَزرا (١٠)

هناك دعا داعٍ من الله مسمِعٌ فلبّاك من ضمّتْ معالمُها طُـــرّا

يحيُّون ميمونَ النقيبـــةِ ماجدا ويَلقون بالتعظيم أعظمَهم قـدرا

---

(١) ربأت : اتخذت مربأ . (٢) القنة : رأس الجبل . (٣) الخدارية : العقاب السوداء . (٤) العذر : جمع عذار وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . (٥) البازل : الجمل المسن . (٦) فى الأصل «به» وهو غير واضح . (٧) قود . جمع قائد ؛ وهو المستطيل من الجبل على وجه الأرض . (٨) الصحصحان . ما استوى من الأرض . (٩) الرى : بلدة بفارس ، — والنسبة اليها : رازى . (١٠) النظر الشزر : أن يكون بجانب العين كنظر الغضبان .

ولاقيتَ ربَّ التـاج يرفـعُ حُجْبَـهُ ويطرُد ، ما ناجيتـه ، التيهَ والكِبرا

وحاورتَه حـتى شغفتَ فـــؤادَه ألا ربّمـا كان البيانُ هــو السحرا

رأى فيـك ما يهواه مجـدا وسؤددا فما كنت إلا فى مجالسه صـــدرا

وحسبُك فخرا ان تجَهّزتَ غاديا فقضَّيتَ أوطار النبوّة من "كِسرى"

مليـــكٌ حمَى الرحمنُ بيضـةَ مُلكه فمـا فى الورى من يستطيع لها كَسرا

كتائبُـــه فى كلّ شرق ومغرب مدرَّعـــةٌ فتـــحا ، مؤيّدةٌ نصـــرا

كَفاه "نظـامُ الملك" أكبرَ همّه وأتعبَ فى آرائه السرَّ والجهـــرا

همـامٌ إذا ما هزَّ فى الخطب رأيَهُ (١) فلا عجبٌ أن يُخجل البيضَ والسُّمرا

إذا هو أمضَى نعمةً قـــد تعنّست (٢) تخيَّر أُخرى من مواهبه بِكرا

ومن رأيه الميمونِ عقدُ حبـالِه بحبلك حتى قد شـــددتَ به أَزْرا

لئن كنتَ أنت "المشترِى" فى سمائه علوًّا لقد قارنتَ فى أفقهِ "الشِّعْرَى"

فأصـبحتُما "كالفرقدَيْن" تناسُـبًا فأكرِمْ بذا حَمْوًا وأكرم بذا صِهرا

وقضَّيتَ ما قضَّيتَ ثم عطفتَهـا (٣) تبارَى كما ينسابُ فى الشَّعَر المِدرى

وأُبتَ كما آبَ الربيـــعُ الى الثرى يَخيـــط على أعطافـهِ حُلَلا خُضرا

ففى كلّ يوم ما أغبَّ مبشِّر يؤدّى إلى "بغدادَ" من قربك البُشرى

---

(١) البيض والسمر : السيوف والرماح .

(٢) تعنست : طال مكثها بلا زواج حتى خرجت من عداد الأبكار .

(٣) المدرى : المشط .

ولما اطمأنّت فى "جَلُولاءَ"(١) عالجتْ ... بذاك النسيم الرطبِ أكبادَها الحرّى

فأقسمتَ لا تنفكّ تحت لُبودِها(٢) ... إلى أن توافى حَلبةَ(٣) القصْرِ والقصرا

وعُجتَ بها تطوِى منازلَ أربعا ... إلى منزلٍ، يا بعدَ ذلك من مَسرَى!

ولله فينا نِعمةٌ إثرَ نعمةٍ ... وعَوْدك محروسا هو النعمة الكبرى

فلا كان يومٌ لستَ فى صدره ضُحًى ... ولا كان ليلٌ لستَ فى عَجْزه بدرا

* * *

وقال يمدحُه ويهنئه بالنيروز الفارسىّ، وأهدَى إليه كُتُبًا عِوض الدرهم والدينار:

وددتُ التصابى فيك إذ كان عاذرى ... وعاديتُ حلمى إذ غدا عنك زاجرى

ومالى سوى قلبٍ يضلّ ويهتدى ... فإما الهوى فيه وإما بَصائرى

وإنى لأدرِى أنما الغُنْجُ(٤) واللَّمَى(٥) ... وبيضُ الطُّلَى(٦) هنّ القذى(٧) فى المحاجرِ(٨)

ولكنّها نفسٌ تروضُ طباعَها ... بما حملته من عذاب الجآذرِ(٩)

عدِمتُ فؤادى يبتغى الآنَ رشدَه ... فهلّا قُبيل الحبّ كان مشاورى!

---

(١) جلولاء: قرية بفارس على بعد سبعة فراسخ من بغداد. (٢) لبود: جمع لبد، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج. (٣) الحلبة: محلة واسعة فى شرق بغداد؛ والقصر: اسم لجملة مواضع؛ فمنها: قصر الأحرية فى نواحى بغداد؛ وقصر أم حبيب بنت الرشيد من الجانب الشرقى من بغداد.
(٤) الغنج: الدلال. (٥) اللمى: سمرة فى باطن الشفة — وهى مستحسنة عند العرب —.
(٦) الطلى: الأعناق. واحدها: طلية. (٧) القذى: ما يقع فى العين فيوجعها.
(٨) محاجر: جمع محجر وهو ما دار بالعين. (٩) الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية.

فما بالنا نُعطَى الدنيَّة فى الهوى ... وفى الروع لا نعطَى ظُلامةَ ثائرِ

كأنا جميمُ[1] الروض يقطُف نَوْرَه الـ ... ـظباءُ ولا يحلو لأُسْدٍ خوادرِ[2]

وإنّ انقيادى طوعَ ما أنا كارهٌ ... يدلُّك أنّ المرءَ ليس بقادرِ

لواحظُنا تجنى ولا علمَ عندَها ... وأنفسُنا مأخوذةٌ بالجرائرِ

ولم أرَ أغبَى من نفوسٍ عفائفٍ ... تصدّق أخبارَ العيون الفواجرِ

ومن كانت الأجفانُ حُجّابَ قلبِه ... أَذِنّ على أحشائه للفواقرِ[3]

اذا لم أفز منكم بوعدٍ فنظرةٍ ... اليكم، فما نفعى بسمعى وناظرى؟!

وما زال لى عند الظباء ظُلامةٌ ... تُرَدُّ الى قاضٍ من الحبّ جائرِ

لعمرُك مابى فى الصبابة حيرةٌ ... تقسّم فكرى بين ناهٍ وآمرِ

تصامتُ عن عذل العذول لأنه آحـ ... ـتجاجٌ لسالٍ واعتذارٌ لعاذرِ

وكيف بنسيانى الذى حفِظ الصِّبا ... وبات به طيفُ الخيال مسامرى

بلى إنّ بَردَ اليأس يطفئُ حُرقةً ... ولو سُقيت منه قلوبُ الهواجرِ

وإنّا اذا ضلّت من "الحَزْنِ" نفحةٌ ... فزِعنا الى نشدانها بالمناخرِ

أصعّد أنفاسى اذا ما تمرّغت ... على تُربه هوجُ[4] الرياح الخواطرِ

---

(١) الجميم : النبت الناهض المنتشر .

(٢) الخادر : اللازم لعرينه والمقيم به .

(٣) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تقصم الظهر .

(٤) هوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى تقلع البيوت .

وأذكرُ يوما قصّر الوصلُ عمرَهُ كأنا ٱلتقينا منـــه فى ظلّ طائرِ

متى غنّت الورقاءُ كانت مدامتى دموعى، وزفراتى حنينَ مَزاهِرِ (١)

خليلىَّ هذا الحُلمُ قد أطلق الأسَى وبثَّ حُبولَ (٢) الشوق بين الضمائر

ولم يبق فى الأحشـاء إلا صُبابةٌ (٣) من الصبر تجرى فى الدموع البوادرِ

فَلَيْـا بأعنـاقِ المطىِّ فربّمـا أصبنا الأمانى فى صدور الأباعرِ

وإن لم يكن فى ربّة الخدر مَطمعٌ قنَعنـا (٤) بآثار الرســوم الدوائرِ

مَرابط أفـراس ومَبرك هَجمةٍ (٥) وملعب ولدان ومجلس سامرِ

وسُـفع (٦) أثافٍ (٧) كانّ رَمادَها حمـائمُ لكن هنَّ غيرُ طوائرِ

ويا حبّـذا تلك النُّـؤىّ (٨) وليتها تروح خلاخيلى وتغدو أساورى

اذا أنتَ لم تحفَظ عهـودَ منازلٍ فلستَ لعهـد النازلين بذاكرِ

سقاها الذى أضحت ينابيعُ فضلهِ تَمُـدُّ شآبيبَ الغيوثِ البواكرِ

بجودُ "عميدالدولة" العُشبُ والحيا ومقـترَحُ الراجى وزادُ المسـافرِ

كُفيتَ به أن تطلبَ الرزقَ جاهدا على زعمهم بالسـعى أو بالمقـادرِ

---

(١) مزاهر : جمع مزهر وهو العود . (٢) حبول : جمع حبل وهو معروف والمراد الحبائل . (٣) الصبابة : البقية . (٤) الدوائر : البوالى . (٥) الهجمة : قطيع من الإبل ما بين السبعين والمائة . (٦) سفع : جمع أسـفع وسفعاء وهى السـوداء . (٧) الأثافى : جمع أثفية وهى ثلاثة أحجار توضع عليها القـدر . (٨) النؤى : جمع نؤى وهو الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل .

تظَلُّ قَلوص الجُود ترقُص تحتـهُ (١) اذا حُديتْ يوما بنغمة شاكرِ

تحدَّثْ ولا تحرَجْ (٢) بكلّ عجيبـةٍ من البحر أو تلك الخلال الزواهرِ

فما ذاق طعمَ الريِّ من لم تُسَقِّه أناملُه من صـوبها المتواترِ

وكم من كسـير للّيالى قد ٱلتقت عليـه أياديه ٱلتقـاءَ الجبـائرِ (٣)

ومنتَهب الجـدوى يُريك سحابُه زمانَ الربيع السكبِ فى شهر "ناجرِ" (٤)

يسـابقُ بالفـعلِ المقـالَ كأنه يرى الوعدَ فنًّـا من مِطال الضمائرِ

فأنت تراه ماطـرا غـيرَ بارقٍ ولست تراه بارقا غيرَ ماطـرِ

مواهبُ سمّـاها العفاةُ صنائعـا وهنّ نجومٌ فى سمـاء المآثرِ

ملوم على بذل البضائع فى النـدى وما تاجرٌ فى المكرُمات بخاسرِ

قَطوبٌ وأطرافُ القيانِ عوابثٌ ضحوك وأطرافُ القنا فى الحناجرِ

به ٱزدانت الدنيـا لنـا وتلفّتت الينا الليـالى بالخـدود النواضرِ

تعلّمت الأيامُ منـه بشاشـةً أعادت إلىّ الدهرَ هَشَّ المَكاسرِ (٥)

يذيبُ السؤالُ شَحمةَ الرفدِ عنده وهل يجمُد العنقودُ فى كفِّ عاصرِ

أبَى أن تهُـزَّ العُنجُهِيَّـةُ (٦) عِطفَهُ يقينًا بأنّ الكبرَ إحـدى الكبائرِ

ولا عيبَ فى أخلاقه غيرَ أنهـا فـرائد دُرّ مالهـا من نظـائرِ

(١) القلوص : الفتية من الإبل . (٢) تحـرج : تأثم . (٣) الجبائر : جمع جبيرة وهى عيدان تجبر بها العظام . (٤) ناجر : الشهر الواقع فى صميم الحر . (٥) المكاسر : غضون الوجه . (٦) العنجهية : الجفاء والكبر والعظمة .

وما النـاسُ إلا كالبحور فبعضُها عقـيمٌ و بعضٌ معـــدنٌ للجواهرِ

فتعسًا لأقـــدام السُّعاةِ و راءه ألم ينتهـــوا عنـــه بأوّل عاثرِ!

يُقِـــرُّ له بالفضـــل كلُّ منازع اذا قيل يومَ الجَمع: هل من مُفاخرِ؟

أخو الحزم ليست فى نواحيه فرصةٌ لنُهـــزةِ مغتالٍ ونَفثـــةِ ساحر

اذا ركَضتْ آراؤه خلفَ فائتٍ تدارك منـه غائبـا مثـل حاضرِ

مـتى تأتِه مستشـــفعا بصنيعهِ اليـــك فقـــد لاقيتـــه بأواصرِ

تتبَّـع أوســاطَ الأمور مجانبـا تورُّطَ عجـلان ووَنيـــةَ قاصرِ

وقـــد علم النُّزَّاعُ أن ديارَه اذا آنتجعـــوها نِعم دارُ المُهاجرِ

تسلَّوا عن الأوطان بالأبطح الذى يلائم مَرعاه لبـادٍ وحاضرِ

يطاول بالأقـــلام ما تبلغ القنـا (١) و يفضُل أفعـالَ الظُّبَا بالمخـاصرِ

من العصبةِ الغُرِّ الذين سـعودُهم بآرائهـــم لا بالنجوم الســـوائرِ

فوارسُ هيجاءٍ وقولٍ، ركوبُهـم ظهورُ الجيـادِ أو ظهورُ المنـابرِ

يظن الضيوفُ أن دارهمُ "مِنًى" ودهرَهُمُ عيـــدٌ لعُظم المناحرِ

وما أوقدوا النيرانَ إلا ليفضَحوا بها الليلَ إن أخفى مسالكَ زائرِ

وقد علمتْ تلك المكارم والعـلا (٢) وقـــد ولدتهـم أنهـا غـيرُ عاقرِ

---

(١) مخاصر: جمع مخصرة وهى عصا صغيرة يشير بها الملك. (٢) فى الأصل: «أن»، وفى مختارات البارودى «تلك» فرجحناها لوضوح المعنى بها.

أيا "شرفَ الدين" المشَرَّف عصرِه ... ومن حلَّ فيه ، بالعطايا البواهرِ (١)

تناولْ "بنيروز" الأكاسرِ غبطةً ... تضاحك أفـواهَ الأمانى الفواغرِ

هو اليومُ لا فى حُلّةِ الصيف رافلٌ ... ولا فى سرابيـل الشـتاء بخاطرِ

يكاد لسانَا طِيبـهِ وٱعتـدالهِ ... يُبينـان أنّ الدهرَ ليس بجـائرِ

ولمـا رأيتُ المـال عندك هيِّنـا ... جعلتُ هـداياه رياضَ الدفاترِ

فإنك من حمـد الرجال وشكرِهم ... (٢) كثيرُ الكنوزِ (٣) واللُّهَى (٤) والذخائرِ

* * *

وقال يمدحُه ، ويشكرُه على تعهّدِه بالعيادةِ من ألمٍ نالَه :

أبَى اللهُ إلا أن تجـودَ وتُنعِـما ... خلائقُـك اللائى تَفيضُ تكرُّما

لك المثَـلُ الأعلى بكلِّ فضـيلةٍ ... إذا ملأ الراوى بهـا النَّجدَ أتهـما

لآلىءُ من بحـر الفضائلِ إن بدت ... لغائصِها صـلّى عليها وسلَّما

ولـو ملَكتْها الفانيـاتُ بحيـلةٍ ... لزنَّ بهـا جِيـدا وحَلَّين معصـما

وكم لك فى غُمّاتِها من عزيمـةٍ ... (٥) تُسابق بالنصـر الخميسَ العَرمرَما

يُفـلِّل حدَّاها الحسامَ مصمِّما ... (٦) ويُخجِل عِطفاها الوشـيج مقوَّما

وما الجـودُ إلا ما قنتَ به اللُّهَى (٤) ... فلم تُبـق دينارا ولم تُبـق درهمـا

---

(١) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل : «الطواهر» ولعلها "الفواهر" . (٢) فى الأصل : «فان بك» وبها لايستقيم المعنى فرجحنا ماوضعناه . (٣) فى الأصل هكذا «كبير» (٤) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٥) العرمرم : الكثير . (٦) الوشيج : شجر الرماح .

فما يتعاطاك السحابُ اذا همى ... ولا البحرُ يحكى ضَفَّتيك و إن طما

وهل يقدِر الأقوامُ أن يتكلّفوا ... مكارمَ قد أعيتْ "سماكا"(١) و"مرزَما"

نهضتَ بأثقالِ المعالى ولو دُعى ... إلى حملها العَودُ(٢) الدِّيافىُّ(٣) أرزما(٤)

فسيّان من يبغى عُلاك وطالبٌ ... ليبلغَ أسبابَ السمواتِ سُلّما

وما المدحُ مستوفٍ علاك و إنما ... حقيقٌ على المنطيق أن يتكلّما

ألم ترَ أنّ الأرضَ رحبٌ فسيحةٌ ... ونحن نولّيها قلائصَ(٥) سُهّما(٦)

أتتنى "عميدَ الدولة" المِنّةُ التى ... نفختَ بها رُوحا وأحييتَ أعظما

كأنّ الرسولَ المُسمِعى نَغماتِها ... رسولٌ تلا وحْيًا من الله مُحكما

فأُلبستُ منها صِحّةً هى جُنّتى ... إذا ما قِسِىُّ الدهرِ فوّقنَ أسهُما

ودارتْ [بها](٨) كأسُ الشفاء وعُلّقتْ ... على رُقَى منها تُداوِى المتيّما

فقد كدتُ فى عَجزى عن الشكرِ أن أرى ... لسانىَ مجروما(٩) وقلبى مُفحَما

ولكنّها ريحُ الثناءِ إذا جرت ... بذكرِك لم أملِكْ لسانا ولا فما

وأفضالُك الروضُ الربيعىُّ إن دعا ... بزَهرته وُرقَ الحمام ترنّما

---

(١) السماك والمرزم : كوكبان من أنواء المطر . (٢) العود : الجمل الشديد .

(٣) الديافى : منسوب إلى ضرب من إبل قرية بالشام يقال لها دياف ، وأهلها نبط الشام .

(٤) أرزم : صات من ثقل ما يحمله . (٥) القلائص : الفتيات من النوق . (٦) السهم : المزيلة المتغيرة اللون . (٧) فى الأصل : « أسنى » . (٨) ليست بالأصل .

(٩) المجروم : المقطوع .

فلا ضحِـك الإصـــباحُ إلا تحلّتْـــهُ ببهجتِـــك الغـــرّاءِ ثغـــرا ومبسِما

ولا دجتِ الظلمـاءُ إلا أعرتَهـا شمـائلَك الغُـــرَّ اللوامـــعَ أنجُمـا

تطيعـك أيام الزمان مصـــيخةً (١) بأسماعِهـا حـــتى تقـــول وترسُمـا

ســتأتيك من مدحى قوافٍ بديعـــةٌ (٢) ينـافس فيهـا الجـاهليُّ المُخضرَما

وإنى بمنثـــورِ الكـلام لعـالِمٌ ولكنَّ حســنَ الدرّ فى أن يُنظَّـــما

* * *

وقال يمدحُه :

أبَيْنـا أن نطيعَكُمُ أبَيْنـا فلا تُهـــدوا نصيحتَكُم إلينـا

ركِبنا فى الهـوى خطَـرا فإما لنـا ما قـد كسَبنا أو علينـا

فـا تسألكم عن كلِّ صبٍّ كأنَّ لكم على العشاق دَينـا!

ولـو لم يَرضَ ربُّك ما رضينا لَمـا أنشَا لنـا قلبـا وعينـا

بنفسى راميـاتٍ ليس تفنَى نُصـولُ سِهامهنّ اذا رمينـا

كأنّهـمُ أعـدوا للـــرزايا (٣) بكلِّ كحيـلةٍ زِيرا (٤) وقَينـا

تعوّضنَ الخيامَ من المطايا (٥) وحسبُك بالخيـام قِلًى وبَينـا

ولوّينَ البنانَ فقلتُ زجرا بميمـادى وآمالى لـوَينـا

عجـائبُ فى الصـبابة لو عقلنـا نحبُّ محـاسنا فتصـير حَيْنَا

(١) مصيخة : مصغية . (٢) المخضرم : الذى عاش فى الجاهلية والإسلام . (٣) الزير : الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٤) القين : العبد . (٥) القلى : البغض .

نسائلُ عن ثُمامات "بُحزَوى" (١) وبانُ "الرمل" يعلم مَن عَنَينا

وقد كُشِفَ الغِطاءُ فما نبالى أصرَّحنا بذكرِك أم كَنَينا

ولو أنى أنادى : يا "سُليمَى" لقالوا : ما أردتَ سوى "لُبَينَى"

ألا لله طيفٌ منكِ يسرى بكاسات الردى زُورا ومَينا

مطيَّته طَوالَ الدهرِ جفنى (٢) فكيف شكا اليكِ وَجًى (٣) وأينا

فأمسينا كأنا ما افترقنا وأصبحنا كأنا ما التقينا

ولولا نُورُ أزهرَ شمَّرِىٌّ (٤) تبلَّج (٥) فى الظلام لما اهتدينا

"عميد الدولة" المعطى القوافى رُهونَ سباقهنَّ اذا جرَينا

فتًى يبنى على الغُلَواء (٦) بيتا اذا نزل المقصِّر بينَ بينا

يقول لإبله : مُوتى هُزالاً ولا ترعَىْ بأكناف الهوَينَى

إذا ما السُّحبُ بالأمواهِ سَحَّتْ (٧) تهلَّل عسجدا (٨) وهمَى لُجينا

بكلِّ قرارةٍ وبكلِّ ربعٍ رياضٌ من نداه قد انتشينا

غصونُ مكارم قَيَظا وقُرًّا (٩) نُصيب بها ثِمارا يُجتَنَينا

وما سلبَ الشتاءُ الأرضَ إلا تسربلنَ المحامدَ فاكتسَينا

جرَى والسابقُون إلى المعالى بفاء فُوَيقها وأتَوا دُوَينا

---

(١) الثمام : نبت ضعيف له خوص . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الأين : التعب والنصب . (٤) الشمرى : الماضى فى الأمور المجرب . (٥) تبلج : أضاء . (٦) الغلواء : الغلو فى الشىء . (٧) العسجد : الذهب . (٨) اللجين : الفضة . (٩) القر : البرد .

* * *

وكتب إليه وقد عَرَض عليه تقليدَ عملٍ من أعمالِ العراقِ لم يُرضِـه، ويَزرِى على جماعةٍ من العمال :

قـد حصَلنا من المعـاش كما قيـ (١) ـل قديما : لا عطرَ بعد عَروسِ

ذهبَ القـومُ بالأطايبِ منـــه ودُعينـا الى الدَنىّ الخســـيسِ

لا جميـلٌ بمثله يحسُن الذكـ ـرُ ولا عامرٌ خرابُ الكنيسِ

واذا ما عدِمتُ فى الأمر هـذيـ ـن فســـيّانِ نهضـتى وجلوسى

عُرِضَت قبلَنـا "تَبـالةُ" "للحـ (٢) ـجّاج" فاعتافهـا بوجهٍ عَبـــوسِ

وتولّى أمر "العـراقين" صالٍ نارَحربٍ تُزْرى بحربِ "البسوسِ" (٣)

جلسـةٌ فى الجحيم أحرَى وأولى من رحيـــلٍ يُفضِى إلى تدنيسِ

ففـــرارا من المـذلّة فى "آ دَمَ" كان الفـرارُ من "إبليسِ"

أتـــرانى مزاحمًا لأناسٍ قُلّدوهـا بالســـيف والدبّوسِ

بين ذى عُجـــمة وآخرَ منقـــو (٤) ـصٍ وذى جِنّـــةٍ وذى تنميسِ

وبطينٍ وأبرصٍ وهـــا دا ءانِ غضًّـا من قـدرِ كلّ رئيسِ

---

(١) مثل يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس . (٢) يشير الشاعر الى تولية الحجاج بن يوسف الثقفىّ على تبالة وهى أول عمل وليه فسار اليها، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ فقال : تسترها هذه الأكمة، فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنى أكمة ؛ أهون بها، وكر راجعا، فقيل فى ذلك : أهون من تبالة على الحجاج . (٣) أنظر صفحة ٣ شرح ١ (٤) التنميس : التلبيس .

معشر ليس يبـــلغ الذمُّ فيهـــم حدَّه إن وصـــفتهم بتيـــوسِ

غايةُ العـلمِ عنـــدهم وتمـامُ الـ ـفضل حسنُ المركوب والملبوسِ

ما آفتخار الفتى بثـــوبٍ جديدٍ وهو من تحته بعِـرضٍ لبيسِ؟ (١) !

والغـــنَى ليس بالمُجين (٢) و بالتِّبـ ـر ولكن بعـــزّةٍ فى النفـوسِ

عادة للزمان يَجـــرِى عليهـا أن تصـير الأذنابُ فوق الرءوسِ

قد حويتُ الذى به ينجح السعـ ـىُ فمن لى بحظىَ المنحـــوسِ

و إذا صحَّ لى هوى "شرف الديـ ـن" تولَّى النعيمُ قتـــلَ البـوسِ

قـد توثَّقْتُ يا صروفَ الليـالى من أياديه فآحمُقى أو كِيسِي (٣)

لَى ما شـئتُ روضـــةٌ وغديرٌ ومِراحٌ من ربعـــهِ المأنوسِ

* * *

وقال يمدحُه ويهنّئه بعيد الأضحى والمهرجان :

يا صِحـابى وأينَ منّىَ صَحـــبى صرَعتهـــم عيونُ ذاك السِّربِ

يومَ أبدَوا تلك الوجوهَ علمنـا أنمـا يُشهَر السـلاحُ لحَـــربِ

لحظـاتٌ أسماؤهنّ آســـتعارا تُ وما هنّ غـير طعنٍ وضربِ

إن أُجبْ داعىَ الهوى غيرَ راضٍ فالصـدَى (٤) بالنـداءِ كُرْهًـا يلبِّى

---

(١) اللبيس : الخلق الممزق . (٢) المجين : الفضة . (٣) كيسى : أى كون كيسة ذات عقل . (٤) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت فيه بمثل صوته .

هل أرى فى السهادِ صُبحًا بعينى ... من أرى فى الرقاد ليـــلا بقلبى

أمـلٌ كاذبٌ : قِطافُ ثمـارٍ ... من غصونٍ ملتفّـــةٍ بالعصْبِ (١)

كلّمـا رنّح النسـيمُ فـروعَ الـ ... ـبان هزّت أعطـافَها بالعُجبِ

إنّ روضَ الخـدودِ ليس لرعيٍ ... وخمـــورَ الثغور ليست لشُربِ

أرِنى مِيتَـــةً تطيبُ بهـا النفـ ... ـسُ وقتـــلًا يلَذُّ غـــيرَ الحبِّ

لاتَزُلْ بى عن "العقيقِ" ففيهِ ... وطـــرِى إن قضَـــيتُه أو نحبى

أجميـــلٌ ألّا أزورَ ديارا ... يوم بانوا دفنتُ فيهـا لـــبّى!

لا رعيتُ السوامَ إن قلتُ للصُّحـ ... ـبةِ : خِفّى عنه، وللعيس : هُبّى

وقفـــةٌ بالركابِ تُجمعُ فيهـا ... فرحـــةٌ لى و راحةٌ للرَّكْبِ

فى كِناس "الأَرْطَى" (٢) شبيهةُ لعسا (٣) ... ءَ حَماهـا العفافُ مثـلَ الحُجُبِ (٤)

يُتمارَى أهـذه من نِتـاج الـ ... ـوحش أم تلك من بناتِ العُربِ؟!

قبلما آستضحكَتْ لنا ما طمعنا ... أن نرى الدُّرَّ فى الزلال العذبِ

طلعتْ وِجهـةً وقابلهـا البـــد ... رُ فسوّت ما بين شرقٍ وغربِ

كلُّ شىء حسبتُه من تجنّيـ ... ـها سـوى عدّها الصبابةَ ذنبى

وسـدادُ رأىُ العـذول ولكن ... ليس يُعفِى الغرامُ من قال: حَسبى!

---

(١) العصب : ضرب من الثياب يصبغ ثم ينسج . (٢) الكناس : بيت الظبى .

(٣) الأرطى : شجر ثمره كالعناب . (٤) اللعساء : التى فى شفتها سواد — وهو مستحسن عند العرب — .

ربّما أقلع المتيّمُ بالعذ ... ـرِ وزاد آستهامةً بالعتبِ

مثلما آزداد فى الندَى "شرفُ الـ ... ـدين" لجاجًا على الملام الصعبِ

مشرق الوجه باذل الفم بالنَّيْـ ... ـل، وحسنُ الغديرِ زهرُ العُشبِ

كاد أن يرفع الموازينَ إعلا ... ـمًا لنا أنّ مالَه للنهبِ

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

واهب الخُرّد العطابيلِ والكو ... ـمِ المطافيلِ والعتاقِ القُبِّ

(٧)

وبُدورِ النُّضار أعجلها الطا ... لبَ تبرا عن سبكها والضربِ

شرفُ صفّر الذى عظّموه ... من كرامِ أخبارُهم فى الكُتُبِ

غمس الشكر فى سلاف أياديـ ... ـه فحيّاه باللسان الرَّطْبِ

لا سقَى الله معشرا وهو فيهم ... لم يرجُونَ بارقاتِ السُّحبِ!!

(٨) (٩)

عرفَت فضلَه الرجالُ فألقت ... بالمقاليدِ لخُشاشِ النَّدبِ

(١٠)

طبعوا بهرجَ المعالى ليحكو ... هُ وليس النبيُّ كالمتنبِّى

من له رِحلتا "قريشٍ" الى المجـ ... ـد تؤوبان من علاءٍ بكسبِ

كيف لا يملأ الحقائبَ شكرا ... وهو فى متجرِ المكارم يُربى

---

(١) خرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية . (٢) عطابيل جمع عطبول : وهى المرأة الجميلة الطويلة . (٣) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٤) مطافيل : جمع مطفل وهى ذات الطفل . (٥) العتاق : الخيل النجيبة . (٦) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٧) بدور : جمع بدرة وهى كيس توضع فيه النقود . (٨) الخشاش : الشجاع ، وفى الأصل «الحشاش» وهو تصحيف . (٩) الندب : الماضى السريع الى الفضائل .
(١٠) البهرج : الزائف .

شنّ غاراته على عازبِ السـ(١)ـؤ ددِ ما يقترِحْ يحـوز ويَسبي

همـمٌ لا ترَى العـلوَّ علوّا أو تُدلّى على النجـوم الشُّهبِ

طاعناتٌ فروعُها فى الدَّرارِى(٢) ضـاربات عروقُهـا فى التُّربِ

سابقاتٌ وفـدَ الرياح اذا يو مُ رِهانٍ أجراهما من مَهبّ

شرفٌ دلّ حاسـدُوه عليـه ودليـلُ القِـرَى نُباحُ الكلبِ

إنّ هـذا الهمامَ قـد عطّل الرمـ(٣)ـحَ وأبدَى كَهامـةً(٤) فى العضبِ

صـقَل الرأىَ بالتجاربِ حـتى هو أنقى مَتنٍ(٥) وأذلقُ غربِ(٦)(٧)

وحمَى فى رِباعـه غابةَ اللي ـث بتـدبيره وبيتَ الضبّ

ذو هبـاتٍ يُدنى لمحتلبِ الحيـ(٨)ـرِ لَبـوناً(٩) تدرُّ من غـير عَصبِ(١٠)

من صريح يعطيك زبدًا بلا مخـ(١١)ـضٍ ويُغنيك عن تعنّى الوَطبِ

ومتى يعـترضه محتطبُ الشـ ـرّ يجـدْ عنـده وَقـودَ الحـربِ

أسمرا كالرشاءِ(١٢) يُرسـله الرا(١٣)ـمُ(١٤) فى كلّ طعنـةٍ كالجُبِّ

وغَموضَ الحدين من جوهرِ الـ ـموت مُوَلًّى على النفوس لغصبِ

---

(١) العازب : الشارد . (٢) الدرارى : النجوم . (٣) الكهامة : الكل ، يقال : سيف كهام أى كليل غير قاطع . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) المتن : الظهر . (٦) أذلق : أحدّ . (٧) الغرب : الحد . (٨) فى الأصل : «لمجتلب» ، وهو تصحيف . (٩) اللبون : الغزيرة اللبن . (١٠) العصب : شدّ فخذى الناقة لتدر . (١١) الوطب : إناء يحلب فيه . (١٢) الأسمر : الرمح . (١٣) الرشاء : الحبل . (١٤) الرامح : حامل الرمح .

وسَبوحا[1] قَـــوداءَ[2] تحتلب الجِـر ... يةَ فى حافرٍ كمثلِ القعبِ[3]

لوذعىٌّ تهيـج منـــه الأعادى ... قانئَ الظُّفـر من فـؤادٍ وخِلْبِ[4]

عنـــدَه للأمور أشـفَى دواءٍ ... وعلاجُ الشئون خـــيرُ الطِّبِّ

أبدا حزمُـــهُ برغـــم الليـالى ... غُدَّةٌ أمسكتْ لَهَـاةَ[5] الخَطْبِ

هو إما الذُّعافُ[6] رقـــرقه الصِّـ[7] ـلُّ لحـاويهِ أو هِنـاءُ[8] النُّقْبِ[9]

تقتضِى المشكلاتُ منـه مقالا ... يتولَّى حـــكَّ القلوب الجُربِ

حِـكَمٌ لو أصابهـا حىُّ "عَدوا[10] ... نَ" ٱدّعَوها "لعامرِ بنِ الظَّرْبِ"

إنمـا أنت يا "محمدُ" للنـا ... س شبيهُ المبعوثِ من "آل كعبِ"

ذاك كان الربيـعَ إذ قَحَط الـ ... ـدِّينُ وأنت الربيعُ عامَ الجـدبِ

أطلـــعَ الله للخـــلافةِ نجمـا ... منك عن سعدك المخلَّد يُنبِى

دولةٌ مذ دُعيتَ فيها "عميدا" ... غَنِيتْ عن عَمودِهـا والطُّنْبِ[11]

فلهـا السَّـــرحَ بالبسالةِ يحمِى ... ولهـا الفئَ بالأمانةِ يَجـــبى

وإذا رايـــةٌ أُمدّتْ بإقبـا ... لك سارت[12] منصـــورةً بالرُّعبِ

---

(١) السبوح : الفـرس . (٢) القوداء : المنقـادة الذلول . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ ، و يقال : حافر مقعب أى مدوّر كالقعب . (٤) الخلب : حجاب الكبد أو هو غلاف البطن . (٥) اللهاة : لحمة معترضة فى أعلى سقف الحلق . (٦) الذعاف : السم . (٧) الصل : الثعبان . (٨) الهناء : القطران . (٩) النقب : الجرب . (١٠) عدوان : قبيـلة من العرب منها عامر بن الظارب — بكسر الراء وسكنت هنا للضرورة — وهو من حكماء العرب المشهورين و يقال : إنه أول من قرعت له العصا . (١١) الطنب : حبـل يشدّ به سرادق البيت . (١٢) كذا فى الأصل ، وفى مختارات البارودى : « صارت » .

كيفَ لم تَلبَس السِّوارَ حُلِيًّا ... فى يدٍ أُولعت بكشفِ الكُرَبِ

قَرَّ عينًا بمهرجانٍ وعيـــدٍ ... أتحفـا بالحبيبِ نفسَ المحبِّ

لم يُطِقْ واحدٌ قضـاءَ أيادِيـ(١)ـك فوافاك مستغيثا بِتِرْبِ

حَوْلُ هذا مستوفِزٌ لرحيـــلٍ ... وثنـاءٍ، وطَوْلُ هـذا لقُربِ

جُمعا فى غِـــلالةٍ نسجِ "أيلو"(٢) ... لَ"(٣)، لهـا رقّةُ الفؤاد الصبِّ

فتلقّ السرورَ من كلّ وادٍ ... وتملَّ النعـــيمَ من كلّ شِعْبِ(٤)

كلّمـا جادت الليـالى بمنٍّ ... منه صابت أيامُهنّ بضربِ

لستُ فيـه أُهدِى هديّةَ مثلٍ ... بل هدايايَ شكرُ عبـــدٍ لربِّ

أنا لولاكَ لم أحُكْ بُردةَ الشِّعـ ... ـر ولا كان لؤلؤى للثّقبِ

غـــيرَ أنى إذا زجرتُ القوافى ... فيكَ خبَّت على طريقٍ لَحَبْ(٥)

والمديحُ العتيقُ للعِـــرضِ واقٍ ... والمديحُ الهجينُ(٦) بعضُ(٧) التّلبِ

قلّ نفعى بمـا حويتُ فيا ليـ ... ـتَ ذوى الجهلِ يستبيحونَ سَلْبى

انظُرِ المنهـــلَ المصفّقَ مَورو(٨) ... دًا فأطويهِ جازئا(٩) بالرَّطْبِ

لِمَ يستنزلُ الزمانُ جدودى ... وهى من عزّكَ المنيعِ بهَضْبِ(١٠)

---

(١) التّرب : من يولد معك فى سنك . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٣) أيلول : اسم شهر من شهور السنة الرومية . (٤) الشعب : الطريق فى الجبل . (٥) اللحب : الواسع الواضح . (٦) العتيق : الكريم . (٧) الهجين : غير الأصيل .

(٨) جازئا : مكتفيا . (٩) الرطب : العشب الأخضر . (١٠) الهضب : الجبل .

أتُرانى مثلَ الكواكب، أبطا هُنَّ سيرا مادار حولَ القُطبِ!

إنهـا عَقْبـــةٌ لضيقٍ تجَـــلَّى ثم تُفضِى الى مجـالٍ رَحبِ

* * *

وقال يمدحه :

ما فاز بالحمـــدِ ولا نالَهْ من عشقتْ راحتُـــه مالَهْ

لا والذى يرضَى لمعـــروفهِ أن يفتح السائلُ أقفـالَهْ

تِرْبُ المعالى من له فى النَّدَى بادرةٌ تُخـــرِسُ سُـــؤَّالَهْ

بفـاجئ الراجى بأوطارِه كأنّه وســوَس آمالَهْ

مُنْيتُـــهُ للطارق المجتـــدى أن يدرُجَ الأرضَ فتُطوَى لَهْ

مثل "عميدِ الدولةِ" المرتقِى بحيثُ أرسَى المجـــدُ أجبالَهْ

ذو الرأى قد شـــدَّ حيازيمَهُ (١) يصـارع الدهرَ وأهـــوالَهْ

اذا عَرا خطبٌ تصـــدَّى له (٢) يوقدُ فى جُنحيْه أجـــذالَهْ

مُصيبُ سهم الظنِّ لا ينطوى غيبُ غـــدٍ عنـــه اذا خالَهْ

كأنَّ (٣) فى جنبيـــه ماويَّةً تريه مما غاب أشـــكالَهْ

بازلُ (٤) عامين آرتضَى وخدَه (٥) فى طَـرْقه العـــزَّ وإقبـالَهْ

---

(١) حيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر، أو ما يشد عليه الحزام . (٢) أجذال : جمع جذل وهو أصل الشجرة وغيرها . (٣) الماوية : المرآة . (٤) البازل : الجمل المسن .
(٥) كذا بالأصل ، ويحتمل أن تكون « وإرقاله » معطوفة على قوله : وخده ، والوخد والإرقال : ضربان من السير السريع .

لا يشهـدُ المغـنمَ إلا لكى (١) يقسِمَ فى الغازين أنفالَهْ

إذا زعيمُ الجيش حامَى على (٢) مِرباعه أنهبَ أموالَهْ

فعادةُ الجـود وإسرافُه قد كثَّرا بالشكر إقلالَهْ

سامٍ اذا تِهتَ عليه وإن (٣) وادعتَه طأطأ شِملالَهْ

كأنما أقسمَ حبُّ العلا عليه : أن يُتعِب عُذّالَهْ

فلا ينُوا عنه عتابا ولا (٤) أقوالهُم تزجُر أفعالَهْ

كم قد عرَتْه من يدٍ أتلفتْ درهمَه فيه ومثقالَهْ

خرَّف (٥) حتى حقروا عنده مَنْ وزَن المالَ ومَن كالَهْ

مشتبهُ الأطرافِ ، أعمامُهُ (٦) يظنُّها القائفُ أخوالَهْ

إن جذَب الفخرُ بأبرادِهم (٧) فكلُّهم يسحبُ سِربالَهْ

فى كلِّ جمعٍ صالحٍ هاتفٌ (٨) ما يأتلِى يضربُ أمثالَهْ

أما ترى الرقشاءَ فى كفِّه (٩) كأنها سمراءُ (١٠) ذبَّالَهْ !

اذا تثنَّتْ فوق قِرطاسِها رأيتَها بالفضلِ مختالَهْ

---

(١) الأنفال : الغنائم . (٢) المرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

(٣) الشملال : الناقة السريعة الخفيفة ؛ والمعنى أنه يثنيها كناية عن تواضعه لمن يوادعه . (٤) ينوا : يفتروا . (٥) كذا بالأصل ولعلها « خرق » بمعنى توسع فى العطاء . (٦) القائف : الذى يعرف النسب بفراسته . (٧) أبراد : جمع برد وهو الثوب . (٨) الرقشاء : الحية — والمراد بها القلم على التشبيه — . (٩) يريد بالسمراء قناة الرمح . (١٠) ذبالة : دقيقة .

فتـارةً تشَـفِى بدِرياقِهـا وتارةً بالسُّـمِّ قتَّـالَهْ
ينفُثُ فى أطرافِهـا رُقيـةً تعـالجُ الـعِىَّ وأغـلالَهْ
قد صيَّرت "سحبانَ" فى "وائلٍ" كأنّـه عَجـماءُ صَلصالَهْ (١)
لا رجَعتْ نُعماه حَسرَى كما راجعَ هـذا القلبُ بَلبـالَهْ
عاودَه من دائه نَكسُهُ من بعد أن شارف إبلالَهْ
ولو صحـا طـورا لعنَّفتُـه فى حبّـه بيضـاءَ مِكسالَهْ،
أو رشأً قـد لثَّمـوا وجهَـه فجـاء مثلَ البـدر فى الهـالَهْ
أبعْـدَ ما عمَّم كافورُهُ رأسى وأعفَى الرأسُ صَـقَّالَهْ؟،
أجيبُ طيفا زار، عن زورةٍ وأسأل الربـعَ وأطـلالَهْ
ويطرُدُ التحصيلَ من خاطرى صهباءُ أو صـفراءُ سلسالَهْ
وليس خِدْنى بالهِـدانِ الذى (٢) هجوعُـه يألفُ آصـالَهْ
لا يترجَّى الضيفُ إمراعَـهُ ولا يخـاف الجـارُ إمحـالَهْ
لكنّه الأشعثُ فى سِربهِ (٣) يحـدو إلى العلياء أجمـالَهْ (٤)
ببيت ضبٌّ القاع من خوفهِ مستثفرا (٥) دهمـاءَ شـوَّالَهْ

(١) العجماء : البهيمة ، والصلصالة : المصوتة . (٢) الهدان : الوخم الثقيل .
(٣) الأشعث : المغبر شعر الرأس . (٤) أجمال : جمع جمل وهو معروف .
(٥) مستثفرا : أى واضعا تحت ذنبه ، والدهماء الشوالة : العقرب ، لأنها تشول بذنبها أى ترفعه .
وتزعم العرب أن الضب يستثفر العقرب فاذا أدخل الحارش يده فى جحره لصيده لسعته .

أشهَى له من قَينـــةٍ مطربٍ (١) عنافُـــهُ جرداءَ صَـــهّالَهْ (٢)

قـــد عاشر الوحشَ بأخلاقه وباين الحيَّ وجُهّـالَهْ

كلٌّ له فى ســـعيهِ مَذهبٌ وكلُّ عيشٍ فـــله آلَهْ

وهذه الأيامُ إن حُقِّقت شرّابَـــةٌ للخـــلقِ أكّالَهْ

* * *

وقال فيه ولم يتمها :

أكرِمْ بوجه الراكبِ المُعنِقِ (٣) يخـــبرُنا : أنّا غدًا نلتـــقِ

حجـابُ قلبى فُـزْ بهِ خلعـــةً فتحفـــةُ البشرَى على الشـــيِّقِ

تُراهُمُ زمّوا بحمـــلِ الصَّـــدَى رسالةَ العـــانى الى المطـــلَقِ؟

وٱستفهموا الطيف وقالوا له : تعـــلَمَ (٤) من عشّاقِنا مَـــن بقِي؟

أنا الذى ضمّتْ غَداةَ "النقا" حبـــائلُ الأسرِ ولم أُعتـــقِ

وكلّما أثبتَ راميهـــمُ أسهمَـــه قلتُ له : فَـــوِّقِ (٥)

ما أحذقَ الطاهى الذى عندكم أنضـــجَ بالنـــار ولم يُحـــرِقِ

ليس الحَمَى إلا بسُـــكّانِه والشـــمسُ منها بهجةُ المَشرِقِ

---

(١) القينة : المغنية . (٢) الجرداء : الفرس قصيرة الشعر . (٣) المعنق : الذى يسير العنق وهو ضرب من السير السريع . (٤) يريد : أتعلم فحذف حرف الاستفهام . (٥) فوق السهم : سدده .

عليّ عَقْرُ البُدْن[1] إن أصبحت خيامُهم وهى رُبَى "الأبرق"
مثـــل الأداحيّ[2] وبيضاتُها تُحضنُ[3] بالأبيض والأزرق
يا مائحَ[4] الماءِ عدِمتَ الرَّوَى من جَفْر[5] هذا القلبِ كم تستقِى!!
من شيمة الماءِ انحدارٌ فلِمْ ماءُ فـــؤادى أبدا يرتـــقِ
تحسبُ فى أجفانىَ السُّحبَ أو جودَ "عميدِ الدولة" المغـدقِ

* * *

وقال فيه أيضا :

لستُ أقضِى إذا رأيتُـــك نَذرا غيرَ نثرى عليـك حمـدا وشـكرا
وثناءً إذا تلقَّطـــه السمـ ـعُ تحـــلَّى فى موضع القُـرط دُرًّا[6]
مالىءٌ قلبَ من يواليـــك إطـرا با وأُذنَ الذى يعـاديك وَقْـرا[7]
ليس لى من فضيلةٍ فيـه إلا أننى ألبِس القـــلائدَ نحـــرا
أتلـقَّ بحسن أخلاقـــك الغُـ ـرِّ شـــبيهاتهنّ وجهًـا أغرًّا
فكأنى إذا تمضمضَ بالمـــد ح لسـانى أديرُ فى الفمِ خمـــرا
كلُّ هـــذا جَهـدُ المقلِّ وما قـ ـصَّر من يبتنى لمجـــدك ذِكرا

---

(١) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدم للنحر . (٢) أداحى : جمع أدحى وهو مجثم النعامة تبيض فيه . (٣) الأبيض والأزرق : يراد بهما ريش جناحى النعامة . (٤) المائح : مستخرج الماء من البئر . (٥) الجفر : البئر الواسعة . (٦) القرط : الحلق .
(٧) الوقر : الصمم .

لا يزور الرقادُ عينـا إذا سِـــر ... تَ ولا يسكن الفؤادُ الصـــدرا

كيف لا تقشـعِرُّ أرضٌ إذا أعـ ... ـرضتَ عنها واستأنستْ بك أخرى

تستطيل الأوقاتَ حتى ترى السا ... عةَ حَوْلا وتحسَب اليـــومَ شهرا

لو أطاقت سعيا إذا زُلتَ عنهـا ... لغدت فى أوائل الركب حسرى (١)

أنت روحٌ لهـا ولا يعـمُر الجثـ ... ـمانُ إلا ما دام للروح وَكرا

إنمـا تعـــدَم البِـــلادُ متى غبـ ... ـتَ ضياءَ الآفاق شمسًـا وبدرا

وسحابا للجـود يرعُـــد وعـــدا ... ثم يَنـدَى كفًّا ويَبرُقُ بِشرا (٢)

فاذا ما أقمتَ أصـــبحنَ خُضرا ... واذا ما ظعنتَ أمسين غُبْرا

نغفِـرُ الصـــدَّ للحبيب ولا نقـ ... ـبلُ منـــه عـــلى التباعُد عُذرا

يتمنَّى المحبُّ قـــربا ووصـــلا ... فاذا فاتَه فقـــربا وهَجـــرا

لا تُرعنـا بغُـــربةٍ بعـــدُ ؛ إنّا ... ليس نُعطَى على التفرّق صـــبرا (٣)

إن ســـقانا إيابُك اليـــومَ حُلوا ... فبما أسقت النـــوى أمسِ مُرّا

غـيرَ أنّا إذا الســـلامةُ حاطتـ ... ـك وسِعنا الزمانَ عفـــوا وغَفْرا

---

(١) حسرى : معيية .

(٢) فى الأصـل : « نشرا » .

(٣) فى الأصل « لا شرعنا بعزمة » والسياق بها غير ملتئم .

* * *

وقال يمدحُهُ، ويهنّئه بعَوده من خراسان، وهى آخرُ شعرٍ قاله رحمه اللهُ :

ما ذا يَعيبُ رجالُ الحىِّ فى النادى ... سوى جنونى على أُدمانةِ(١) الوادى؟!

نَعَمْ هى الزادُ مشغوفٌ بهِ سَغِبٌ(٢) ... والماءُ حامت عليه غُلَّة الصادى

يا صاحبى أنتَ يومَ الرَّوع تُنجدنى ... فكيف يوم النوى حرَّمتَ إنجادى

وما سلكتُ فِجاج الحبِّ معتزما ... حتى ضمِنتُ ولو بالنفس إسعادى

من أين تعلَمُ أنّ البينَ وخزتُه(٣) ... فى القلبِ أسلمُ منها ضربةُ الهادى!

لادَرَّ دَرُّك إن ورَّيتَ عن خبرى ... إذا وصلتَ وإن أشمتَّ حُسّادى

قُلْ للمقيمين "بالبطحاءِ" إنَّ لكم ... "بالرقّتين" أسيرا ماله فادى

بين العواذل تطويه وتنشُره ... مثلَ المريضِ طريحا بين عُوَّادِ

ليتَ الملامةَ سدَّت كلَّ سامعةٍ ... فلم تجد مسلَكا أُرجوزةُ الحادى

أكلِّف القلبَ أن يهوَى وأُلزمه ... صبرا، وذلك جمعٌ بين أضدادِ

وأكتُم الركبَ أسرارى وأسألهم ... حاجاتِ نفسى، لقد أتعبتُ رُوّادى

هل مدلجٌ(٤) عنده من مُبكرٍ خبرٌ ... وكيف يعلم حالَ الرائح الغادى؟

وإن رويتُ أحاديثَ الذين نأَوا ... فعَنْ نسيم الصَّبا والبرقِ إسنادى

---

(١) الأدمانة : الظبية التى أشرب لونها بياضا . (٢) السغب : الجائع .

(٣) الهادى : العنق . (٤) المدلج : السائر بالليل، والمبكر السائر فى بكرة النهار .

قالوا: تعوّض بغزلان "النقا" بدلا ... أمقنعى شِبْهُ أجيادٍ لأجيـاد؟

إن الظبـاءَ التى هام الفؤادُ بهـا ... يَرعَينَ ما بين أحشاءٍ وأكبادِ

سَكَنَّ من أنفس العُشّاق فى حَرَمٍ ... فليس يطمع فيهـا حبلُ صـيّادِ

هيهات لا ذقتُ حُلوا من كلامكمُ ... قـد بان غدركُمُ فى وجه ميعادى

ولا جعلتُ الّلى وِرْدى وقد ضمنتْ ... غمامةُ الجود إصـدارى و إيرادى

فى "شَرَف الدين" عن معروفكم عِوَضٌ ... كرامةُ الجارِ والإيثـارُ بالزادِ

للطارقِ الحكمُ فى أعناقِ هَجْمتِـه (١) ... ولو تقرّاه ذئبُ الرّدهـةِ (٢) العادى (٣)

نادتْ : هلمّ الى الشّيزَى (٤) مكارمُهُ ... فُنُبَن فى الليـلِ عن نارٍ ووقّادِ

يَشفِين من قَرَمِ (٥) الضّيفانِ عند فتًى ... لا يزجُرُ السيفَ عن عُرقوبِ مِقحادِ (٦)

مباحُ أفنيةِ المعـروفِ ليس له ... بابٌ يعـالجه العـافى بمِقـلادِ (٧)

فلا وكاء (٨) على عينٍ ولا ورقٍ (٩) ... ولا رِعاء (١٠) لأزرابٍ (١١) وأذوادِ (١٢)

أجدَى فلم يرَ ذُخرا فى خزائنـه ... إلا قنـاطيرَ من شكرٍ وإحمـادِ

فى كلّ يومٍ يُرينـا من مواهبـه ... بِرًّا غريبا وفضـلا غيرَ مُعتـادِ

---

(١) الهجمة : من الإبل ما بين الأربعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى "هنيدة" .

(٢) تقراه : طلب قراه . (٣) الردهة : النقرة فى الصخرة . (٤) الشيزى : القصعة . (٥) القرم : شدّة النهم الى أكل اللحم . (٦) المقحاد : الناقة العظيمة السنام . (٧) المقلاد : المفتاح . (٨) الوكاء : حبل تربط به القربة .

(٩) العين والورق : الذهب والفضة . (١٠) رعاء : جمع راع . (١١) أزراب : جمع زرب وهو موضع الماشية . (١٢) أذواد : جمع ذود وهى الإبل .

شريعةٌ فى النَّدَى ضلوا فدلَّهُمُ ... على مناهجها خِرِّيتُها(١) الهادى

قاضى اللُّبانةِ لم يفطِن لها أملٌ ... كأنّه لهـوى العافى بمرصادِ

له قِبابٌ بطيب الذكرِ شيَّدها ... فما دُعِمنَ بأطنابٍ وأوتادِ

يا بحرُ إن شئتَ أن تحكى مواهبَهُ ... فدع مُخوِّفَكَ من هَيْجٍ وإزبادِ

قد ساجمَ(٢) العارضَ(٣) الهامى وزايدَه ... حتى استغاث بإبراق وإرعادِ

لله أىّ زلالٍ فى مَزادتِهِ(٤) ... والظَّمءُ يَخلِطُ فُرَّاطا(٥) بُوَّادِ

أُنظُر اليه ترى من شأنِهِ عجبا ... زِىَّ الملوك على أخلاقِ زُهّادِ

إن قال قومٌ : له مِثلٌ، يقلْ لهُمُ ... من مانلوه به : جئتم بإلحادِ

لا تكذُبنَّ فهذا الشخصُ من نفرٍ ... لم يخلُق اللهُ منهم غيرَ آحادِ

شرائطُ المجد كلٌّ فيه قد جُمِعتْ ... جمعَ حروفِ النهجّى فى "أبى جادِ"

أرِحْ بنانَك من حُسبانِ سؤدده ... إن الكواكبَ لا تُحصَى بأعدادِ

وهل يفوت المعالى من أحاط بها ... بنفسه وبآباءٍ وأجدادِ؟

اذا الفخارُ رمَى الفُتيَا الى حَكَمٍ ... وافَى ينافر أمجادا بأمجادِ

على المهابةِ قد زُرَّت بَنائقُه(٦) ... كأنّه لابسٌ لِبداتِ آسادِ

---

(١) الخريت : الدليل . (٢) ساجمه : عارضه فى انسجامه . (٣) العارض : السحاب المعترض . (٤) المزادة : وعاء يحمل فيه الماء . (٥) فراط : جمع فارط وهو الذى يتقدم القوم الى الورد لإصلاح الحوض . (٦) البنيقة : زيق القميص الذى ينفتح على النحر .

لذاك صُـــعِّر خـــدٌّ غيرُ منعفرٍ ... له وخرَّ جبينٌ غـــيرُ سجّـادِ

تطأطأ المجـــدُ حتى صار فارسَـــه ... ثم اشمخرّ فـــلم يلطأ لصـــعّادِ (١)

فكيف لا ترهبُ الأعداء نقمتَه ... و بطشُها كصنيع الريح فى "عادِ"

صوارمٌ من صواب الرأى يطبعها ... وصانعُ المكرِ يكسوها بأغمـادِ

اذا انتُضينَ وما يَظهرنَ من لَطَفٍ ... فرّقن ما بين أرواح وأجسادِ

وللكايد ســـيفٌ غـــيرُ منثلمٍ ... وللخـــدائع رمحٌ غـــيرُ منآدِ (٢)

فى أيّما جانبٍ من حزمِه نظـروا ... لم يجـــدوا مطلعا فيـــه لأفنـــادِ (٣)

تخافُ عزمتَه الإبلُ التى خُلقتْ ... أخفافُهنّ لتهجـــيرٍ وإسآدِ (٤)

وتتقيـــه العِتـــاق القُبُّ سـائمةً ... تطويحَها بين أتهـــامٍ وأنجادِ (٥)

أليس ناظمها عِقـــدا له طَرَفٌ ... "بالرىّ" والطرفُ الأقصى "ببغدادِ"

مكلّفات بســـاطَ الدوّ تمسحه ... بأســـؤقٍ وبأعنـــاقٍ وأعضـــادِ (٦)

كأنّ آثارَ ماداست حوافرُها ... دراهمٌ بَدَدٌ فى كفِّ نقّـــادِ (٧)

طورا تَسـامَى على يافوخِ شاهقةٍ ... بها السمواتُ ظُنّتْ ذاتَ أعمادِ (٨)

---

(١) يلطأ : يلصق بالأرض . (٢) المنآد : المنثنى . (٣) أفنـاد : جمع فنـد وهو الكذب . (٤) التهجير : السـير فى وقت الهجيرة ، والإسآد : السـير بالليـل . (٥) القب : الخيل الضامرة البطون ، واحدها أقب وقباء . (٦) الدو : المفـازة . (٧) بدد : متفرقة . (٨) اليافوخ : الموضـع الذى يتحرك من الطفل فى أعلى الرأس .

وتارةً ترتمى فى صفصفٍ قُـذُفٍ (١) (٢) للآلِ (٣) يُكذَب فيـــه كلُّ مُرتادِ

حتّى شَـتَيْنَ "بنيسابورَ" باليـــةً إلا عِظـاما مُواراةً بأجـــلادِ

فى شَـتوةٍ شَمِطَ الليـلُ البهيمُ بها تُضاحِك الريحَ ماهبَّتْ بصَـــرَّادِ (٤)

كأنَّ فى أرضها أنْسَـاجَ قِبْطِيَـــةٍ (٥) أو السماءَ آســـتعارت بَرْسَ نَجَّادِ (٦)

يا من يشاوَرُ فى قُرب وفى بُعُـدٍ ومن يُعَـــدُّ لإصلاحٍ وإفسـادِ،

إن الامامَ مذ آسـترعاك دولتَـهُ غَنِى برأيك عن تجهيزِ أجنـادِ

إن مرِضَتْ ليـلةً عُمىٌ كواكبُها قـدحتَ فيها بزَندٍ غيرِ صَـلَّادِ (٧)

فهذه الأرضُ قد عَجَّت بدعوتِه، فى كلِّ قُطرٍ خطيبٌ فوق أعوادِ

عـونٌ من الله لم يَشهد وقيعتَـه إلا كتائبُ توفيـــقٍ وإرشادِ

وحسنُ تدبـيرك المُردِى أعاديَهُ مقـرَّنين (٨) بأغـــلالٍ وأصـــفادِ

فأىُّ فـــظٍّ عليهـا غيرُ منعطفٍ وأى صعبٍ حرونٍ غيرُ منقادِ

وفى "خراسانَ" قد شِيدتْ مآثره أرَّخَهـا صـيتُها تاريخَ ميـــلادِ

بين الخليفـةِ والمَلْكِ المطيـعِ له أبـرمتَ وصـــلةَ أولادٍ لأولادِ

---

(١) الصفصف : المطمئن من الأرض . (٢) قذف : بعيد يتقاذف بمن يسلكه .

(٣) الآل : السراب ، وفى الأصـل « الأهل » وهو تحريف ؛ و يكذب : يسوء سـيره .

(٤) الصراد : الريح الباردة . (٥) القبطيـة : ثياب من كتان تنسـج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس . (٦) البرس : القطن . (٧) الصلاد : — من الزناد — غير الموري . (٨) مقرنين : مشدودين بالقرن وهو الحبل .

شمسٌ وبدرٌ لويتَ العقدَ بينهما ... لولا الشريعةُ لم يوثَق بإشهادِ

فليس كالصهر فى سهلٍ ولا جبل ... وليس كالحمو فى حَضْرٍ ولا بادِ

فياله شرفا أحرزتَ غايتَه ... فلم تدع فضلةً فيه لمرتادِ

وما بلوغُك فى العلياء آخرها ... بمانعٍ كرَّةَ المستأنف البادى

تسومنى أن أُنير(١) القولَ فيك وما ... يُغنى المرقِّشُ(٢) من تفويف(٣) أبرادِ

بل كلُّ مدحك أمرٌ ليس من حِبلى ... وكنهُ وصفك ثِقلٌ(٤) ليس فى آدى

إنَّ القوافى وإن جاشت غواربُها(٥) ... لا يُستطاع بها تحويلُ أطوادِ

فإن رضيتَ بميسورى فهاءِ حُلًى ... مَصُوغة بين أفكارى وإنشادى

فلن تعوزَ يدَ الغوَّاص من صدفٍ ... فريدةٌ وُسِّطتْ فى سلك عقَّادِ

أُعابُ بالشعر لا أبغى به عِوضا ... ولا يُعاب أناسٌ غيرُ أجوادِ

لكنّنى فى أناسٍ إن سألتُهمُ ... لم يعرفوا الفرق بين الظاء والضادِ

ما دمتَ سمعا وعينا فى الزمان لنا ... فكلُّ أيامِه أيامُ أعياد

* * *

وقال يمدحُ زعيمَ الرؤساء أخاه وهو يتولَّى الديوان :

صبَّحها الدمعُ ومسَّاها الأرقْ ... هل بين هذين بقاءٌ للحَدَقْ؟!

لا متعةً بالظبى عنّ غاديا ... ولا خداعا بالخيال إن طَرَقْ

(١) أنير : أجعل له نيرا وهو هدب الثوب ولحمته ، فاذا نسج من نيرين كان أصفق . (٢) المرقش : المزخرف . (٣) التفويف : تخطيط الثوب . (٤) الآد : القوة . (٥) الغارب : معظم الماء .

إن ضحِك البرقُ من "الحَزْنِ" رنا ... أو فاحت الريحُ من "الغور" نشِقْ

كم ذا على التعليـــل تحيا مهجةٌ ... بمُـــديتَيْ بينٍ وهجـــرٍ تُعـــتَرَقْ (١)

ليت الذى عَذّبَ إذ لم يُعفِـــه ... من مسّـــه بالضُّـــرِّ وانَى ورَفَقْ

ميّـالةَ الأعطافِ، ما فاتكِ من ... غصونِ بانات "الحمى" إلا الورَقْ

لو ثبتَ السهمُ الذى أرســـلتِه ... فى القلبِ وافقتَكِ لكن قد مرَقْ

جمعتم السـرّاءَ والضـرّاءَ لى ... فأنتمُ كالماءِ رِىٌّ وشَـرَقْ

كان آتفاقا ولَعى بسـربكم ... وشـرُّ أحداثِ الليـالى ما آتفقْ

لم أدرِ أنّ من حُداة ظُعْنِكم (٢) ... أو سـائقيهنّ غـرابا قـد نغقْ

هبْ أنّ طَرفى أسرَته بينكم ... حبـائلٌ، فآنظر عُيَيْناتِ الخَرِقْ (٣)

وخُذْ لمن عَنَيْتُ منّى سِمـةً ... لألأةَ البـدر إذا البدرُ آنسـقْ (٤)

ولا تَعَـرَّضْ لعـلاجى إنمـا ... يَشفِى من الحبِّ الذى يَشفِى الوَلَقْ (٥)

علَّ الغـرامَ نازلٌ عن صهـوتى ... إن لِمّتى الدهمـاءُ شِـيبت بالبَلَقْ (٦) (٧) (٨)

يصنَعُ لونُ الشَّـيبِ بالشباب ما ... يصنع بالجـلدةِ توليعُ البَهَـقْ (٩) (١٠)

---

(١) تعترق : يؤخذ ما عليها من اللحم نهشا . (٢) ظعن : جمع ظعينة وهى الإبل التى يحمل عليها . (٣) الخرق : ولد الظبية . (٤) انسق : انتظم واستوى . (٥) الولق : الجنون . (٦) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٧) الدهماء : السوداء . (٨) البلق : سواد وبياض . (٩) التوليع : البرص . (١٠) البهق : بياض يظهر على بشرة الجسد .

قلتُ : ظـلامٌ طلعتْ أنجُـمُـهُ (١) فـما آعتذارى إن بدا ضوءُ الفَلَقْ

أليس بَردُ اليأسِ لو وَسـعتُه (٢) أطفأَ من تسـويف آمالى حُرَقْ

مهلا فـما دون الأمانى هَضبـةٌ تزداد بالحرص آرتفـاعا وزَلَقْ

لو جُلتَ حولَ الفـلَك الدّوار لم (٣) يزددْ نقـيرا فوق ما اللهُ رزَقْ

عش بطفيف القوتِ سَدّ جَوعةً (٤) والقطرةِ الكدراء والثـوبِ المِزَقْ

وساوِ ربَّ التـاج فى سـلطانهِ من يُعتِـق الأطماعَ منهنّ عَتَـقْ

وعاشر النـاسَ بلا تصـنُّع لا جفوة الهَجرِ ولا زُور المَـلَقْ

وآدعُ "زعيمَ الرؤساء"، يستجبْ أروعُ نهّـاضٌ بمـا جلّ ودقّ

لا تطمع الأنفـالُ أن (٥) تؤودَه (٦) والدُّر فى اللُّجـة لا يخشَى الغـرَقْ

أضحت صروفُ الدهر فى سطوته (٧) ملزوزةً لـزَّ البِطان (٨) بالحِـلَقْ (٩)

معتـدل الشيمة حتى إبْـلُه (١٠) سِيرتُها بين الرسـيم والعَنَـقْ

لا شَـيبة الحـلم كسته وَنيـةً (١١) ولا شبابُ السنّ أعطاه النّزَقْ

---

(١) الفلق : الصباح — والمراد من كل ما تقدّم وصف آشتعال الرأس بالشيب .

(٢) وسعته : أطقته . (٣) النقير : النكتة فى ظهر النواة . (٤) المزق : جمع مزقة وهى القطعة من الثوب ، و يقال : ثوب مزق باعتبار أجزاءٍ . (٥) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن تكون "الأثقال" ؛ والأنفال : جمع نفل وهو ما يفعل مما لا يجب فعله من العطاء .

(٦) تؤوده : تثقله . (٧) ملزوزة : ملاصقة . (٨) البطان : حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة . (٩) حلق : جمع حلقة وهى كل ما استدار . (١٠) الرسيم والعنق : ضربان من السير . (١١) الونية : الفتور والضعف .

قُضِى لـــه بالســـبق فى وِلاده ... والمهرُ بالعِـتق يُرى فيـه السبَقْ

رقَى المعـالى رتبـــةً فرتبـــةً ... كالعِقـد يعلو نظمه على نســـقْ

يبسِم بِشـــرا مازجتْه هيبـــةٌ ... تطلُّعَ النَّصلِ (١) من الغِمد الخَـــلَقْ

لم تُمطر السحبُ ولكن خجِلتْ ... من جوده حتى نضحن بالعَـــرَقْ

وأينَ منها راحـــةٌ مَصيفُها ... مثـلُ الشتاء يهمُر المـاءَ الغـدِقْ

كالخمـر للشارب كيف شاءها ... تصـــرَّفت مصطبَحا ومغتبَـق

ما زال يُفنى الحمـــدَ بآبتياعه ... حتى غلا فى كلّ ســـوقٍ ونفَقْ

وكلّما أســـرف فى صِـفاته ... مادحُه ، قالت معاليه : صـدَقْ

شـــمائلٌ وبهجـــةٌ مموقـــةٌ (٢) ... والحسنُ بالأخلاقِ ثم بالخِـــلَقْ

نصرا " أبا القاسم " قد تبرَّجَتْ ... أمُّ اللُّهَيْم (٣) حـاملا بنتَ طَبَـــقْ (٤)

فى مثلها رأيُك أذكَى زَنَدُه (٥) ... أو تنجلى عنها دُجُنّـات الغَســـقْ (٦)

ســـهلٌ على رأيك وهو ســاحرٌ ... تقويمُ ما آعوجّ ورتقُ ما آنفتقْ

قد أمكنتك فآنتهزها فرصـــةٌ ... بالشكر، والشكرُ لذيذُ المعتنَقْ

" بنى جَـــهيرٍ " أنتمُ دِرعى ، إذا ... رمَى الزمانُ بدواهيـه رشَـقْ

رميتُ من دون الأنام مِقودى ... إليكمُ طوعا وقطَّعتُ العُـلَقْ

---

(١) النصل : حد السيف . (٢) مموقة : محبوبة . (٣) أم اللهيم : الداهية .
(٤) بنت طبق : الداهية أيضا — والمعنى أن الداهية تستتبع الداهية . (٥) أذكى : أنار .
(٦) دجنات الغسق : ظلمات الليل .

فلا أكون بينكم "عُطاردا" لقربه من كُرة "الشمس" آحترقْ
لا رعَت الأحداثُ فى حِماكُمُ ولا رأت نجومُها ذاك الأفُقْ
إن حزتم العلياء عن آخرها بسعيكم فهو دُونَ المستحقّ

* * *

وقال يمدحه أيضا، ويهنئه بالنيروز :

وعيشِكم لا وردَ الحُوَّمُ مناهلا غُدرانُها تبسِمُ
ولا رعت هُمَّلُ[1] أبصارِهم فى روضةٍ نُوارُها أسهمُ
رويدكم إن الهوى مَعرَكٌ يُعدَم فيه الأجرُ والمغنمُ
وإنما تأويلُنا أنّه يحِلُّ للمضطر ما يحرُمُ
إنّ أبيّاتِ النفوس، التى أحلَى مناها الحادثُ الأعظمُ
نخوضُها فى غَمراتِ الهوى لأنّه يندُرُ فيها الدَّمُ
من ذا الذى أفتَى عيونَ المها بأنّ ما نُتلِف لا يُغرَمُ!
ساروا بقلبى دون جسمى فما تنفعنى الجلدةُ والأعظُمُ
وآستعذبوا ظلمى فمن أجلهم أستغفر اللهَ لمن يظلِمُ
ما ضرّهم لو سفَروا ريثما يَقبَل عُذرى فيهم اللومُ
قال لىَ الأحورُ من بينهم وما به الأجرُ ولا المأثمُ: «

(١) الهمل : جمع هامل وهو المتروك فى المرعى ليلا ونهارا .

داؤك هذا مَن جناه ومَن ... يُـبرئه؟ قلتُ : الذى تعـــلَمُ!

كم فى خيام البَـدوِ من ظبيةٍ ... سِـــوارها يُشـــبعه المِعصمُ

حاذرت العَينَ فما إن تُرَى (١) ... وخافت الســـمعَ فما تَبـغِمُ

لو فاخرتْ فى الليل بدرَ الدجى ... لكان بالفضل لها يُحكَمُ

لأنها قـــد فتنَتْ قومَها ... والبـدرُ لم تُفتَن به الأنجمُ

ما أصـعبَ الإذنَ على منزلٍ ... بوّابُه الخَطّـــىّ (٢) واللّهْـــذَمُ (٣)

لا برِح الوسمىّ (٤) عن أرضهم ... ولا نأَى عن جوّها المِـــرزَمُ (٥)

أو أبصرَ الكُثبانَ (٦) قد ظُلِّلتْ (٧) ... رَقْـما (٨) كما يصـطنع المُحـــرِمُ

وبلّـــغ اللهُ المـــنَى فتيـــةً ... ندیمُهم فى الصـبح لا يَنـدمُ

عاطيتهـــم صهبـاءَ داريّةً (٩) (١٠) ... قالوا : وأين الصابُ والعلقمُ

عزُّوا فلو تفقِـــد أذوادُهم (١١) ... حاميَهـا خفَّرهـا (١٢) المِيســـمُ (١٣)

---

(١) بقمت الظبية : صاتت . (٢) الخطى : الريح — منسوب الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح لأنه ميعها لا منبتها ، يقال رماح خطية على الوصـف ، و رماح الخط على الإضافة — . (٣) اللهذم : القاطع من السيوف . (٤) الوسمى : أول المطر .

(٥) المرزم : كوكب من أنواء المطر . (٦) كثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل .

(٧) فى الأصل « طلت » وهو تحريف . (٨) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز .

(٩) الصهباء : الخمر . (١٠) الدارية : منسوبة الى دارين وهى فرضه بالبحرين يحمل اليها المسك من الهند . (١١) الأذاود : الإبل . (١٢) خفرها : آمنها وحماها . (١٣) الميسم : العلامة يعلم بها الحيوان .

وهى على عزّتها بينهـــم ... يُبغَتُ(١) فيها الفـــذُّ(٢) والتوأمُ

ما تبرح الأكوارُ(٣) معمورةً ... بهم ونيرانُ الوغى تُضرَمُ

سـقيًا لهم لو أنّ أمّاتِهم ... لا تُطعِم الثُّكلَ ولا تُعقِمُ

تودُّ ذاتُ الحمـــل لو أنها ... يـــوما بأمثالهم تُتئِمُ(٤)

فلست أدرى أنجبوا شيمـــةً ... أم شِنشِنٌ(٥) ورّثهم "أخزمُ"؟!

بل من "زعيم الرؤساء" آقتنوا ... مكارمَ الأخلاق لا منهـــمُ

إن تُسئل العلياءُ عن نفسهـا ... تقلْ : "أبو القاسمِ" بى أعلمُ!!

قـد أنزلتْ فيه العلا سُـورةً ... دقّت معانيهـا فما تُفهـــمُ

كأنّمـا فى صـــدر ديـــوانه ... "داودُ" فى محرابه يحكُمُ

بلاغةٌ من حسن إيضاحهـا ... لا تُشـكل الخطَّ ولا تُعجِمُ

والفصـلُ أن يُنشَرَ قرطاسُـهُ ... وتَنبَـــهَ المُـــرّيّةُ(٦) النُّـــوّمُ

إذا تحـــدّى الغيبَ أفكارُه ... فليس بابٌ دونهـا مُبهَـــمُ

كُفيتِ يا سُحْبُ(٧) فلا تنصبى ... حسْبُ الثرى تيّارُه الخضرمُ(٨)

---

(١) فى الأصل "يعيث" والمعنى بها غير واضح . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) الفذ : الفرد ، والتوأم : ما ولد مع آخر . (٣) أكوار : جمع كور وهو الرحل . (٤) تتئم : تأتى بتوأمين فى بطن . (٥) الشنشن : العادة ، والمثل « شنشنة أعرفها من أخزم » .

(٦) المرية : منسوبة الى مرة بن ذهل أحد أجداد الممدوح لقوله فى موضع آخر :

يابنى مرة بن ذهل أبوكم ... ما أبوكم وجدكم أى جد

— والمراد بهذه النسبة الأقلام — . (٧) تنصبى : تجهدى . (٨) الخضرم : العظيم .

قد علِمَ العُشبُ وضيفُ القِرَى أيُكما فى الأزمةِ الأكرمُ

تطاولى يا هضباتِ المُنَى فهـــو الى ذِروتك السُّـــلَّمُ

محسَّـــدٌ يغبِـــط أقـــلامَه (١) عـــلى يديه الرمحُ والمِخـــذَمُ

وما الذى بينَهـــما جامعٌ هذان بؤسَى ، وهما أنعمُ

ليس بمحتـــاجٍ إلى شِكَّةٍ (٢) ، سـلاحُه من ذاته الضيغمُ (٣)

إنّ قِداح النَّبـــع مبرّيةً (٤) لغـــير مَنْ وقّصتُه شَيْهَـــمُ (٥) (٦)

وهو إذا هزَّ قنـا كيدِه (٧) شاطَ عليها البطلُ المعـــلَمُ (٨)

وقالت الدرعُ لمُجتابِها (٩) : ما هُزَّ إلا القـــدرُ المـــبرَمُ

وما كُلوم الدهر محـــذورة (١٠) ورأيُه الأعـــلى لها مِرهَمُ

ولو تشـاءُ اصطنعت خيـــلُه وليمـــةً يَشهـــدُها القَشعَمُ (١١)

قـــد صُبغتْ بالنقع ألوانُهـا (١٢) فاشتبـــه الأشهبُ والأدهمُ (١٣) (١٤)

من أُسرةٍ بيت معاليهـــمُ يزوره الكافـــرُ والمســـلمُ

مستلَمُ الأركان ، طُوّافُهُ بحمدهم لبُّـــوا كما أنعـــموا

---

(١) المخذم : السيف القاطع . (٢) الشكة : السلاح . (٣) الضيغم : الأسد .

(٤) النبع : شجر تتخذ منه السهام . (٥) الوقصة : دق العنق وكسره . (٦) الشيهم : القنفذ الذى عظم شوكه . (٧) شاط : هلك . (٨) المعلم : المميز بعلامة تبينه .

(٩) المجتاب : اللابس ، وفى الأصل : « لمحتابها » وهو تصحيف . (١٠) كلوم : جمع كلم وهو الجرح . (١١) القشعم : النسر الكبير . (١٢) النقع : غبار الحرب .

(١٣) الأشهب : الجواد الأبيض . (١٤) الأدهم : الجواد الأسود .

شُـيِّد بالإحسان بنيانُهُ فكلُّ بيتٍ غيرَه يُهـدَمُ
يزدحِم الوفـدُ بأرجائه فعامُهـم أجمعـه مَوسِمُ
لـو نحتَتْ صخـرتَه آلةٌ لاستُنبِطتْ فى تُربهِ "زمزمُ"
يا خاتم الأجواد قولى الذى به الكلامُ المصطفَى يُختَمُ
بـدُرٍّ أوصافك أمددتَنى فيـه فما بالِى لا أنظِـمُ؟!
تحيّـة "النيروز" مفروضة بقـدرِ ما يملِكه المعـدِمُ
تُهدَى إلى مثلك فى مثـله الـ ـأشـعَارُ لا الدينارُ والدرهمُ

* * *

وقال يمدحُه فى العيدِ والمِهرَجان :

نظرتُ ولم أبغ إلا شـفائى فداويتُ سُـقما بداءٍ عَيـاءِ
تراءت وبرقُعها كفُّها لعينٍ مبرقَعـةٍ بالبكاءِ
فكانت لنـا فتنـةً ضوعفت بحسن المغطَّى وحسنِ الغِطاءِ
تقـول وقـد لُمتُهـا فى البها دِ: هل تسكن الشمسُ غيرَ السماءِ؟
وما زال تَسبى ـ وما إن ترا كَ ـ قلوبَ الرجال جسومُ النساءِ
وما زلتُ أجزَع من بينهـم فعلَّمنى الصـبرَ طولُ الجفاءِ
وإنّى من لاعجـاتِ الهـوى (١) على مثل صدرِ القناة انثنـائى

(١) اللاعجة : الحرقة .

أصـــومُ وما ماؤكم للـــورودِ وأعشـو وما نارُكم للصِّـلاءِ

ومن يَصْدَ(١) يخدعْه لمعُ السرابِ ويَغـرُرْهُ خُلَّبُ برقٍ خَـــواءِ(٢)

ولله موقفُنـا ، والعتـا بُ يُنبتُ فى الخدِّ وَردَ الحياءِ!

وقد أترع الحسنُ فيـــه غديرا إليـــه ورود العيـون الظِّماءِ

وطَـــرفَى يتبـعُ هُوج(٣) الرياحِ عساهنَّ يرفعن سِجْفَ(٤) الخِبـاءِ(٥)

أتنجو بجسـمك فوق الركاب وتنبِـــذُ قلبَك بين الظِّباءِ؟

وعهـدى بحلمك لا يُستطار برسمٍ مُحيـــلٍ وربعٍ قِـــواءِ(٦)

تَلَفَّتُ عن لَعَسٍ "بالحمى" وتُعرِضُ عن كَحَلٍ "بالحواءِ"

ولولا خيـانة لونِ العـــذارِ لبعت عُلوق(٧) الهوى بالغـــلاءِ

وربَّ ليـالٍ سحبتُ الشبابَ بأعطافهنَّ كسَحْبى ردائى

فلو كنتُ أملِك أمرى أشترِيـ ـتُ ذاك الظلامَ بهذا الضياءِ

وقالوا : أصبتَ بعصرِ الصِّبا ومن لم يشِـبْ لم يفُز بالبقاءِ

وما منبتُ العـزّ إلا ظهـــورُ نواعجَ(٨) منعَـــلةٍ بالنَّـــجاءِ

يخلِّفن خلفِىَ دارَ الهوان مُناخا ومضْـطَرَبا للبِطـاءِ

---

(١) يصدى : يعطش . (٢) الخواء : الخالى من المطر . (٣) هوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٤) السجف : الستر . (٥) الخباء : البيت من وبر وصوف . (٦) المحيل والقواء : العافى . (٧) علوق : جمع علق وهو الشىء النفيس .

(٨) نواعج : جمع ناعجة وهى الناقة البيضاء ، والنجاء : السرعة فى السير .

أفــرُّ بعرضيَ عمّن ترى ... من النافقاءِ إلى القاصعاءِ (١)

ولستُ وإن كنتُ ربَّ القريض ... كمن يستجيب القِرى بالعُواءِ

عدمتُ معاشرَ لا يفرقــو ... ن بين الصّهيلِ وبين الرُّغاءِ (٢)

إذا صافحتني أكفُّ اللئامِ ... لطمتُ بهن خَــدودَ الرجاءِ

وقِدما عصرتُ وجوهَ الرجالِ ... فــلم أر فيهنَّ وجها بماءِ

ولولا الجنابُ "الزعيميُّ" ما ... مشى الوعدُ في طُرُقاتِ الوفاءِ

ولكن بجود "أبي قاسمٍ" ... عُمــرنَ المكارمَ بعــد العفاءِ

له في المعالي ٱنتساب الصريحِ ... إذا غيرُه عُــدّ في الأدعياءِ

أغرّ تضيء به المكرماتُ ... وتفترُّ عنــه ثغــورُ العَــلاءِ

وترعَى العيونُ إذا لاحظتْ ... ـهُ في روضِ رونقِــهِ والرُّواءِ

إذا شِمتَ بارقَــه فالتِّــلا ... عُ تشرق مثلَ حلوق الإضــاءِ (٣)

من القومِ قد طُبعوا في الندى ... على سِــكّة الغادياتِ الرِّواءِ (٤)

يَعُــدُّ ٱبتياعَ يســيرِ الثنــاء ... بجزل العطاء من الكيمياءِ

تــدِرّ يداه بــلا حالبٍ ... إذا ٱلتَمس الزُّبدَ مخضُ السِّقاءِ

---

(١) النافقاء : آخر جحر اليربوع الذي يحفره ولا ينفذه ولكنه يرققه حتى اذا أحس بصيده مرق منه والقاصعاء : أوّل جحره الذي يحفره ، وكان الأحق أن يقول الشاعر : من القاصعاء الى النافقاء .

(٢) الصهيل : صوت الخيل ، والرغاء : صوت الإبل . (٣) الإضاء : الغدران واحدها : أضاة .

(٤) الغاديات : السحب التي تنشأ غدوة .

ويهتزُّ عند هبوبِ السؤال آهـ (١) ـتزازَ الأراكةِ بالجربياءِ

فتُضحِي مكارمُه كالمطىّ ونُعمةُ سائله كالحُداءِ

خلائقُ من منـــدلٍ مُثِّلتْ وزِيدَ عليها بخَورُ الثَّناءِ

يكاد المدامُ وصفوُ الغما مِ يُعصَر من طِيبها والصفاءِ

كأنّ الحُبَى يومَ تَعقادِها (٢) عليه، على "يذبُلٍ" أو "حِراءِ"

يلاقى الخطوبَ اذا مارستْه ببـاعٍ رحيبٍ وصـدرٍ فضاءِ

وعزمٍ كما صفَّقت بالجَنا (٣) ح شَغواءُ مصبوبةٌ فى الهواءِ

تراه فتنظرُ عزما وحزما وحلما قد ائتلفتْ فى وِعاءِ

وما أسرَ الطَّرفَ مثلُ امرئٍ يبارزُ لامحَه بالبهاءِ

عليه شواهدُ منه اغتدتْ عن الشاهدين له فى غَناءِ

وفى رونق السيف للناظرين دليلٌ على حدّه والمَضاءِ

وقد يُعرفُ العِتقُ قبلَ الفرار (٤) ويُحكَم بالسَّبق قبلَ الجراءِ

وما رغبة الركب يهديهمُ ضياؤك فى رايةٍ أو لواءِ

لك الخيرُ من قائلٍ فاعلٍ بنَى بالمكارمِ أعلَى بناءِ

نذرتَ اذا نلتَ هامَ الأمو ر أن لا تُوشِّح بالكبرياءِ

---

(١) الجربياء: ريح الشمال الباردة. (٢) يذبل وحراء: جبلان. (٣) الشغواء: العقاب.

(٤) الفرار: — مثلثة — الكشف عن أسنان الدابة ليعرف كم سنها، وفى الأمثال «إن الجواد عينه فراره» يعنى تعرف الجودة فى عينه كما تعرف سن الدابة اذا فرت أسنانها.

فلو رِزقُ نفسِك أمسى اليك ... لمـا زدتَهـا فوق هذا السَّـناءِ

فـفى كلّ شيء وجدنا مِراءً ... ولم نر فيـك لهـــم من مِراءِ

لذلك حنّت قَـــلوصى إلي(١) ... ـك حتّى أناخت بهـذا الفِناءِ

ولولاك كانت كأُرجوحـــةٍ ... تَقلقَـلُ بين الضّحَى والمَساءِ

إذا زمّهـا نجـــمُ ذا بالشُّعا ... ع تخطَّمها شمسُ ذا بالهَبـاءِ

وكم لى "ببغـدادَ" من كاشح ... يسائل فى ربعـكم : ما ثَوائى؟!

فقلت : مقيمٌ يجيبُ المـــنَى ... ويجمـــع بين الغِـنى والغَنـاءِ

لدى ماجدٍ دلوُه فى السـما ... ح تتْبعُهـا يدُه فى الرِّشـاءِ(٢)

إذا خاضت النِّقسَ(٣) أقـلامهُ ... كَفَيْن الذوابلَ(٤) خوضَ الدّماءِ

دعا الرؤسـاءُ زعـيمًا بـــه ... فكان لشـــدّتهم والرَّخاءِ

وبعـدَ التجارب قد أحمَـدوا ... سجاياه، والحمـدُ بعـد البلاءِ

سـقَى اللهُ دارَك ماءَ النعـــيم ... وطـــرَّزها برياض البهـاءِ

ودارت عليك كئوسُ السرو ... ر يَغـرِفنَ من مُترَعاتٍ مِلاءِ

وهُنئتَ بالعيـدِ والمِهرجانِ، ... وسـعدُهمـا سائقٌ بالهنـاءِ

وجَدناهمـا فَعَـلا ما تحبُّ ... وما تبتـغى بخُـلوصِ الدُّعاءِ

---

(١) القلوص : الشابة من الإبل . (٢) الرشاء : حبل الدلو . (٣) النقس : الدم
(٤) الذوابل : الرماح .

* * *

وقال وقد سأله بعضُ رؤساء العصر نظمَ قصيدةٍ تتضمّن مدحَ نظامِ المُلك أبي عليّ الحسن بن إسحاق، وأغراضا له :

ليتَ الهوى يصرفه الراقي (١) إما بحَيْنٍ أو بإفراقِ (٢)
رشفُ الثنايا والتزام الطُّلى (٣) — إن أمكنا — أخلاطُ درياقِ (٤)
يا قارعا بالعذل سمعي ومِن ورائه قلبٌ بأغلاقِ
من أوجب التوبةَ من خمرةٍ يعصرها من لحظه الساقي؟
كم "بالكثيب الفَرْدِ" من نابلٍ (٥) أسهمهُ ليست بأفواقِ (٦)
وقامةٍ تحسبُها غصنَها الـ ـوَرقاءُ لو كانت بأوراقِ
وظبيةٍ تنطح قَنّاصها (٧) من فاحمِ جَعدٍ بأرواقِ (٨)
من كُنْسها صدري ومن روضها (٩) قلبي ومن غُدرانها ماقي (١٠)
مأسورةٍ بالصون في خِدرها تَحكُمُ في أسرٍ وإطلاقِ
منّاعةٍ بالحسن أجفانَنا أن يتقاربن لإطراقِ

---

(١) الحين : الهلاك والموت . (٢) الإفراق : الإفاقة من المرض . (٣) الطلى : الأعناق، واحدها : طلية . (٤) الدرياق : الدواء . (٥) النابل : الرامي بالنبل . (٦) أفواق : جمع فوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . (٧) الفاحم الجعد : الشعر الأسود المتقبض الملتوي . (٨) أرواق : جمع ورق وهو القرن . (٩) كناس : جمع كناس وهو بيت الظبية . (١٠) الماق : طرف العين مما يلي الأنف .

كأنما الأعين إذ أُبرزت ... من خِدرها ليست بأطباقِ

أغفلتُ ماحازته من مهجتى ... مخافةً أن تذكُرَ الباقى

وليلةٍ بالهجرِ مُدتْ فما ... يُفنِى مداها سعىُ مشتاقِ

كأن شرابى وقِيانى بها (١) ... دمعى ووُرقا ذات أطواقِ

حتّى محا الصبحُ سوادَ الدُّجَى ... كلِمّةٍ (٢) فى يدِ حلّاقِ

قلتُ وأطرافُ القنا شُخّص ... ترمقنى عن زُرق أحداقِ:

لا أطلبُ الهدنةَ فيها ولو ... قامت بها الحربُ على ساقِ

ومن "نِظام المُلك" لى جُنّةٌ (٣) ... حصينةٌ ما مثلُها واقِ

نِعْم الحِمَى إن عَرضَت خُطّةٌ (٤) ... قد لفّها الليلُ بسوّاقِ

يعتصم الخائفُ من أمنِهِ ... فى قُلّتَىْ (٥) عهدٍ وميثاقِ

لا يهجُم السخطُ على حِلمِهِ ... إن عثَرَ الأخمَصُ (٦) بالساقِ

ولا يهُزُّ الكبرُ أعطافَهُ ... وهو على طودِ العلا راقِ

فى لفظه والخطِّ مندوحةٌ ... عن صارم الحدَّين ذَلّاقِ (٧)

مثلُ سلاح الليث مستودَعٌ ... فى الكفّ أو ما بين أشداقِ

---

(١) قيان : جمع قينة وهى المغنية . (٢) المِلّة : الشعر المجاور لشحمة الأذن .

(٣) الجنة : كل ما وقى من السلاح . (٤) الخطة : الأمر المشكل العظيم الذى لا يهتدى له .

(٥) القلة : أعلى الجبل . (٦) الأخمص : باطن القدم . (٧) الذلاق : الماضى .

أبلـــجُ فضّاحُ ســـنا نورِه ... لسُـــنّةِ[1] البـــدر بإشراقِ

ذو بهجـــةٍ غرّاءَ ميمـــونةٍ ... زيّنها ديباجُ أخـــلاقِ

يَحُلُّ ما يبـــديه من بِشره ... عَقْـــدَ لسان الهـائب اللاقي

أبوابهُ للوفـــد مفتوحـــةٌ ... كأنها أجفانُ عُشّـاقِ

تســـتغلق الرهنَ أفاويقُـــهُ[2] ... إن جُعـــلَ القَمْرُ[3] لســـبّاقِ

مسافةُ العليـاء إن أُقصيتْ ... فهو بها "عَمـرُو بن برّاقِ"[4]

والعيس عيسٌ[5] فاذا زرنه ... فإنهـا أســـبابُ أرزاقِ

كم عنده للحمـــد والشكر من ... مواســـمٍ قُمْنَ وأســـواقِ

يأنَفُ أن يُمطـر شـــؤبُوبُه ... إلا بأذهاب[6] وأوراقِ

تهـــلّلٌ وَسْمِيُّـــه[7] موعـــدٌ ... يُولِي بهامى الجودِ غيّـداقِ[8]

والسُّحبُ لا تعطيك معروفَها ... إلا بإرعادٍ وإبـــراقِ

ليس يخيبُ الظنَّ فيـــه ولا ... يعـــودُ راجيـــه بإخفـاقِ

أضحت صروفُ الدهر مأسورةً ... "لحسن القَـرْمِ[9] ابن إسحاقِ"

---

(١) السنة : الوجه ، وقيل : دائرته ، وقيل : صورته ، وقيل : الجبهة والجبينان . (٢) الأفاويق : السحاب يمطر ساعة بعد ساعة . (٣) القمر : الغلبة فى لعب القمار . (٤) عمرو بن براق . من العدائين المشهورين بالعدو والسبق . (٥) فى الأصل : « والعيش عيش » وهو تصحيف . (٦) أذهاب : جمع ذهب . وأوراق : جمع ورق وهى الفضة . (٧) الوسمى : أول المطر ، ويليه الولى . (٨) الغيداق : الكثير المتدفق . (٩) القرم : السيد العظيم .

قد صـــيَّر المـالَ على حبِّـه طُعمـــةَ إتلافٍ وإنفـاقِ

إذا صروفُ الدهر زعزعنه صـادفنَ قلبـا غيرَ خفّـاقِ

أوامرٌ تمـــلؤها طـاعـــةٌ أهـــلُ أقالـــيم وآفاقِ

مابين "جَيْحونَ" "فقالي قَلا" وبين إشـآم و إعراقِ

وعزمةٌ عنها صدورُ القنـا تهـتزُّ من خوفٍ وإشـــفاقِ

تُضحى قسيُّ "التُّرك" من ثِقلها (١) تئنُّ في نزعٍ وإغراقِ (٢)

والسـيفُ مما كلَّفتْ حدَّه يكُمَنُ في أغمـادِ أعنـاقِ

قـد حصَّن الملكَ بآرائه في شـاهقِ الأقطـارِ مِزلاقِ

في كلّ يومٍ بأراضي العـــدا سَجْـــلُ (٣) دمٍ بالطعن مُهـراقِ (٤)

مثل "بني الأصفر" (٥) أودى بهم أروعُ يُردي كلَّ مرّاقِ

من تُلَّ (٦) منهـــم فلذئبِ الفلا ومن نجـا فـــرٌّ بأرماقِ

بوقعـــةٍ أُطعِمَ فيهـا الردى أرواحَ كُفّارٍ وفُسّـاقِ

كم من يدٍ بالقـاعِ (٧) مبريَّةٍ وهامةٍ بالشِّـــعبِ (٨) أفـــلاقِ (٩)

---

(١) النزع : جذب وتر القـوس . (٢) الإغراق : اسـتيفاء حد القـوس .

(٣) السجل : الدلو . (٤) مهراق : مصبوب . (٥) بنو الأصفر : الروم .

(٦) تل : صرع . (٧) القاع : المطمئن من الأرض . (٨) الشعب : الطـريق في الجبـل ، أو هو ما انفرج بين الجبلين . (٩) أفلاق : جمـع فلق وهو الجزء من الشيء المشقوق .

ذاق مليكُ "الروم" من صابها (١) ما لم يكن قبـــلُ بذوّاقِ

إن لم تكن لاقيتَ أبطالَهـا كنتَ بإقبالك كاللاقِ

والشمسُ لا يمنعها بُعـــدُها من فعـــل إنماء وإحراقِ

أيا "قِوامَ الدّين" دعوى امرئ (٢) لســـانُه ليس بمـــذّاقِ

اللهَ فى غرســـك لا تُذوِه من بعـــد إثمـــارٍ وإيراقِ

بك اســـتقامت عُوجُ أفنانه (٣) ومَـــدَّ فى النُّعمَى بأعـــراقِ

وعبد قِنٍّ (٤) لك لم يلتمس من رقِّهِ (٥) راحـــةَ إعتـــاقِ

مذ سار عن رَبعكَ، أحشاؤه والقلبُ أُتْفِيَـــةُ (٦) أشـــواقِ

ما اعتاض من عزّك إلا كما (٧) يُعتاضُ عن سيفٍ بمِخـــراقِ

تلطّف الحسّـــادُ فى سِحـــرهم حتى رأوا بالنأى إقـــلاقِ

إن سرّهم فَرْى فمن بعده (٨) يسوءهم كرٌّى وإعنـــاقِ

ما كنتُ من قبلهمُ خائفا (٩) بينَ غرابٍ غـــيرِ نغّاقِ

---

(١) الصاب : نبات مر الطعم ، أو هو عصير شجر مر . (٢) المذاق : الكذاب .

(٣) الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن . (٤) القن : الخالص العبودة ، وهو الذى ملك هو وأبوه ، أو هو الذى ولد عندك ولا تستطيع إخراجه عنك ، ويقال : عبد قن — بالنعت — ، وعبد قن — بالإضافة — . (٥) فى الأصل : «رقة» وهو تصحيف . (٦) الأتفية : أحد الثلاثة الأحجار التى توضع عليها القدر ، وفى الأصل هكذا : «أتمة» . (٧) المخراق : منديل يلف ويضرب به . (٨) الإعناق : السير السريع الفسيح . (٩) النغاق : الغراب الصائح ، مثل النعاق — بالمهملة — .

مَن فيهـــمُ يبلغُ شأوى ومَن يحمِـل إن حُمِّـلَ أوساقى؟ (١)

أشـعتُ إحسـانك لى أوّلا فآجعل بثانى الطَّولِ تَصداقى (٢)

حاشـا أياديك وما خَوّلتْ أن أكتسى أثوابَ إملاقِ

* * *

وقال يمدحُ أبا القاسم بن رضوان :

تفيض نفـوسٌ بأوصابهـا وتكتم عوّادُها ما بِهـا

وما آنصفتْ مهجةٌ تشتكِى هواها إلى غـير أحبابهـا

ألا أرِنى لوعـةً فى الحشا وليس الهوى بعضَ أسبابها

ومن شرفِ الحبِّ أن الرجا لَ تشرِى أذاه بألبـابها

وفى السِّرب مُثْرِيةٌ بالجمـالِ تُقسِّـمه بين أترابهـا (٣)

فللبـدر ما فوق أزرارهـا وللغصن ما تحت جِلبابهـا

كأنّى ذَعرتُ بهـا فى الخِبا ءِ وحشيّةً (٤) عنـد مِحرابهـا (٥)

أتبِّعـها نظـرا معجَلا يعـثِّر عيـنى بهُدّابهـا (٦)

متى شاء يقطِف وردَ الخدود وقَتْـهُ الأكـفُّ بعُنّابهـا

---

(١) فى الأصل « أوثاق » وهو تحريف . (٢) فى الأصـل هكذا "بناى" .

(٣) أتراب : جمع ترب وهو من ولد معك فى سنك . (٤) الخباء : بيت يتخذ من صوف أو وبر . (٥) الوحشية : الظبية . (٦) الهداب : الخيوط التى تبقى فى طرفى الثوب من عرضه دون حاشيته ، أو هو طرف الثوب مما يلى طرته .

كفانىَ من وصـــلها ذكرةٌ تمـــرُّ على بَرْد أنيابها

وأن تتلالا بروقُ "الحمى" وإن أضرمتنى بإلهابها

وكم ناحلٍ بين تلك الحيـا م تحسَـــبه بعضَ أطنابها (١)

فمن مخبرٌ حاســدى أننى وهبتُ الأمانى لطُلّابها؟

فإن عرَضتْ نفسَها لم تجد فؤادىَ من بعض خُطّابها

يُسُـــرُّ الغطارفةَ الأكرمي ـن قَرعُ مديحى لأبوابها

فهاهى من قبل رفع الحجاب يضاحكنى بشـــرُ حُجّابها

أنزّه قَعْبِىَ (٢) عن خَلّها وآنَفُ من مخض أوطابها (٣)

وأعلم أن ثيـابَ العفا ف أجمـــلُ زِىٍّ لجُتابها (٤)

عدلتُ السرابَ بأوراقها (٥) ولمـــعَ البروق بأذهابها (٦)

ولو شـئتُ أرســـلتُها غارةً تعـــود الىَّ بأســـلابها

ولكننى عائفٌ شهدَها (٧) فكيف أنافسُ فى صابها

تذلُّ الرجالُ لأطماعها كذلّ العبيـد لأربابها

فلا تقطفنّ ثمارَ المُـــنى (٨) فبئسَ عُصارةُ أعنابها

---

(١) أطناب : جمع طنب وهو حبل الخيمة . (٢) القعب : إناء يحلب فيه . (٣) أوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن . (٤) المجتاب : اللابس . (٥) أوراق : جمع ورق وهو الفضة . (٦) أذهاب : جمع ذهب . (٧) الصاب : شجر مر ، أو هو عصير شجر مر . (٨) فى الأصل : « فياس » وهو تحريف .

وعُجْ بالأجلِّ "أبي قاسيم" لتأتى المكارمَ من بابها

فنعـــمَ الرياضُ لمرتادِهـا ونعـــمَ الديارُ لمنتابها

وأوديةٌ من يَرِدْ ماءَهـا يرَ السُّحبَ من بعض شُرّابها

الى كعبة الجود من راحتيـه (١) تُشـــدّ الرحالُ بأقتابها

مناقبُ مثـــلُ عِدادِ الرمالِ تكُدُّ أنامـــلَ حُسّابها

وتُتعبُ السنَ دُرّاسِهـا (٢) وتُفـنِي قراطيسَ كُتّابها

تجاوزتَ حدّ صفاتِ البليغ فمادحُها مثـــلُ مُغتابها

يـــذُمُّ البضـائعَ ما لم يُعِـ ـدَّ من الشكر أوفرَ أكسابها

تظُنُّ بأفـــواه مُدّاحِهِ (٣) عُقـارا تدارُ بأكوابها

تُصافَحُ منـه أكُفُّ الرجاء برطبِ الأنامل وَهّابها

كأنّ السؤالَ على رِفده قِـــداحٌ تفـــوز بأنصابها

إذا أشتكت الأرضُ داءَ المحو (٤) لِ داوَى رُباها بإخصابها

من العصبة المدركين العُـلا بأحسابها وبأنسابها

أجاروا على الدهر من صَرفِهِ وجاروا على الأُسْد فى غابها

وساسوا ولاءَ قلوبِ الرجال بإرغابها ثم إرهابها

(١) أقتاب : جمع قتب وهو إكاف (برذعة) على قدر سنام البعير (٢) القرطاس : الصحيفة .

(٣) أكواب : جمع كوب وهو قدح لا عروة له . (٤) فى الأصـل : « باحصابها » وهو تصحيف .

كنوزُ محامِدها والثنـاءِ عليهـا ذخائرُ أعقـابهـا
ولم تَلبَس الرَّيْطَ(١) إلا رأيتَ محاســنَها نقشَ أثوابهـا
تعجَّبُ من حُسن بهجاتهـا الى أن ترى حسنَ آدابهـا
وإنَّ مكارمَ أخلاقها تقــوم مقاماتِ ألقابهـا
تمَــلَّ بأيّام هــذا الزمان تجــرُّ ذلاذلَ(٢) جِلبابهـا
مقـامَ السواد لأبصـارها ومثــلَ النُّخاع لأصـلابها
إذا أنت أفنيتَ أيّامَهـا توالت عليــك بأحقابهـا

* * *

وقال يمدحه أيضا :

النجاءَ النجاءَ من أرضِ " نجدِ " قبــلَ أن يعــلَق الفؤادُ بوجدِ
إنّ ذاك الثرى لَيُنبتُ شوقا في حشَا ميِّت اللُّبانات(٣) صَــلدِ(٤)
كم خلىٍّ غــدا إليــه وأمسَى وهو يَهذِى "بعَلوةٍ" أو " بهندِ "
وظبـاءٍ فيــه تُلاقِي المُــوالى والمُعادى من الجَمـال بجُنــدِ
بشتيتٍ من المبـاسم يُغــرى وسَــقامٍ من المحـاجر يُعــدى
وبنانٍ لولا اللطافـةُ ظُنّتْ لِحنـاياتهـا براثنَ(٥) أُسْــــدِ

---

(١) الريط : جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين . (٢) الذلاذل : جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل . (٣) اللبانة : الحاجة والمأرب . (٤) الصلد : الصلب .
(٥) براثن : جمع برثن وهو من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان .

وحـــديثٍ إذا سمعنـاه لم ند ـرِ بخمرٍ نضحتنـا أم بشهـــدِ ؟
أنِفتْ من براقـع الخـــزِّ والقـ ـزِّ خدودٌ قـــد برقعوهـا بوَردِ
وغَنُـوا عن خدورهم مذ تغطّـوا عن محبّيهمُ ببعـــدٍ وصـــدِّ
أمُقـاما "بعـالجٍ"، والمطـايا عَرِضَ "يبرينَ" بالظعائن تَخدِى ؟ ! (١)
لا "الحمَى" بَعـدكم مُناخٌ ولا ما ءُ "اللوى" إذا هجـرتمـوه بِوِرْدِ
والفـــؤادُ الذى عهـدتم جَموحا راضـه طولُ جَـوْركم والتعـدّى
ما تُريدون من دلائـلِ شـــوقٍ غيرَ هـــذا الذى أُجِنُّ وأُبدِى
كبِدٌ كلّمـا وضعتُ عليهـا راحتى، قيلَ : أنت قادحُ زَندِ
وجفونٌ جرينَ مذّا، وماءُ الـ ـبحـــر يرتاحُ بين جزرٍ ومدِّ
يا بنى "مُرّةَ بن ذُهـــلٍ" أبوكم ما أبوكم وجَدُّكم أىّ جَدِّ
غُرَرٌ فى وجوهِ "بكرٍ"، و"بكرٌ" شامةٌ عمّمت رءوسَ "معَـــدِّ"
من شـبابٍ فى الحِلم مثلِ كُهول وكُهـــولٍ تزأقـــةٍ مثـــلِ مُردِ
أنا منـكم إذا انتهينا إلى العـــر ق التففنا التفـافَ بانٍ برَندِ
نسبٌ ليس بيننا فيـــه فـــرقٌ غـــيرُ عيشٍ حضارةٍ وتبـــدِّى
لكم الرمحُ والسِّـــنانُ وعنـــدى ما تحبُّـــون من بيانٍ ومجـدِ
خلِّصـونى من ظَبيـكم أو أنادى بالذى يُنقـذ الأسارَى ويفـدى

(١) الظعائن : الهوادج فيها النساء . وتخدى : تسرع .

"بأبي القاسم" الذي غرس الأفـ ـضال في ربوتَيْ ثناءٍ وحمـدِ
كلّما هبّ للسؤال نسيمٌ فوق أغصانه آنتثرنَ برفـدِ
في يديه غمامتان لطـلٌّ ولقَطرٍ من غير برقٍ ورعـدِ
أذِنَ البشرُ للعُفاة عليه حين ناداهم القُطوبُ بردِّ
وآصطفى المكرُماتِ حتى لقلنا: أبِرقٌ إنتاجُها أم بعقـدِ؟!
فَرْقُ ما بينَه وبين سواه فَرْقُ ما بين لُجّ بحرٍ وثَمْدِ(١)
أيُّ عُشبٍ في ذلك الأبطحِ السهـ ـلِ وماءٍ لمَرتَعٍ ولوِردِ؟
لا تراه إلّا على كاهل العـزِ يسوق العُلا بجَدٍّ(٢) وجِدِّ
كم عدوٍّ أماته بوعيدٍ ووليٍّ أحياه منه بوعـدِ
لستَ تدري أمن زخارف روضٍ صاغه اللهُ أم لآلئِ عِقـدِ؟!
وبحسن الفعال ينتسب القـو مُ إلى المجد لا بقَبْلٍ وبَعدِ
مُطلِعٌ، في دُجى الخطوبِ إذا أظـ ـلمنَ، من رأيه كواكبَ سَعدِ
عزماتٌ لا تستجيب لراقٍ وحلومٌ لا تُستثار بحِقدِ
ومَضاءٌ لو أنه كان للسيـ ـفِ لما هوَّمتْ(٣) ظُباه بغمدِ
قد رأينا فيه عجائبَ منهنّ ثمارٌ يُجنَيْن من عُودِ "هندِ"

---

(١) الثمد: الماء القليل. (٢) الجد — بالفتح —: الحظ، — وبالكسر —: الاجتهاد في الأمر. (٣) هومت: نامت.

أســـرَ الناس بالعوارف، والنُّعـ ـمَى على الحرِّ مثـــلُ رِبقةِ[1] قِـدِّ[2]

ليس يَرضَى من الملابس إلّا ما يُنـير[3] الثناءُ فيـــه ويُســـدى

أبدا تســـأل النواظرُ عنـــه أبشـــكرٍ قد آكتسى أم بـــبُردِ!!

أحصِ ما شئتَ من حصًى وقُطارِ فمعاليـــه ليس تُحصَى بعَـــدِّ

وعيونُ الحسّادِ إن نظـــرَته فبصُـــورٍ[4] من المســـاءة رُمْـــدِ

يا أعاديه لو عُدِدتم "كيأجو جَ" رماكم من كيدِه خَلفَ ســـدِّ

وســـواء إذا جرى فى مَـــداه أبأخلاقـــه جرى أم بجُـــردِ[5]

قَصَـــبٌ للســـباق ليس يُصَلِّيـ ـها[6] خوافى النســـور إلا بكـــدِّ

زادك الله ما تشـــاءُ مَزيدا ســـيلُه غيرُ واقفٍ عنـــد حدِّ

فى ربيـــعٍ نظيرِ جنّاتِ "عَدنٍ" وديارٍ جميعُها دارُ خُـــلدِ

إن أغِبْ عنك فاللسانُ بشـــكرى غـــيرُ ناءٍ ولا الفـــؤادُ بحمـــدِى

وهما الأصغران لولاهمـــا كا ن الـــبرايا أمثـــالَ صُحْـــرٍ[7] ورُبْدِ[8]

أُخبُر النـــاسَ تَقْلِهُم[9] أو تصِلْهـــم هـــل يحـــاز الدينـــار إلا بنقـــدِ؟!

---

(١) الربقة : العروة . (٢) القد : قيد يقد من جلد يشدّ به الأسير . (٣) أنار الثوب : جعل له نيرا ، وهو ما اجتمع من خيوطه ، وأســـداه : جعل له سدى وهو ما مد من خيوطه .

(٤) الصـــور : المـــائلة . (٥) الجرد : الخيل قصيرة الشعر ، وأحدها : أجرد وجرداء .

(٦) يصليها : تأتى ثانية لها . (٧) الصحر : ما اغبر لونها فى حمرة ، واحدها أصحر وصحراء . يقال : حمار أصحر وأتان صحراء . (٨) الربد : ما اســـود لونها مع تنقيطه بحمرة ، واحدها أربد وربداء . (٩) تقلهم : تبغضهم وتجفوهم من : قلا يقلو وقلى يقلى ، وهو من حديث أبى الدرداء : "وجدت الناس آخبر تقله" أى جرب الناس تبغضهم ، والهاء فى "تقله" للسكت .

* * *

وقال يرثي أبا منصور بن يوسف ، ويعزّي عنه أبا القاسم بن رضوان صهرَهُ :

لا قَبِلنا فى ذا المصابِ عـــزاءَ ... أحسنَ الدهرُ بَعـدَها أو أساءَ

إن نهينا فيـــه عن الدمـــع مَأقا (١) ... أو خفَضنا النحيبَ كان رياءَ

حسراتٍ يا نفسِ تفتُـك بالصبـ ... ـر وحزناً يقلقـــلُ الأحشاءَ

ووجيباً (٢) ملءَ الضـــلوع إذا فا ... ض إلى المقلتين صار بكاءَ

فزفـــيرا بين الجـــوانح يفتضُّ متى شاء عَـــبرةً عـــذراءَ

وحنينـــا (٣) يشـــوقُ فاقـــدةَ النيـ (٤) ... ـبِ فتنسَى صريفَها والرُّغاءَ (٥)

ومُناخا من لوعـــةٍ واكتئاب ... يستجيبُ الحمامـــةَ الـــوَرقاءَ

ودموعا يخجَلن من شَـــبَه المـا ... ءِ فيُصبَغنَ بالحيـاءِ دماءَ

من عيونٍ قد كنَّ قبلُ عيونا ... ثم صـارت بفقـــده أنـــواءَ (٦)

ملقياتِ العُـــوَّار (٧) فيهنّ سَجْـــلا (٨) ... جاعلاتِ القـــذَى لهنّ رِشـاءَ (٩)

وإذا ما الأُسَى (١٠) أشرنَ على القلـ ... ـبِ بيأسٍ فاستفهموا البُرَحاءَ (١١)

يَفقِد الناسُ — قدعلمنا — عظيما ... وخطيرا منهـــم وليسوا سَـــواءَ

---

(١) المأق : طرف العين مما يلى الأنف . (٢) الوجيب : خفقان القلب . (٣) نيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٤) الصريف : صرير ناب البعير . (٥) الرغاء : صوت ذوات الخف . (٦) الأنواء : الأمطار . (٧) العوار : ما ينزع من لحم العين بعد ما يذر عليه الذرور . (٨) السجل : الدلو . (٩) الرشاء : حبل الدلو . (١٠) الأسى : جمع أسوة وهى القدوة . (١١) البرحاء : شدة الحزن .

كيف نسلو من فارقَ المجدَ والسّوء ... دَدَ والحزمَ والنـدَى والعَـــلاءَ

والسجايا الذى إذا ٱفتخر الـــدُّ ... رُ ٱدّعاها مَلاســـةً وصـــفاءَ

والمحيَّـا الذى له تشـخص الأبـ ... ـصارُ حُسنا وبهـجةً وضِيـاءَ

والأيادِى البيضَ المصافِـحةَ الإعـ ... ـدامِ حـــتّى تُحيـــلَه إثـــراءَ

والمعـالى المحلِّقـاتِ مع النَّســـ ... ـرَيْنِ (١) يُشرقنَ بُكرة ومَســاءَ

ووقارا لـــو أنه أدَّبَ الهُـــو ... جَ (٢) من العـاصفاتِ عُدنَ رُخاءَ (٣)

خَرِســتْ ألسن النُّعـاةِ (٤) ووَدّت ... كل أُذْنٍ لو غـودرت صمّاءَ

جهِلوا أنهـم نعَوا مُهـــجةَ المجـ ... ـدِ المصفّى والعـــزّةَ القَعسـاءَ (٥)

حين قالوا — وليتَهم كتَموا الحا ... دث عنّا أو جمجموا الأنباءَ — :

ظعنتْ "بآبن يوسُف" (٦) قُلُص الأ ... يّا م تطـوِى الإدلاجَ (٧) والإســـراءَ (٨)

ليس تَلوِى على مُنـاخٍ ولا تط ... ـلُبُ وِردا ولا تطيـــعُ حُداءَ

بعد ما كنّ كالعبيدِ من الطـا ... عـــةِ والسـمعِ واللّيـالى إماءَ

زينـــةُ الدِّين عُرّىَ الدينُ منها ... وحُـــلِىُّ الدنيا جفـا الأعضاءَ

لو أرادت عِرسُ المكارم بعـلًا ... عدِمتْ بعـــدَ فقـدِه الأكفاءَ

---

(١) النسران : كوكبان ، يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٢) الهوج : الرياح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ، واحدها : هوجاء . (٣) الرخاء : الريح اللينة .
(٤) فى الأصل "البغاة" وهو تصحيف . (٥) القعساء : الثابتة الممتنعة . (٦) قلص : جمع قلوص وهى الفتية من الإبل . (٧) الإدلاج : السير آخر الليل . (٨) الإسراء : السير أول الليل .

من إذا ما الحقـــوق لله نادت قاضيـا راعيـا أجاب النـداءَ

وإذا ما إليـــه مُدَّتْ يـــدُ البـ ـرِّ أهان البيضـاءَ والصفـــراءَ (١)

من تردَّى بهيبـةٍ رأت النصـ ـرَ عجـــزا فـأومأت إيمـاءَ

يُوقِـد القـــومُ نارهم فى جدالٍ فاذا قال أخمـــدوا الضوضـاءَ

من يكن أيتمَ الذرارِى اذا ما ت فهـــذا قد أيتمَ الفقـــراءَ

ما درى حامـــلوه أنهـــمُ عنـ ـهم أزالوا الأظـــلالَ والأفيـاءَ

أدرَجوا فى الرِّداء نَصـــلا (٢) ولفُّوا فى السَّـــحولِىِّ (٣) صَـــعدةً (٤) صمّاءَ

يُودِعون الثرى — كما حَكَمَ الـ ـله — بكُرهٍ غمـامةً غرّاءَ

ولو آن الخيـارَ أضحى إليهـــم ما أحلُّوا الغـــمامَ إلا السماءَ

يا لهـا من مصيبـــةٍ عمّت العـا لَم طـــرّا وخصّت العظـــماءَ

ما علمنـا الضَّرّاءَ أحيت فعاشت فى الورى أم أماتت السـرّاءَ؟

غـــرَ أنّا نرى لهـا كلَّ نفسٍ لِهفـاتٍ تَنفّـــسُ الصُّـــعَداءَ (٥)

ما رأينـا يوما كيوم تولّيـ ـتَ يـــؤمُّ الأمواتَ والأحيـاءَ

يَتبَـعُ النـاسُ ذلك النورَ أرسـا لًا (٦) كما يتبـــعُ الخميسُ (٧) اللّـــواءَ

---

(١) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب . (٢) النصل : السيف . (٣) سحول : موضع باليمن تنسج فيـه الثياب ، يقال : ثياب سحولية بالفتح والضم — والفتح أشهر — . (٤) الصعدة الصماء : قناة الرمح المستوية الصلبة . (٥) الصعداء : تنفس طويل من هم أو تعب . (٦) الأرسال : الجماعات واحدها : رسل — بكسر الراء — . (٧) الخميس : الجيش — لأنه خمس فرق — .

أرجُلٌ فى الصَّـــعيد تنتعلُ التُّر ... بَ وهـامٌ[1] تعـــمَّمُ الحصْبـاءَ[2]

فتظَـــنَّى[3] الحِمـامُ أنّـــك أزجيـ ... ـتَ إليـــه كتيبةً[4] شهبـاءَ

أو مشتْ نحـوه القبـائلُ يطلُبْـ ... ـن إليه بأن يكنَّ الفِـــداءَ

أنت من معشرٍ أبىَ طيِّبُ الذكـ ... ـر عليهم أن يُشمتوا الأعداءَ

فهـــمُ كالأنام يَبلُون أجسا ... مًا ولكن يخَلَّدون ثنـاءَ

لم يُطيقـوا أن يدفعوا نوب الأيّـــامِ عنهـــم فســـيَّروا الأسمـاءَ

عُقِلتْ فـوق تُربك السحبُ إما ... ماخضًـا[5] بالقُطـارِ أو عُشَرَاءَ[6]

تارةً بالضَّريبِ[7] ترغُـــو وطـــو ... را بزُلالٍ يفجِّـــرُ الأطْبَـاءَ[8]

فاغراتِ الأفواهِ تحسَبهـا طـا ... لَ سُراهـا فأكثرتْ ثُؤَباءَ[9]

فهى تَسـقِى ثراكَ قَطـرا ومن زا ... رك يَســـقى ترحُّمـا ودُعاءَ

كلُّنـا للردى ولم تُخـلَق الأعـ ... ـلالُ إلّا ما بيننـا ســـفراءَ

وإذا كانت الحيـاةُ هى الدا ... ءَ المعـــنىِّ فقد عدِمنـا الشفـاءَ

إنمـا هـــذه الأمانىُّ فى النَّفْـ ... ـس سَرابٌ لا يَنقَـــعُ الأظماءَ

---

(١) هام : جمع هامة وهى الرأس . (٢) الحصباء : الحصى . (٣) تظنى بمعنى ظن .
(٤) الكتيبة : الفـرقة من الجيش ، ويقـال : كتيبة شهباء لبياض سيوفها وكثرة سلاحها .
(٥) الماخض : — بغير هاء — هى التى دنا ولادها . (٦) العشراء : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٧) الضريب . اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء . (٨) أطباء : جمع طبى — بكسر وسكون — حلمة الضرع . (٩) الثؤباء : التثاؤب .

وأُســودُ الأيامِ لا ترتضى الأجـ ـسامَ قوتاً وتأكلُ الحَــوْباءَ (١)

كم بُزاةٍ شُهْبٍ تَحصَّنَ بالجـ ـوّ فتهــوِى إلى الثرى أَصــداءَ (٢)

غبرَت هــذه الليــالى فلو يُسـ ـئلن أنكرن ما دها "الأذواءَ" (٣)

نحن فى عَتبها الذى ليس يُجدى مثــلُ من حكَّ جِــلدةً جَرباءَ

كلَّما كُرِّر المــلامُ عليهـا فى الإســاءات زادها إغراءَ

جَــلَدًا أيُّها الأجلُّ أبو "القا سم"، والعَــوْدُ (٤) يحمِـل الأعبـاءَ

أبدا أنت فى النوائب لبّـا سٌ من الصــبر نَثرةً حَصــداءَ (٥)

خُلُقٌ فيك أن تُنجّى من الكر ب نفــوسا وتكشِفَ الغَمّـاءَ

ما كرهتَ الأقدارَ قــطُّ ولو جا ءت ببؤسَى ولا ذممتَ القضاءَ

ولك العــزّة التى دونها السيـ ـف نفـاذا (٦) وجُرأةٌ ومضـاءَ

وفَعــالٌ (٧) اذا وزنّاه بالوعـ ـدِ اذا قلتَ لم نجــد إقـواءَ (٨)

أُحرُسِ الأقربين يحرسُـك اللّـ ـهُ وراعِ الأهلينَ والأبنـاءَ

فالجيــادُ العِتاقُ لا تَبــلغُ الغـا يةَ حتّى تستصحبَ الأفــلاءَ (٩)

---

(١) الحوباء : النفس . (٢) أصــداء : جمع صدى وهو الجسد بعد الموت .

(٣) الأذواء : ملوك اليمن — لإضافة "ذو" فى الغالب الى أسمائهم وهى تلزم الإعراب ؛ يقال : مرذو يزن ، ورأيت ذا يزن ، وسيف بن ذى يزن . (٤) العود : الجمل المسن .

(٥) النثرة الحصداء : الدرع المحكمة السرد . (٦) فى الأصل « نفاذا » وهو تصحيف .

(٧) الفعال : الكرم . (٨) الإقواء : الاختلاف ، وأصله — فى الشعر — اختلاف حركة الروى . (٩) أفلاء : جمع فلو وهو المهر اذا فطم أو بلغ السنة .

وظباءُ الفـلاةِ إن راعهـا القـا نصُ زفَّت فآسـتدنت الأطلاءَ (١)

وجـديرٌ بمن شرَى عُنُقَ المجـ ـد فأعـلَى أن يُحـرِزَ العليـاءَ

* * *

وقال يرثى أبا نصر بن حميلة صاحب الديوان :

كلّ يومٍ خِلٌّ يُرحَّـلُ عنّـا وديارٌ معطَّـلاتٌ وَمغْـنَى (٢)

وحبيبٌ فريسـةٌ للمنـايا نجتـويهِ (٣) كأنه ليس منّـا

أعلَمتْنـا مَصـيرَنا حادثاتٌ لو عملنا يوما بمـا قد علِمنـا

هـذه الأرضُ أمُّنـا وأبونا حملَتْنا بالكُرهِ ظَهرا وبطنا

إنمـا المرءُ فوقها هو لفـظٌ فاذا صار تحتهـا فهْـو مَعنى

لو رجَعنا إلى اليقـين علِمنـا أنّنـا فى الدُّنا (٤) نُشـيِّدُ سجنا

إنمـا العيشُ منزلٌ فيـه بابَا ن، دخَلنا من ذا ومن ذا خرَجنا

مثلَمـا تسرَحُ السَّوامُ الى المر عَى وتُثْنَى عنـه غَدونا ورُحنا

وضروبُ الأطيار لو طِرن ماطِر نَ فلا بدَّ أن يراجِعنَ وَكْنا (٥)

يحسَبُ الهِمُّ (٦) عمـرَه كلَّ حولٍ فاذا آستكثر الحسابَ تمنَّى

---

(١) زفت : أسرعت فى عدوها ، وفى الأصل «وقت» وهو تصحيف ؛ والأطلاء : جمع طلى وهو ولد الظبية . (٢) المغنى : المنزل . (٣) نجتويه : نجفوه . (٤) الدنا : جمع الدنيا وهى واحدة فاذا جمعت فباعتبار أقسامها . (٥) الوكن : العش — كالوكر — .

(٦) الهم : الشيخ الفانى .

كلُّ شيء يُحصيه عدٌّ ولو كا ن كثيبا من رملِ "يبرينَ"(١) يفنى

والليالى لنا مطايا إذا خبّـ ـت بنا نحـو غايةٍ بلّغتنا

مبتـدانا ومنتهانا سَـواءٌ فلماذا من الأخـير عجِبنا

فوُجِدنا من بعـد ما قد عُدِمنا وعُدمنا من بعدِ ما قد وُجدنا

والأريبُ اللبيبُ من وعظتْـه ألسنٌ(٢) فى مواضع الموتِ لُكّا

قد رأينا وقد سمعنا لو آنَ الـ ـنفسَ ترضَى عينا وتأمن أُذنا

وكأنّا لغـير ذاك خُلقنا أو سـوانا بغير ذلك يُعنَى

كلّما حُقّق الشفاءُ لفنٍّ من سَقام الأيام أحدثنَ فنّا

ليس ندرِى متى نُقاد لعَقـرٍ فبما تَعرِفُ الحُشاشاتُ أَمْنا

كلُّنا نجعلُ الظنونَ يقينا ويقينُ الأمور يُجعَلُ ظنّا

خُدَعاتٌ من الزمان إذا أبـ ـكين عينا منهنّ أضحكن سنّا

كلّ يومٍ تأتى به يومُ نحـرٍ و"مِنًى"(٣) حيثُ شاء سهلا وحَزنا

ليس يُغنى عن النفوس فداءٌ فضَـياعٌ(٤) نَعُقُّ(٥) عنهنّ بُدْنا

والمليـكُ الهمامُ بالجحفـلِ المجـ ـرلسمعِ الردَى(٦) يُقعقِـع شَـنّا(٧)

---

(١) يبرين : موضع مشهور بكثرة رماله . (٢) لكن : جمع ألكن وهو العى الذى ثقل لسانه .

(٣) الحزن : الوعر من الأرض — وهو ضد السهل — . (٤) نعق : نذبح عنها فداء لها .

(٥) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدم للنحر . (٦) الجحفل المجر : الجيش العظيم بكثرته .

(٧) الشن : القربة البالية .

لو درتْ هذه الحمائمُ ما تند ... رى لما رجّعتْ على الغصن لحنا

طابع الأسهم الصوائبِ لم يخـ ... ـطئ لأهدافهنّ عمداً مجنّا (١)

تتوارى بالسابرى (٢) ونفسى ... من وراء الضلوع ضرباً وطعنا

غيّبَ الدهرُ أهلَه بجنودٍ ... أسرتْهُ وليس يعرفُ منّا

بين بُلْقٍ (٣) منه يُغيرُ بها الصبـ ... ـحُ وأخرى دُهْمٍ (٤) تواقيك وهْنا

هو إما روحُ الحياة وإلا ... فحياةٌ تظلُّ فيها مُعنّى

وكأنّ المنونَ حادى ركاب ... ردّ ظُعْنا عنه وقدّم ظُعْنا (٥)

مَوردٌ غصّ بالزحام فلولا ... سبقُ من جاء قبلنا لوردنا

وأرى الدهرَ مُفرداً وهو في حا ... لٍ يشنّ الغاراتِ هنّا وهنّا

كصَفاةِ (٦) المسيلِ لا ترهبُ الليـ ... ـثَّ ولا ترحم الغزالَ الأغنّا

ما عليه لو أنه كان أبقَى ... من "أبى نصرٍ" المهذبِ ركنا!

والدا للصغير برّاً وللتـ ... ـرِبِ (٧) أخاً مشفقا وللأكبر ابنا

غُصُنٌ إن ذوَى فقد كان منه ... ثمراتُ الخلائق الغُرِّ تُجنَى

---

(١) المجن : كل ما وارى من سلاح .

(٢) السابرى : الثوب الجيد — منسوب الى سابور على غير القياس — وسابور بلدة مشهورة بعمل الثياب الجيدة .

(٣) بلق : جمع أبلق وهو — من الخيل — : الذى فيه سواد و بياض .

(٤) دهم : جمع أدهم وهو الأسود من الخيل .

(٥) ظعن : جمع ظعينة وهى البعير يحتمل و يحمل عليه .

(٦) الصفاة : الصخرة الصلبة .

(٧) الترب : الذى يولد معك فى سنك .

إن أَملناهُ بالمقـالِ تلوّى (١) أو هززناه للفَعـال تثنّى

من ذيولِ السحاب أطهرُ ذيلا (٢) وقميص النسـيم أطيبُ رُدْنا

ما مشتْ فى فؤاده قَـدَم الغـ ـشّ ولا أسكن الجوانح ضِـغْنا

إن يكنْ للحيـاءِ ماءٌ فما كا (٣) ن له غـيرُ ذلك الوجه مُزْنا

لهفَ نفسى على حسام صقيلٍ (٤)(٥) كيف أضحت له الجنادلُ جَفنا

وعتيقٍ أثار بالسَّـبقِ نقعا (٦) فغـدا فـوقه يُهـال ويُبنَى

ونفيسٍ من الذخائر لم يؤ مَن عليه فاستُودِع الأرضَ خَزْنا

أودعوا منه فى الضرائح كافو (٧)(٨) را ومسكا ومنـدَليًّا ولبْنـا

أغمِض العينَ بعده، فغريبٌ أن ترى مثـلَه وأين وأنّى

أىّ نور أطفأتَ يامُهَريقَ الـ (٩) ماء فوق الجسم المكلَّل حُسنا

خـتمَ الضُّـمَّر العِتاقَ وخلّى (١٠) فى الأورايّ مُقـرَفات وهُجْنا (١١)

عرفوا قدرَه كما تُعـرفُ الشـ ـمسُ ومقدارُها اذا الليلُ جَنّا

ما رأينـا طودَ الخـلافةِ إلّا (١٢) ووجدناه عادمًا منـه رَعْنا

---

(١) الفعال : الكرم . (٢) الردن : الكم . (٣) المزن : السحاب . (٤) الجنادل : الحجارة . (٥) الجفن : غمد السيف . (٦) النقع : الغبار . (٧) المندلى : العود — منسوب الى مندل وهى بلدة فى الهند — . (٨) اللبن : الكندر وهو معروف باللبان . (٩) المهريق : الذى يصب الماء ويريقه . (١٠) الأوارى : جمع آرى وهو محبس الدابة ، أو هو حبل تشد به الدابة فى محبسها . (١١) المقرف — من الخيل — ما كان أبوه غير عربى والهجين ما كانت أمه غير عربية . (١٢) الرعن : أنف يتقدم الجبل .

فالقصورُ المشيّداتُ تُعزّى ... والقبورُ المبعثراتُ تُهنّا

ما عجبنا كيف اشترته الليالى ... بل عجبنا كيف اختدعنا فبعنا

لينه حين كان دينا مع الفقـ ... ـر إليه بقبضه أجّلنا

واستبدّت بمن أرادت فداءً ... واعتزاما وإن أحبّت فرهنا

لو علمنا أنّ التفجّع يُدنيـ ... ـك بكينا دون النساء ونُحنا

واختضبنا دمَ المحاجر صرفًا ... إن أماطت بنانهن اليرنا (١)

ونزحنا الدموع سحًّا ووبلًا ... وأقمنا الضلوعَ وجدا وحزنا

غير أنّ الدارَ التى أنت فيها ... منزلٌ من به أناخ أينّا (٢)

لا خطا تُربك السحابُ المصرى (٣) ... أو تؤدّى فروضه وتُسنّا

كلّما أوسعتْ خُطاه النُّعامَى (٤) ... أثقلته أوساقُه فأُعنّا (٥)

حسِبَ القَطرُ رعدَه نقرَ دُفّ ... فتعاطَى على البسيطةِ زَفْنا (٦)

وقليلُ الجدوَى مقالَى يا أطـ ... ـلالُ، حتى سُقيتِ رَبعًا ومَغنَى

وعزيزٌ علىّ أن صِرتَ فى نظـ ... ـم القوافى تُسْمَى لنَدْبٍ وتُكنَى

---

(١) اليرنا : الحناء . — وفيها لغات يرجع اليها فى المعجمات — . (٢) أين : أقام .

(٣) المصرى : الذى اجتمع ماؤه ، وأصله : ضرع الناقة لا يحلب حتى يجتمع اللبن فيه . (٤) النعامى : ريح الجنوب . (٥) أعن : حبس بالعنان . (٦) الزفن : الرقص .

* * *

وقال يعزّى أبا القاسم بن أيّوب عن زوجة أبيه أبى المعالى بن عبد الرحيم :

لامِرِيَّةٌ فى الرَّدَى ولا جَدَلُ ... العمرَ دَيْنٌ قضاؤه الأجلُ

للمرء فى حتف أنفه شُغُلٌ ... فما تريد السيوف والأسلُ؟ (١)

يَفرِى الدجَى والضّحى بأسلحةٍ ... سيّانِ فيها الدروعُ والحُلَلُ (٢)

فأنجمُ الليل كالأسنةِ والصُّـ ... ـبحُ حسامٌ له الورى خِلَلُ (٣)

ياليت عمرَ الفتى يُمَدُّ له ... ما آمتدّ منه الرجاءُ والأملُ

مواردٌ هذه الحياةُ وما ... نصدُرُ عنها إلّا بنا غُلَلُ

نكرَعُ فى حَوضها ونحن كما ... تُذاد من بَعد خمسها الإبلُ (٤)

كأسٌ أدرّت على لذاذتها ... عُدّل فيها الزُّعافُ والعسلُ (٥)

كلٌّ إلى غايةٍ يصير ولا ... تمييزَ إلا الإسراعُ والمَهَلُ

والناسُ ركبٌ يَهوِين حثُّهمُ ... ولا يُسَرُّون أنّهم نزلوا

وسوفَ تُطوَى مسافةٌ ذَمَلَتْ ... بقاطعيها ركائبٌ ذُلُلُ (٦) (٧)

كيف يُعَدُّ الدنيا له وطنا ... من هو ينأى عنها وينتقلُ؟

---

(١) الأسل : الرماح . (٢) يفرى : يشق ويقطع . (٣) الخلل : جمع خلة وهى غمد السيف ، أو هى بطانة يغشى بها غمده . (٤) الخمس : من أظماء الإبل وهو ورودها الماء فى اليوم الرابع بعد رعيها ثلاثة أيام . (٥) الزعاف : السم القاتل . (٦) ذملت : سارت الذميل — وهو ضرب من السير — . (٧) الذلل : المنقادة .

نسخوا بأعمارنا ونبخل بالـ ـمال فتَبَّ السخاءُ والبَخَلُ

ونبتغى البرءَ عند من يُسرع الـ ـسُّقمُ اليـــه وتَصرَع العِلَلُ

أضاع راقى الداءِ العضالِ كما ضُيِّع فى سمع عاشقٍ عذَلُ؟!

ولو نجا الهائبُ الجبانُ من الـ ـحتف تحامَى إقدامَه البطلُ

ما أسلموا هذه النفوسَ إلى الـ ـأجداث إلا إذ ضاقت الحيلُ

ضرورةٌ ذلّت القُـــرومُ (١) لها وقد تقودُ المَصاعبَ (٢) الجُـدُلُ (٣)

وخفّف الخطبَ بعـد شدّته أنْ كُلُّ حىّ لأمّه (٤) الهَبَـلُ

ومن حِذارٍ تبـوّأ (٥) الكُدْيةَ الـ ـضـبُّ (٦) وأوفَى فى الشاهقِ (٧) الوَعِلُ

لا الجوّ يُنجِى الشغواءَ (٨) حائمـةً ولا سبوحٌ فى لُجّـةٍ (٩) يئـلُ

يُقتـادُ فى عزّه الخُبَعْثِنةُ (١٠) الـ ـضـارِى ويُدهَى فى ذلّه الجُعَـلُ (١١)

والحافظو عَورةِ العشـيرةِ لا يـ ـهرِ إذا شنّ غارةً عُزُلُ (١٢)

أىّ ديارٍ تُحمَى وقـد راع "تا جَ الدِّين" خطبٌ أنيابُه عُصُلُ (١٣)

---

(١) قروم : جمع قرم وهو الفحل العظيم من الإبل . (٢) مصاعب : جمع مصعب وهو الفحل لا يركب لكرامته . (٣) جدل : جمع جديل وهو الزمام المجدول من أدم . (٤) الهبل : الثكل .

(٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها جحرا . (٦) الشاهق : الجبل العالى .

(٧) الوعل : تيس الجبل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل "الشعواء" وهو تصحيف .

(٩) يئل : يجبو . (١٠) الخبعثنة : الأسد . (١١) الجعل : ضرب من الخنافس . (١٢) عزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، وفى الأصل "عذل" وهو تحريف .

(١٣) عصل : عوج ، واحدها : أعصل .

مستلبا من يديه لؤلؤةَ الـ ـغوّاص أدنى أصدافها الكِلَلُ (١)

ما كان يُدرَى من قبلِ ما غربتْ أنَّ الثريّا إلى الثرى تصـــلُ

يابؤس للنـائبات كيف أرت أُخوّة الفرقـــدينِ تنفصـــلُ

وإن عجِبنا منها فـــلا عجبٌ للشمسِ وارَى جبينَها الطَّفَلُ (٢)

لم يرتد المجـــدُ إذ أصيبَ بها ولا مشى العزُّ وهو منتعـــلُ

سليـــلةٌ من سـوابق درَجوا أمامَهـا فاستخفَّها العجَـــلُ

من الخـدورِ التى بها احتجبوا إلى القبـــور التى بها نزلـــوا

تُنحـــرُ فى "مكّة" العِشارُ ولا تُنحـــرُ إلا عليهـم المُقَـــلُ (٣)

مهلا فما يربح الحزينُ ولا يخسرُ إلا غناءَه الجَـــذِلُ (٤)

وهل يردُّ الأحبابَ إن رحلوا على محبٍّ أن يُندَب الطَلَلُ ؟

حُوشيتَ من جلسةِ العزاءِ وأن يُضربَ فى أســوةٍ لك المثلُ

كم قـد هوَى من سمائكم قمرٌ وغار فى الأرضِ منكمُ جبـلُ

فما سكبتم له ذَنوبا من الـ ـدمع ونارُ الأحزانِ تشتعلُ (٥)

ودّعتموه كأنكم شُمُتٌ أو العِـــدَى عنكمُ قد ارتحلوا

إذا مَراثى أحبابكم تُليتْ سمعتموها كأنها غَزلُ

---

(١) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٢) الطفل : حمرة الأفق قبل غروب الشمس .

(٣) العشار : الإبل التى مر على حملها عشرة أشهر ؛ واحدها عشراء . — مثل نفساء ونفاس ولا ثالث لهما — . (٤) الجذل : المسرور . (٥) الذنوب : الدلو .

فليس ندرى من صخرةٍ نُحتتْ (١) قلوبُكم أم دموعُكم وَشَلُ؟
وأنتمُ هَجْمَـــةٌ (٢) تقاربتِ الـ ـأســـنانُ فيها فكلُّها بُزُلُ (٣)
فظاعنٌ (٤) عنكُمُ له خَلَفٌ وذاهبٌ منكُمُ له بدلُ
للدهر نُعمى ومنَّـــةٌ ويدٌ ما قام فى النـاس منكُمُ رجلُ

وقال يمدُح عفيفا القائمىّ :

لأىِّ مَرمًى تَزجُرُ الأيانِقا (٥) إن جاوزتْ «نجدا» فلستَ عاشقا
وإنما كان بكائى حاديا ركبَ الغرام وزفيرى سائقا
مذ ظعَـــنوا (٦) علمتُ أنى منهمُ أشـــيمُ فى أعلى السحابِ بارقا
أيا غرابا قـــد نعقتَ بهِـــمُ فكن على آثارهم بى ناعقا
سائلْ شمُوسا ضربتْ حُولها من شُـقّة البين لها سُرادقا
لِمْ جَعلتْ أعيننا مَغاربا وآتخـــذت خُدورَها مَشارقا
وكيفَ لاتحرُسها خيامُها وكل طَرفٍ قد أتاها سارقا
قُلّدت الدرَّ فما شككتُ أن قـد نُظِمتْ ثغـــورُها مَخانِقا (٧)
واستهدت الخصـــورُ من بَنانها خـــواتما تلبَسها مَناطقا
رميتم القلبَ وظـــنّى أنكم تُخطون إذ ترمون شيئا خافقا

(١) الوشل : الماء القليل فى مستنقع . (٢) الهجمة : القطيع من الإبل دون المائة .
(٣) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل . (٤) الظاعن : الراحل ، وفى الأصل «فطاعن» وهو تصحيف .
(٥) الأيانق : جمع ناقة . (٦) ظعنو : رحلوا . (٧) المخنقة : القلادة .

فلم يكن أوّلَ ظنٍّ كاذبٍ؛ من يدفعُ الأمرَ أتى موافقا؟!

جراحةُ الأنصلِ (١) إنْ (٢) سبرتها تشهدُ أن السهمَ كان مارقا

أحبِس دمعى فينِدُّ شاردا كأننى أضبِطُ (٣) عبدا آبقا

ومن مُحاشاةِ الرقيب خِلتَنى يومَ الرحيل فى الهوى مُنافقا

كم لىَ فى الظَّلماء من وقائعٍ أسرتُ فيهنَّ الخيالَ الطارقا

لما أتانى فى عجاجةِ (٤) الدّجَى مارسَ منّى فارسا مُعانقا

ما استوقفتنى الدارُ عن طِلابهم وإن جلَتْ للعين مَرأًى رائقا

إذا رأيتَ القَطرَ يُحيى عُشبَها أبصرتَ مخلوقا بها وخالقا

يُنبِتُ فى هامِ الربى ذوائبا يُضحى لها خدُّ المَصيف حالقا

فاشتمات (٥) تِلاعُها رَفارفا (٦) وأتزرتْ أهضابُها نَمارقا (٧)

وغنّت الحمامُ فى عيدانِها تُحسَبُ فى أفنانها «مُخارقا» (٨)

وهبَّ نجدىُّ الصَّبا تحسَبهُ فارةَ مِسكٍ فى ثراها فاتقا (٩)

فما رأيتُ الركبَ إلا لامسًا أو ناظرا أو سامعا أو ناشقا

بُعدًا لدهرٍ إن قَرَى أضيافَه سقاهمُ ماءَ الأمانى ماذقا (١٠)

---

(١) الأنصل : جمع نصل وهو حديدة السهم . (٢) سبرتها : خبرت غورها .

(٣) الآبق : الهارب . (٤) العجاجة : الدخان والغبار ، — والمراد بها الظلمة — .

(٥) تلاع : جمع تلعة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الرفرف : ثياب خضر — وهى مجاز — .

(٧) نمارق : جمع نمرقة وهى وسادة يتكأ عليها . (٨) مخارق : مغن مشهور . (٩) فارة المسك : وعاء المسك — ويسمى النافجة أيضا — . (١٠) الماذق : المشوب المخلوط .

قد كسَد الفضلُ به فما تَرى ... فى ســوقهِ للفضل عِلْقا[1] نافقـا

ومعجزٌ أنَّ لسـانى ناطق ... عند زمانٍ أخرَسَ الشَّقاشِقـا[2]

أكثرُ من تَخـبُرُه من أهـلهِ ... يَظهَر فى دِين الوداد فاسقـا

غدرٌ يغطِّى الذئبُ منـه وجهَهُ ... ويُخجلُ الخِلَّ الودودَ الواثقا

مَعـاشرٌ قـد حَفـرَ اللؤمُ على ... حريم أمـوالهِمُ خنَـادقا

سيّان إن عُرِضتُ طِرْفا[3] صاهلا ... عليهِمُ أو عُدتُ عَيرا[4] ناهقـا

طلبتُ منهم بَيْعةً على [يدى][5] ... فلم أجدْ منهم لكفِّى صافقـا

إلا «جمال الدولةِ» المعطى الندى ... على آنتهـابِ رِفده مَـواثقـا

لو أمسكتْ بنـانُه معروفَه ... لأصبحتْ من كفِّه طَوالقـا

من حَسَـدٍ ظَلَّ الغمامُ باكيا ... بقَطـره وبالرعود شـاهقا

لقَّنـهُ الطبعُ الكريمُ صُحُفـا ... من مذهب الجودِ فجـاء حاذقا

ما إن رأينـا قبـلَه ولا نرى ... من بعدِهِ وعدَ الأمانى صـادقا

إن تُلقَح الآمالُ من ميعـادهِ ... فعن قليـل ستراها فارقـا[6]

مكارمٌ تُسكِنه فى جَنّـةٍ ... قد غرَس الشكرُ بهـا حداثقا

---

(١) العلق : الشىء النفيس . (٢) الشقشقة : لهاة البعير . (٣) فى الأصل «أعرضت» . والطرف : الجواد . (٤) العير : الحمار . (٥) ليست فى الأصل ، ولعلها أقرب الى ما يتطلبه الصواب . (٦) الفارق : من الدواب التى أخذها المخاض فندت فى الأرض أو هى الناقة التى تفارق إلفها فتنتج وحدها .

من عاش كان ناطقا بحمده ومن توى (١) أودعه المهارقا (٢)

إن قلتَ : ماأحسنه شمائلا قلتَ : وما أكرمَـــه خلائقا

مُكرِّرٌ (٣) للكرمات قائـــلا بكأسها (٤) وصابحا (٥) وغابقا

لا يحسُن المديحُ عنـــد غـــيره ولا تراه بســـواه لائقا

جـــدَّد فى سُبْـل المعالى طُرُقا وزاد فى حدِّ النـــدَى طرائقا

يوماه إما لِطـــرادٍ يَصطفِى (٦) الرِّجالَ والســـلاحَ والســـوابقا ،

أو طَرْدِ (٧) جمْـــعَ من أَداتِه (٨) الـ ـفهودَ والكلابَ (٩) والسَّواذقا

فتـارةً يصرعهـــم فوارسا وتارةً يصـــيدها خَـــرانقا (١٠)

لـو لم تكن تُطـربُه الحربُ لمَـا كان لِسربال العَجاج (١١) خارقا

لولاه ما كان السِّنانُ طاعنـا يوم الوغى ولا الحسـامُ فالقـا

إذا الكماةُ لبِســـوا دروعَهـــم أقاحيا (١٢) أعادها شـــقائقا (١٣)

لو هَزّ فى يمينـــه مخَاصـــرا (١٤) أرســـلها ببأســـه صـــواعقا

---

(١) توى : مات . (٢) المهارق : الصحف البيضاء يكتب فيها ، واحدها : مهرق — بضم فسكون ففتح — فارسى معرّب . (٣) القائل : الشارب فى نصف النهار أى فى قائلته .

(٤) الصابح : الشارب صباحا . (٥) الغابق : الشارب عشية . (٦) السوابق : الخيـل .

(٧) الطرد : الصيد . (٨) فى الأصل «اذاية» وهو تصحيف .

(٩) السوذق : الصقر ، وقيـل : الشاهين . (١٠) الخرنق : — بكسر الخاء — . الفتى من الأرانب .

(١١) العجاج : غبار الحرب . (١٢) الأقحوان وجمعه أقاح : نبات أبيض .

(١٣) الشقائق : نبات أحمر . (١٤) المخصرة : عصا صغيرة يأخذها الملك فى يده .

لا يقتنى إلا حساما جاهـــلا ... ولا يُعِـــدُّ الرمحَ إلا مائقـا (١)

إن شئتَ أن تعـــلم ما فعلاهمـا ... فاستخبر الضـــلوعَ والمَفـارقا (٢)

ليس يبـالى بالأعادى بعـــد ما ... يَعُـــدُّ ذؤبانَ (٣) الفلا أصادقا (٤)

إن أعضـــلَ الأمرُ فنـاطوهُ به ... كان المصـــلِّى (٥) والنجاحُ السابقـا

لذا ارتقى عنـــد الإمام ذِروةً ... وحلَّ من رأى المليـــك شاهقـا

لاحطَّتِ الأيّام عنـــك رتبـــةً ... ولا أراك الدهرَ إلا سابقـا

تدوم مادام الزمانُ آمرا ... أو ناهيـا وفاتقـا وراتقـا

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

رأيت الحُبَّ ليس يُنـال إلا ... بحـــظٍّ من جَمـالٍ أو نوالِ

وأنت من القباحةِ ذو نصيب ... حقيـــق بالتصارم والتقـالى (٦)

وما سترتْ عيونَك عن عيونٍ ... بَصيراتٍ يداك ببـــذلِ مالِ

فأيّةَ خَـــلّةٍ غرّتك حـــتى ... خطبتَ بها مَودّاتِ الرجالِ

---

(١) المائق : الأحمق الغبى . (٢) مفارق : جمع مفرق — كمجلس ومقعد — وسط الرأس . (٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) أصادق : جمع صديق .

(٥) المصلى : الجواد الثانى فى الحلبة ، والأول : المجلى وهو السابق . (٦) التصارم : التقاطع ، والتقالى : البغض .

* * *

وقال فى مثله :

أثَرَوْا فما علِمَ ٱمرؤٌ إثراءَهم فلو ٱملَقوا لم يعلم الإملاقُ

سِيَّانِ إثراءُ اللئيم وعُدمُه إن الدراهمَ عَرفُها الإنفاقُ

* * *

وقال فى الخمر :

وسلافةٍ بُزلت فأبرزَ دَنُّها(١) ذهبًا يُرصَّعُ عَسجدا إبريزا(٢)

خَبرَ النَّدامى فعلَها فإذا بِهِ كالمال يرجِعُ بالذليل عزيزا

فتناهبوها غيرَ شكّ، إنهم وجدوا بها مِلءَ الدِّنان كنوزا

* * *

وقال فى الغزل :

بدا ضاحكا لا لأحظَى بما تُسَرُّ به النفسُ من بِشره

ولكن رأى وجهَه مقمرا فأبدَى كواكبَ من ثغره

* * *

وقال فى مثله :

أضدَّانِ فى جسدٍ واحدٍ مقيمان قد جعلاه قَرارا

دموعٌ من العين فيّاضةٌ ووَقدٌ من القلب يَرمِى شَرارا

كأنِّى من السُّحُبِ الساريا ت يَحمِلنَ فيهنَّ ماءً ونارا

---

(١) الدن : إناء كبير توضع فيه الخمر كالراقود، وجمعه : دنان . (٢) العسجد الإبريز : الجوهر الخالص — كالدر والياقوت — .

وقال لبعض الرؤساء :

شُـدُّوا على ظهر الصِّبا رَحلى ... إن الشبابَ مطيَّـــةُ الجهلِ

إن أُحرِزتْ نفسى إلى أمدٍ ... دبَّرتُهـا فى الشَّيبِ بالعقـــلِ

إن المغـــرَّبَ فى مواطنـــه ... من عاش فى الدنيـا بلا خِلِّ

وإذا الفـؤاد ثوى بلا وطرٍ ... فكأنه ربعٌ بلا أهـــلِ

من للظباء ســـواى يقنِصُها ... إن أسكرتنى خمرةُ العـــذبِ؟

أوغلتُ فى خوض الهوى أنَفًا ... للقلب أن يبـــقَى بلا شُـغلِ

وحذِرتُ سُـــلوانا فسُمتُهُـمُ ... أن يحـرِمونى لذّةَ الوصـــلِ

فضَلَتْ دموعى عن مدَى حزَنى ... فبكيتُ مَن قتَـل الهوى قبلى

ما مرّ ذو شجنٍ يكتّمـــه ... إلا أقـــول : متيَّم مثـــلى

يُخفى — ولا يَخفَى على نظرى — ... عَـــلَمَ الخضوع ومِيسَم الذلِّ

يا فاتكا أضـــراه (١) أنَّ له ... قَتْـــلَ (٢) بلا قَوَدٍ ولا عَقْـــلِ (٣)

لِمَ لا تُريقُ دمًا وصاحبُـــه ... لك جاعلٌ فى أوسع الحِـــلِّ؟

بُعدًا لغزلان الخدور لقـــد ... كُلِّتْ (٤) محاجرُهنَّ بالخَتْـــلِ

يرمين فى ليـــلِ الشبابِ لكى ... تخـــفَى على مواقعُ النبـــلِ

---

(١) أضراه : أغراه . (٢) القود : القصاص . (٣) العقل : الدية

(٤) الختل : الخداع .

لو لم يُرِدْ بى الســـوءَ خالقُها ما ضمَّ بين الحسن والبخلِ

اِقذف عدوَّك، إن أردتَ به دهياءَ، بين الأعين النُّجل

يبلُغنَ كلَّ العُنف فى لَطَف ويَنلنَ أقصى الجِـــدِّ بالهزلِ

هبْهم لَوَوْا وعـدى، فطيفهُمُ من ذا يجسِّره عـــلى مطـــلى؟

قـــد كدتُ أُنهِكهُ معاقبـــةً لولا آدّكارى حُرمةَ الرُّســـلِ

وعهودُكم "بالرَّمل" قد نُقضتْ وكذاك من يبـــنى على الرملِ

إن ازمعوا صرما فلِمْ عقَـــدوا يومَ "الكثيب" بحبلهم حبلى؟

لا يوثِق الأَســـراءَ بينهُـــمُ إلا رِشاءُ (١) الفـاحِمِ (٢) الرَّجْـــلِ

كيف الخلاصُ ومن قدودهِمُ وخدودهم ونهـودهم عقـــلى (٣)

وإذا الهوى ربَط النفوسَ فما يُغنيـك حَلُّ يدٍ ولا رِجْـــلِ

صحبى الألى أزجَـوْا مطيَّهُمُ حتى أناخوها "بذى الأَثْلِ"

من يطَّلِـعْ شَرَفا فيعلمَ لى هـــل روَّح الرُّعيانُ بالإبلِ؟

أم قعقعَتْ عَمَدُ الخيام أم آر تفعَتْ قِبابهُمُ (٤) عـــلى البُزُلِ (٥)؟

أم غرَّد الحـادى بقافيـــةٍ منها غرابُ البين يستملى؟

إنى أحاذر من رحيلهـــمُ ما حاذَرَتْ أُمٌّ من الثُّكلِ

---

(١) الرشاء — فى الأصل — : حبل الدلو — والمراد به هنا الغدائر — . (٢) الفاحم الرجل : الشعر الأسود الكثيف . (٣) العقل : الربط . (٤) فى الأصل « قيامهم » وهو تحريف . (٥) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل .

إن كان ذاك ، فصادَفوا لَقَماً (١) يعمَى الدليـــلُ به عن السُّبْلِ

رِفقا فلست أُطيق أحمـلُ ما حَمَلَ "الأجلُّ" لنـا من الثِّقلِ

وهو الذى كلٌّ يُقـرّ لـه يومَ الفخار عليـــهِ بالفضلِ

أَغلتْ مكارمُه المهـــورَ على تزويج بِكرِ القـول بالفعـلِ

وحبَـا العفـاةَ وهم بدارهمُ حـــتى دَعَوه جامعَ الشمـلِ

يعطيـك فى عُسُر وفى يُسُرٍ ويُنيـل من كُثْرٍ ومن قُـــلِّ

مثل السـحابةِ ما تُغبُّك فى الـ ـحالاتِ من وبل ومن طـلِّ

فكأنمـا أوحَى إلى يده أن تقتـلَ الإملاقَ بالبـــذلِ

شجـر من المعـــروف أنبتهـا تختال فى ثمـــر وفى ظـــلِّ

ومناهـــلٌ إن يرضَ واردها بالنَّهْـل (٢) يجـــبُرْهُ على العَـــلِّ

ظنًّـا بأن الفـــرضَ ليس له حمـــدٌ وأن الشكـرَ للنَّفلِ (٣)

لعـــدوّه ما للصـــديق به والغيثُ (٤) رزقُ الحَزنِ والسهلِ

وإذا السماء غدت كأنّ على أبوابها قُفـــلا من المحَـــلِ ،

وجدوا الغمامَ قلائصا (٥) غَرِضتْ (٦) بالسير من جهـد ومن هُزُلِ (٧)

---

(١) اللقم : معظم الطـريق .

(٢) النهـل : أول الشرب ، والعـل : ثانيه .

(٣) النفل : ما يفعل مما لم يجب فعله .

(٤) الحزن : الوعر من الأرض ضد السهل .

(٥) قلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل .

(٦) غرضت : ضجرت وملت .

(٧) الهزل : الضمور .

وآستحسن الكرماءُ من سَغَبٍ (١) أن يبعثوا بذخائر النمـلِ

فى شَتـــوةٍ شمـطاءَ عانسـةٍ عزَّ الرَّضاعُ بها على الطفـلِ،

بكَرت انامـــلهُ بغـاديةٍ (٢) تكسو البـلادَ مَلاحفَ البَقْلِ

وكأنما الأنـــواءُ حائـلةٌ (٣) عجفـاءُ تَرمحُ (٤) حالبَ (٥) الرِّسْـلِ (٦)

بلغَ المدى ، والتابعون له متعثرون بزَلّة النعـلِ

لوقَلّد الشجعانُ عزمتَـه لغَنُوا عن الهِندىِّ ذى الصقلِ

حُنِيتْ أضالعُـــه على همـم مخـلوقة للعَقـد والحَـلِّ

لا يدّعى إقـدامَه أحـدٌ وإن آدعاه فوالدُ الثَّبلِ

ما يذعَرُ الخصماءَ من فُطُـمٍ (٧) ترميهـمُ (٨) بشقـاشقٍ تغَـلى؟!

أبدا يفِـرُّ صريعُ منطقـه (٩) منـه إلى الخَطّىّ (١٠) والنَّصـلِ

يرنو الزمان إلى معـانده (١١) حنقًا عليـه بأعينٍ قُبُـلِ

فى كفِّـه صمّـاءُ (١٢) ضـامرةٌ (١٣) سرَقَتْ شمائلَها من الصَّلِّ

---

(١) السغب : الجوع . (٢) الغادية : السحابة تمر فى الغدوة . (٣) الحائلة : التى لم تحمل . (٤) العجفاء : المهـزولة غير السمنية . (٥) ترمح : تدفع . (٦) الرسل : اللبن . (٧) فطم : جمع فطيم وهو ما فصل عن الرضاع . (٨) شقاشق : جمع شقشقة وهى لهـاة البعير يهدر بهـا . (٩) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى بلدة تباع فيها الرماح ولا تنبت بها — يقال : رماح خطية — على الوصف ، ورماح الخط — على الإضافة — . (١٠) النصـل : السيف . (١١) قبل : جمع قبلاء وهى العين التى أقبل سوادها على الأخرى . (١٢) الصماء : الحية ، — والمراد بها هنا القلم على التشبيه — . (١٣) الصل : الثعبان .

سـمُّ الأسـاودِ (١) فى نواجذهـا (٢) وإن أغتذت بمُجاجةِ النحـلِ

ما حُكِّمتْ فى أمرِ مُشكلةٍ إلا أتت بقضـيَّةٍ فَصـلِ

من مثـلُه لقـراع نائبـةٍ فيهـا فراق العِرْس للبَعـلِ!

هيهات أن تلقَ مشابَه ؛ أمُّ الصقـورِ قليلةُ النسـلِ

* * *

وقال وكتب بها الى الشريف أبى جعفر بن البَيَاضىّ (٣) يداعبه :

مرضٌ بقلبك ما يعـادُ وقتيـلُ حب لا يقادُ (٤)

يا آخـر العشّـاق، ما أبصرتَ أوّلهم يذادُ؟ (٥)

يقضِى المتـيَّم منهـمُ نحبا ولـو رُدُّوا لعـادوا

ملكوا النفوسَ فهل لنـا من بعـدها ما يستزادُ

أبدا جنـاياتُ العـيو ن بحَـرِّها يَصلَى الفـؤادُ

ما خلتُ غِزلان "اللِّوى" كظباءِ "مكّةَ" لا تصادُ

يقظـان تَنصـلُ (٦) أحبُل عنهـا ويقنِصهـا الرقادُ

بالعـذلِ تُوقَـد لوعتى وبقَـدحِه يُورَى الزِّنادُ

لم يسـتطعْ إطفـاءَها دمعٌ كما أنخـرقَ المَـزادُ (٧)

---

(١) أساود : جمع أسود وهو الثعبان . (٢) النواجذ : الأنياب . (٣) نسبة الى « بياضة » بطن من الأنصار، أو نسبة الى جماعة نسبوا الى لبس الثياب البيض ببغداد .

(٤) لا يقاد : لا يدفع قوده وهو الدية . (٥) يذاد : يدفع . (٦) تنصل : تنفصل .

(٧) المزاد : وعاء يوضع فيه الزاد .

لا تنكرا جُرحى فلا ... عذّال ألسنةٌ حِـدادُ

طمعٌ وأنتَ "برامـةٍ" ... فيمن تضمّنه النِّجادُ؟ (١)

والحيّ قـد هبطَتْ خيا ... مُهُـمُ وقعقعت العِهادُ

والوَردُ من زَهرِ الخـدو ... دِ كِمامهُ الكِلَلُ الوِرادُ (٢) (٣) (٤)

لـو يسمحون بوقفـةٍ ... أبَت المطايا والجيادُ

ظعنـوا بأقمـارٍ علي ... ـها تُحسدُ الكومُ الجِلادُ (٥)

ولأجلها غَبَـط الغَبيـ ... ـطَ حجابُ قلبي والسوادُ (٦)

فيقـول : أيّ الحالتيـ ... ـن أشدُّ، هجرٌ أم بعادُ؟

تعفـو المنازلُ إن نأَوا ... عنها وتغبرُّ البلادُ

والحسنُ أولَى بالبِلى ... شوقا إذا بَلِيَ الجمادُ

ما ضرَّهم، والحسنُ لا ... يبقَى، لو آمتنُّوا وجادوا !

أتُرى حرامٌ أن يُرَى ... فى الناس معشوقٌ جوادُ؟!

لعبٌ مفاتيحُ الهـوى ... والحرب أوّلُها طِرادُ

أوَ ما رأيت فتى قـر ... يشٍ" وهو للجُلّى عَتادُ،

وله المعانى المستـ ... ـقّةُ والكلامُ المستفادُ،

---

(١) النجاد : حمالة السيف . (٢) الكمام : جمع كم وهو ما يغطى الزهر من الورق الأخضر .
(٣) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٤) الوراد : الحمر كالورد . (٥) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٦) الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج .

وأَصالةٌ فى الرأى بالـ ـسِّحر الموشّى لا تُكادُ،
وشواردٌ فى القول قد قُرِنتْ بها السَّبعُ الشِّدادُ،
"كالهرقليّاتِ"(١) النوا صعِ ليس يَنفيها آنتقادُ،
فكأنه "قسٌّ"(٢) "وها شمٌ"(٣) حولَ منطقِهِ "إيادُ"،:
كيف آرتعَى زَهرَ الصبا بةِ، والغرامُ له قيادُ
بعد التخيُّل والمِرا حِ ونَى وذلّلهُ القيادُ
نشوان لا فى عطفه بطرٌ(٤) ولا فى الرأس صادُ(٥)
فيه فلانٌ أو فلا نٌ لا "سُلَيمى" أو "سعادُ"
يرضَى بطيفٍ قال : مو عِدُنا الحشيّةُ(٦) والوِسادُ
وتُحَلُّ عُقدةُ نُسكِهِ بالشيء لفّقه البِجادُ(٧)
يا مُصعَبا(٨) جرّته فى أرسانها(٩) اللِّمُ(١٠) الجِعادُ(١١)
وآستهدفته رواشقُ الـ لحظات مثنَى أو أُحاد

(١) الهرقليات : النقود المسكوكة باسم هرقل — بفتح الراء وسكون القاف — وسكنت هنا الراء وفتحت القاف لضرورة الوزن . (٢) يشير الشاعر الى قس بن ساعدة الإيادى وهو من أفصح العرب .
(٣) يشير الى بنى هاشم بن عبد مناف القرشى جد أسرة الممدوح . (٤) بالأصل : نظر وهو تصحيف ، والبطر الأستخفاف ، يقال : جر إزاره بطرا . (٥) الصاد : التكبر .
(٦) الحشية : الفراش المحشو . (٧) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به ، وفى الأصل "النجاد" وهو تصحيف . (٨) المصعب : الفحل لا يركب لكرامته . (٩) أرسان : جمع رسن وهو الحبل تقاد به الدابة . (١٠) لمم : جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(١١) جعاد : جمع جعد وهو الشعر الذى فيه التواء وتقبض .

وآســـتعطفته روادفٌ (١) كُثبانها نِعـــمَ المِهـادُ

ولَمًى رضابُ النحل يشـ ـهد أنّ ريقتَه شِهـادُ (٢)

ولربما خار الجـــلـ ـدُ وغُلِّطَ الرأىُ المـرادُ

قـد كان قبـلك فى سبيـ ـل الحبّ لى أبدا جِهادُ

حتى خبا ذاك الضـرا م، وغاية النـار الـرَّمادُ

وإذا رأيتَ الكون فآ ـلمْ أنّ سيتبعُهُ الفسـادُ

وآعجب لقـوم فى الزما ن على السفاهة كيف سادوا ! !

لا عنـدهم كَلِـمٌ تَفـ ـرُّ ولا نُضـارٌ يستفـادُ

أســتغفر الله العـــلـ ـىَّ لقـــد تذأّبت (٣) النِّقـادُ (٤)

* * *

وكتب إليه أيضـا وقد عتب عليه بسبب أبيـات كانت فى هـذه القصيدة فأسقطها :

عَتَب الشريفُ لأن نشرتُ محاسنا مرموقةً من خُلقِـه وجلالِهِ

وزعمتُ حقّـا أنّ بدرَ جَمـاله زانت مطالعَـه نجـومُ خِصـالِهِ

بمحـاسنٍ لو كان يمكن صوغُها أغنت غزال الإنس عن خَلخالِهِ

---

(١) كثبان : جمع كثيب وهو تل الرمل ؛ — ويشبه الردف به — . (٢) شهاد : جمع شهد وهو عسل النحل . (٣) تذأبت : صارت كالذئاب . (٤) النقاد : صغار الغنم .

صِـفة الهـــلال بدا أوانَ طلوعه أن لا يشـــعّثه زمانُ كمالِهِ

فضلُ الملاحةِ عنـــد كلّ مصوِّرٍ فى الناس ليس إليـــه نقصُ مثالِهِ

عتبٌ لعمرُك ليس يَعتِب مثـــلَه إلا حبيبٌ شـــاءَ(١) قطعَ حبـــاله

فآمسح جفونَك عن عقابيلِ(٢) الكرى وآنظر وصـــلِّ على النبىّ وآلِهِ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى سعد بن المطّلب فى غرض :

أىُّ لبيبٍ بك لم يُخـــدَع وأىُّ عينٍ فيك لم تدمَع؟!

لا أمدح اليـــاسَ ولكنه أروحُ للنفس من المطمع

أفلحَ من أبصـــرَ عُشْبَ المنَى يُرعَى فـــلم يَـــرْعَ ولم يرتَع

يا ليتَ أنّى قبـــلَ وَقْرِ(٣) الهوى أذِنتُ للعـــذل على مسمعى

هل ما مضَى من عيشةٍ راجعٌ؟ والخُلفُ كلُّ الخلف فى المرجـــع!

أين بدورٌ من بنى "دارمٍ" تبخل أن تُسـفر فى مطلع

لا فى سِرار(٤) الشهر تبـــدو لنا ولا ليالى العشـــر والأربـــع

لو لم تكن أعينُهم أسهما ما خرَقَت فى جانب البرقـــع

كيف تَخَطَّينَ إلى مَقتلى وما درَى تُرسى ولا أدرعى

---

(١) فى الأصل "ساء" وهو تصحيف .

(٢) العقابيل : البقايا ، — كعقابيل المرض والعشق وغيرهما — .

(٣) الوقر : الصمم .

(٤) السرار : — بالفتح والكسر — آخر ليلة فى الشهر .

أودعتُهـم قلـبي وما خِلتُهـم ... يستحسنون الغـدرَ بالمودعِ

صـار بأيديهـم وحاكمتهـم ... فالحـقُّ حقّ وأنا المـدّعى

لـو زارنى طيفُهـمُ ما درى ... من الضـنا أنىَ فى مضجعى

أقول للركبان قد أزمعـوا ... حجًّا إلى الأطـلال والأربُـع: «

لَبُّوا بذكرِى فى "عقيق الحمى" ... وذلك المصـطافِ والمَـربَع

وأخـبروا عنّى بمـا شـئتُمُ ... فإنه دون الجـوى الموجِـع

دَرَتْ عـلى مرعاهُمُ ديمـةٌ (١) ... تحنـو على أطفـاله الرُّضّـع

غـرّاءُ لو يَنبُتُ شَـعْرٌ بهـا ... لأنبتت فى جبهـةِ الأقـرع

كلُّ سحابٍ أمطرتْ أرضَهم ... حامـلةٌ للمـاء من أدمعى

وكلّ ريحٍ أزعجت تُـربهم ... فإنهـا الزفـرةُ من أضلعى

أتشـفع الخمسون لى عندَهم؟ ... هيهـاتَ والعشرون لم تَشفع!!

إن أمطرتْ عيناى سُحْبا فعن ... بـوارقٍ فى مَفـرِقى لُمّـع (٢)

تُريد عُمْـرا وشـبابا معـًا ... أشـياءُ للإنسان لم تُجمَـع (٣)

سـيّان عند الغانيات اكتسَى ... رأسُ الفـتى بشيبه أم نُعِى!!

يُصـبَغُ رأسُ الدهر من ليلِهِ ... وصـبيحِهِ بالجَـوْنِ والأسفع (٤)

---

(١) الديمة: المطرة الدائمة. (٢) مفرق - كمجلس ومقعد - : وسط الرأس حيث يفرق الشعر، والبوارق اللمع: كناية عن الشيب. (٣) هذا فى مختارات البارودى وفى الأصل شيئان. (٤) الجون: الأبيض، والأسفع: الأسود.

نوائبٌ أضعافُ عدِّ الحصى ... تَجمعُ بين الضّبّ والضِّفْدَعِ

تصطلمُ[1] العفراءَ[2] فى قفرها ... وتفجأ العذراءَ فى المخدَعِ

كم مرَّ بى من صَرفه حاصبٌ[3] ... لو مرَّ بالوَرقاء لم تسجعِ

رفعتُ من أمواجه منكِبى ... حيث يشير الجون[4] بالإصبعِ

من لم يخُض غَمرتَها لم يشِدْ ... قواعدَ المجد ولم يرفَعِ

دون المعالى مرتقًى شاهق ... فطِرْ إلى ذِروتهِ أو قَعِ

قل للصعاليك: أرى دينَكم ... دِينى ودِينَ الأسَد الأفدعِ[5]

إمّا قَرَى بُرثُنُه[6] نابَهُ ... أو ماتَ طيّانَ[7] ولم يَصرَعِ

متى أراكم كذئابِ "الغضا" ... شممنَ ريح المَعِزِ الرُّتَّعِ

فى فتيةٍ أكثرُ تهويمهم ... إسناد هاماتٍ إلى أذرُعِ

إن عرَّسوا[8] لم يعقِلوا إبلَهم ... إلا بوفراتٍ[9] مع الأنسُعِ[10]

مثل نجوم الليل يُهدَى بهم ... من ضلَّ فى الدَّيمومةِ[11] البلقَعِ

---

(١) تصطلم: تستأصل. (٢) العفراء: الظبية البيضاء. (٣) الحاصب: الريح تثير الحصباء وتحملها. (٤) الجون: الأسود — وهو من الأضداد — ويريد به الليل، ويحتمل أن يكون محرفا عن "الجو"، والمراد بالإصبع الهلال. (٥) الأفدع: الذى أعوج رسغ يده أو رجله. (٦) قرى: أطعم؛ والبرثن: — من السباع — بمنزلة الإصبع من الإنسان. (٧) الطيان: الجائع. (٨) عرسوا: نزلو آخر الليل، وفى الأصل «غرسوا» وهو تصحيف. (٩) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس. (١٠) الأنسع: جمع نسع وهو الحبل من أدم. (١١) الديمومة البلقع: المفازة القفر.

يخضِبُ أيديهـم نجيـع الطُّلَى[1] إن خضَبَ الأقوامُ بالأَيدعِ[2]

قلتُ وهم من نَشَواتِ الكرى مـــوائلٌ كالسُّـــجَّد الرَّكَّعِ ،

حُثُّـوا مطـاياكم فـكم غاية قـد بُلِغَتْ بالأينـق الظُّلَّـعِ[3]

وٱدعوا "أبا سعدٍ" يساعِدْكُمُ مثلَ سـنانِ الأسمرِ[4] المشـرَعِ

باعٌ طـويلٌ ويـدٌ طَلقـةٌ ومنطق يختـال فى المجمـعِ

إذا ٱرتقتْ أقـلامُه كفَّه تهـزّأت بالخـاطبِ المِصقَعِ

غُدرانهُ بالفضـــل ممـــلوءةٌ مـــتى يَرِدْها حائمٌ ينقَـــعِ

يكشِفُ منـه الفَرُّ[5] عن قارحٍ[6] قد أحرز السـبق ولم يُخـدَعِ

ليس جمـالُ المـــرءِ فى بُردِه ، جمـالُهُ فى الحَسَب الأرفـــعِ

يشـــير إيمـاءً إليـــه الورى إن قيل : منَ يُعرَفُ بالأرْوَعِ ؟!

يريـــك ما ضَمَّت جلابيبُـــه محاسنَ العـالَمِ فى مَوضـــعِ

يُوكَسُ من لا أدبٌ عنـــده وكْس الدنانـــيرِ ولم تُطبـــعِ

أيا أخى ، والـــودّ أرحامُه إن تُقطَـــع الأرحامُ لم تُقطعِ ،

ما بيننا من أدبٍ جامع أقـــربُ من والدةٍ مُرضِـــعِ

---

(١) الطلى : الأعناق ، واحدها : طلية . (٢) الأيدع : الزعفران . (٣) الظلع : جمع ظالع وهو الذى به غمز يشبه العرج . (٤) الأسمر : الرمح . (٥) الفر : الكشف عن أسنان الفرس وغيره لتعرف سنه . (٦) القارح — من الخيل — بمنزلة البازل من الإبل .

لُبـانةٌ لى هى إن تَقضِهـا صنيعةٌ فى موضــع المصنـع

ورائدٌ مثــلك مســتودِعٌ أهليــه فى أحفظِ مســتودَع

ألا أبلغا عنّى الذى شكـره صريرُ (١) رحلِ الراكب المُوضِع (٢)

مَن تَصدُر الآمالُ قد أترعتْ مَزادُها من حوضِه المــترَع

لا خُلّبٌ بارقُ معــروفِه ولا سحـابُ اليد بالمُقشِـع

إن أنتَ شبّهتَ به غــيرَه سـوّيت بين النَّبع والخروع (٣) (٤)

ما بالُ أعــدائى ملّكتَهــم عِنـانَ رأس السـابح الأتلع (٥)

يرمون حبّى بحصَى زُورهم رمىَ جِمـارِ الجّ باليَرمَـع (٦)

كلُّ فمٍ يَنفُثُ بى قــولةً أسلمُ منهـا لسعةُ الشُّـبْدَع (٧)

علىّ صاروا عنـد نُصحى ولو عملتُ بالغشّ لكانوا معى

واستعطِفِ الرأى ليرجِـعْ به من رجَعَ الشمسَ الى "يُوشَع"

فأنتَ أهدَى فى طريق العلا من القَطـا فى اللاحبِ المَهيع (٨) (٩)

واظفَرْ بها لو أدركت "ثعلبا" أنسته مايُروَى عن "الأصمعى"

أمسِ رأينـا قائــلا سامعا واليوم قــد أعوزنا من يعى

---

(١) الصرير : صوت الباب وغيره . (٢) الموضع : الذى يسير الإيضاع وهو ضرب من السير السهل السريع . (٣) النبع : شجر ينبت فى أعالى الجبال تتخذ منه القسى . (٤) الخروع : كل نبت ضعيف . (٥) الأتلع : الطويل العنق . (٦) اليرمع : حصى بيض رخوة . (٧) الشبدع — بكسر الدال وفتحها — : العقرب . (٨) اللاحب : الطريق الواضح . (٩) المهيع : الواسع .

* * *

وقال يعاتبُ بعضَ رؤساءِ العصر فى نَبْوةٍ جَرَت بينَهما :

أَوَقتل بعدَ هــذا الأسرِ حَلًّا ... وجِــدٌّ نوائب الأيام هَزلا

وأعلم أنّ جَور الدهرِ طوعا ... سيُعقب بعــدَه بالكُرهِ عدلا

يقولُ لىَ اصطبارى : قف رويدًا ... فأىّ سحائب الغَمَرات تُجلَى

ليــالٍ خابطاتٌ فى سُــراها ... وما تَدرى أصبنَ القصدَ أم لا !

وأيامٌ تَراكضُ فى مَــداها ... كأنّ وراءها طَرْدا وشَــلّا

فمَن راغَمَنــه رجَع الهُوَيْنا ... ومن أخطأنه بلغ المحَــلّا

فكم أفقرن بالبؤسَى غنيًّا ... وكم أغنين بالنُّعمى مُقِــلّا

تُراها خُــيِّرت فيما لديها ... فما اختارت سواى لهنّ شُغلا ! !

سهامٌ مؤلماتٌ كلَّ يــومٍ ... تُصيب ولا أرَى ريشًا ونَصلا

ولو كانت نبالُ "بنى هُذَيْلٍ" (١) ... لبِستُ لهن سابغَــةً رِفَــلّا

وما ذنبى إليها غــير أنّى ... جمعتُ محاسنا وحويتُ فضلا

فــلولا أننى أرعى فــؤادى ... بأوديةِ الأمانى متُّ هُــزلا (٢)

أَعُدُّ ذنوبَها بيدى، ومَن ذا ... يُعَدّ "بعالجٍ" و"الخبتِ" رملا (٣)

---

(١) السابغة الرفل : الدرع الطويلة . (٢) الهزل : الضمور . (٣) عالج والخبت : موضعان مشهوران بكثرة الرمال فيهما .

إذا ما شئتَ أن تحيا سـعيدا فقل : لا تؤتِنى يا ربِّ عقلا

فما عيشُ الوحوش بخير عيشٍ به طـابت به حُمقا وجَهـلا

نَبُثُّ لهـا الحبائلَ وهى ولْهَى تجاوِبُ باغِمـا[1] وتَرُبُّ[2] طِفـلا

وما للمـرء خـيرٌ فى حيـاةٍ إذا أمسى على الإخـوان كَلَّا[3]

لقـد خلعَ التصـابىَ مستَجدٌّ نُصولُ عذراه غِمـدًا مُحـلَّى

تقِلُّ عن الغـرام وأنتَ طِفلٌ وتكبَرُ عن طلابِ اللهو كهلا

وفيما بين ذاك وذا شبابٌ تمانعك الأحبَّـةُ فيه وصـلا

فأىّ زمانك الحُـلوُ المُهنَّـا وأىّ قِداحِك القِـدحُ المُعلَّى[4]

لذاك بدأتُ بالهجران «هِندا» كما عاجلتُ بالسلوان «جُمْلا»

وصرتُ إذا رأيتُ الظبَى يرنو كأنّى ناظـرٌ ليثـاً مُـدِلّا

إذا ما هزَّ فى بُرديْه عِطفا هززتُ عليه من كفَّىَّ نَصلا

طـروبٌ للوشـاة إذا أعادوا عـلَىَّ ملامةً فيـه وعَذلا

وأحسنُ من قدودِ البِيض تهفو، قـدودُ السُّمر فى الهيجاء تُجلَى

فـلا تُبرِقْ لىَ الحسناءُ ثَغرا ولا تُرسِـلْ على المَتنيْن جَثْلا[5]

ولا تنفُثْ بسِـحرٍ فى جفونٍ حلَلْتُ عقودَها كَحَـلًا وكُحْلا

---

(١) الباغم : الظبى . (٢) ترب : تربى . (٣) الكل : الثقل .

(٤) المعلى : سابع سهام الميسر . (٥) الجثل : الشعر الكثيف .

على أنّ الهـــوى فى كلّ قلبٍ ... ألذُّ من المنَى طَعما وأحـــلَى

فلا يغـــرُرْك من ينجو سليمًا ... ولا تحسبْ علاجَ الحبّ سهلا

ولكنّى آستعنتُ على فؤادى (١) بأصـــنافِ الرُّقَى حتى أبَلّا

وحذّرنى من الأحبـابِ أنّى ... رأيتُ دَمًا «لعُروةَ» (٢) كيف طُلّا

أقلنى من ظبـاء "بنى عَدى" ... فمـا أخشى ظباءَ الإنس كلّا

فهنّ إذا غَزَوْنَ إلى قبيلٍ ... أسرن مُعاهِـــدا وقتلن خِلّا

وما أهوَى سوى البَيداء دارًا ... وأفراسًا (٣) تَضيعُ بهـا و إبلا

وأسمرَ يرعُد الأنبوبُ منـــه ... غداةَ الروع خوفا أن يَزلّا

وأبيضَ تحسبُ الطُّبّاعَ (٤) بثّتْ ... على مَتنيْه والحَدّين نملا

وممشوقٍ من الفِتيـانِ يُدعَى ... لكلّ عظيمةٍ فيجيب : هـلّا

كأنّى فى الضحى أرسلتُ صَقْرا (٥) وفى جُنح الدجى سِمْعا (٦) أزلّا

أشير له فيفهـــمُ وحَى طَرفى ... وخيرُ القول ما إن قَـــلّ دلّا

(أنا آبن جلا وطـلّاعُ الثنايا) (٧) وصاحبُ سـيرةٍ تروَى وتُملَى

تحكّكْ «بالرئيس» (٨) وفز بشكرى (٩) وحقًّا تطلُبُ الجـرباءُ جِذْلا،

---

(١) أبل : شـفى . (٢) عروة بن حزام : أحد الذين قتلهم الحب . (٣) كذا بالأصـل ولعلها محرفة عن تصـحيح أو تعج وما الى ذلك . (٤) فى الأصل « الخـدين » .

(٥) السمع : الذئب . (٦) الأزل : الخفيف الوركين السريع . (٧) من قول سحيم بن وثيل الرياحى وقد استشهد به الحجاج وتمام البيت . * متى أضع العمامـــة تعرفونى *

(٨) فى الأصل «الحرباء» وهو تصحيف . (٩) الجذل : أصل الشجرة ، أو هو عود ينصب للجربى تحتك به .

تلاقِ المجـــدَ برّاقَ المُحيّـا وثغرَ الجُـود يضحَك مستهِلّا

ومطـــروقَ الفِنـاءِ لزائريه تقولُ كلابُه : أهـــلا وسهلا

شمـائلُ تسرِق الأقوامُ منهـا وتَفضَح بٱمتحانٍ من تحـلّى

وهبْ أنّ الرجالَ حكَتْه قولا فهـــل يحكونه قـولا وفعلا؟!

يطوفُ الوفدُ فى الآفاق حتّى تُحَـطَّ به الرحائلُ حيثُ حلّا

إذا نزلوا فمـا لهـــمُ ٱرتحالٌ ومن ذا يجتوى بَرْدًا (١) وظِـــلّا

وكلُّ فضيلةٍ ذُكِرَتْ لقـــوم رأَوه بذكرِها أحرَى وأولَى

هو البطلُ الذى خَصَم الليالى فبيَّـــن فى وقائعهـا وأبلَى

تحيـد خُصومه (٢) عنه، ومَن لا يخافُ الليثَ أقبـلَ مصمئِلّا (٣)!

يَروع بصمتهِ من شاءَ منهـم وتخشَى الطـيرُ بازيا تَجـــلّى (٤)

شهدتُ بأنه الدرُّ المصـــفَّى وأنفسُ قيمـةً منـــه وأغلَى

وقالوا : هل سواهُ بقِى أناسٌ يليقُ بها المديحُ، فقلتُ : كلّا!

بـلى يا ربمـا نُسِـــبوا ٱدعاءً إلى كرمٍ كما نُسبَ "المُعلّى" (٥)

ألَا يا أيّهـا الرحبُ السـجايا ومن يسقِى بكأسِ الجود عَلّا (٦)

(١) يجتوى : يكره . (٢) فى الأصل «خصومة» وهو تصحيف . (٣) المصمئل : المنتفخ غضبا وشدة . (٤) تجلى : نظر الى الشىء مشرفا . (٥) فيه إشارة الى قول أبى على البصير :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم

(٦) العل : الشرب الثانى ، والأول : النهل .

عهِدتُ ندالك يورِقُ منه عُودِى ... ويُمرِعُ إن شكت كفّاىَ مَحْلا

وما زالتْ عُلاك أحُلُّ منها ... ربًى من رامنى فيهنّ زلّا

وكم لكَ من أيادٍ قد تشكّتْ ... اليك مناكبى منهنّ ثِقْلا

نظمتُ من الثناءِ لها "زَبورا" ... لفرطِ الحسن فى المِحراب يُتلَى

فما لى يشْلِمُ الأعداءُ حدّى ... ويختلق الوشاة علىّ بُطلا!

ويرمونى بزور القول حتّى ... تمنّى جانبى لو كنّ نَبْلا

فيا للهِ حيث وضعتُ جنبى ... أمارسُ عَقربا منهم وصِلّا! (١)

محالُهُمُ يمُدّ الىّ باعا ... وباطلُهم يحُطُّ علىّ رِجلا

خُصومٌ ينظرون إلىّ شَزْرا ... ومن ذا يقهرَ الخصمَ المُوَلّى

ولو لم أشجُهم (٢) بدَمِى ولحمى ... لقد أفنَوْهما شُربا وأكلا

ولا واللهِ ما قارفتُ ذنبًا ... ولا جذّت يدى للنصح حَبلا

ولا استذكرتُ ما أوليتَ إلا (٣) ... رأيتُ خِيانتى والغدرَ بَسْلا

وأقسم "بالمطايا (٤) مُشعَراتٍ" ... غداة النحر قد خُلخِلن (٥) عُقْلا (٦)

و"بالغُبر (٧) الأشاعث" لا دِهانٌ ... تُرجّلهم (٨) ولا "الهاماتُ" (٩) تُفلَى

---

(١) الصل : الثعبان . (٢) أشجهم : أغصهم بالشجا وهو ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٣) البسل : الحرام . (٤) المشعرات : البدن المعلمة وهو أن يشق جلدها أو أن تطعن أسنمتها لتعرف أنها من الهدى . (٥) خلخلن : ألبسن فى موضع الخلاخيل . (٦) عقل : جمع عقال وهو ما تربط به الدابة . (٧) الغبر الأشاعث : الإبل المغبرة المتلبدة شعر الرأس .

(٨) رجل الشعر : سرحه . (٩) هامات : جمع هامة وهى الرأس .

و"بالجمرات" تحذفُ "أخْشَبَيْها"(١) أنامـلُ تبتغي مَنًّا وفَضـلا،

و" بالحَرمين" تملأُ عَرصَتَيْها من الآفاقِ ركبانٌ ورَجْـلَى،

و" بالبيتِ المقدَّسِ" والموقَّى قِرى الأضيافِ عنه "والمصلَّى"، :

بأنى ما لبستُ الغشَّ ثـوبا ولا أسكنتُ قلبي فيـك غِلَّا

وما هى غيرُ أقـوالٍ تُوشَّى ولستَ ترى لها فرعا وأصلا

وأنت الحاكمُ العـدلُ القضايا إذا حار امرؤ فـيما تـولَّى

أعوذ بحسن رأيك منك فيها وأن ألقَى من الخُصماء خَبـلا

فإن حزَّ الفَـوارِى(٢) فى أديمى فلا عيبٌ إذا ما السيفُ فُلَّا

* * *

وقال يمدحه :

لقـاؤك يا "لُبنَى" لقـاءُ خَيالِ فمـا منـكما إلا غريمُ مِطـالِ

مواعيـدُ كاليقظَى خوالب بارقٍ وضُمّانُهُ الوسـنَى تخيُّـلُ آلِ

وإنى وإن جرّت زمامى عواذلى لأتبعُ فيـكِ باطـلى وضَـلالى

وأعـلمُ أن الحبَّ موقفُ طاعةٍ يُجـاب به للشـوق كلُّ سـؤالِ

ومن ظنّ أن العذلَ يقتنص الجوى فقـد قاده صـعبا بغـير عِقـالِ

---

(١) الأخشبان — بصورة التثنية — : جبلان بمكة ، اسم أحدهما : أبو قبيس ؛ والآخر : الأحمر ، وفى الحديث «لاتزول مكة حتى يزول أخشباها» وهما من المثنيات التى لا تفرد ، كالرافدين لدجلة والفرات .

(٢) الفوارى : اللواتى يقطعن الأديم — وهو الجلد — ويشققنه على جهة الإفساد .

لأنتَ أطبُّ الناس إن كنتَ قادرا ... على بُـــرء داءٍ بالفـــؤاد عُضـالِ

وصـــفتَ لسقمى قُبـلةً وٱعتناقةً ... وذاك شـــفاءٌ فى رءوس عَـوالِ (١)

إذا لم يذُق شيئا سوى الهجر عاشقٌ ... فمن أين يـــدرى كيفَ طعمُ وصالِ!

جهـــولٌ بشأن الغانيـاتِ مسَـلِّم ... عليهنَّ فى شَيبٍ ورقّـةِ حالِ

لِيسن لنـا دِرع الصـــدود كأنمـا ... نراميهُـمُ من شَـــيبنا بنصـالِ (٢)

ليـالى الشـــبابِ هنّ أيامُ غُرَّةٍ ... وأيامُ شَيبِ المـــرء هنَّ ليـالِ

ودِدتُ وإن كانت من العمر تنقضى ... لو آنَ بواقيهـا تكون حَـــوالى (٣)

ولى فى بيـوتِ «العـامريّةِ» حاجةٌ ... هى المـاءُ فى عَضْبٍ حديثٍ صِقالِ (٤)

زعمتُ البدورَ والشموسَ ظِبـاءَهم ... فلا تُنكروا فيهنَّ بُعْـدَ مَنـالِ

تطلَّعنَ من سُـود البيوتِ كأنمـا ... تَطلَّعَ بَيْضٌ بينَ زُفٍّ رِئالِ (٥) (٦)

ومـا حاجةُ الغَـيْرَانِ فيهم إلى القنـا ... وقـــد منعتْ منهم عِصِىُّ حِجالِ (٧)

كما قد حمت نفسُ "آبنِ مَروانَ" مجدَه ... بأبيـضِ عـــزمٍ أو بأحمـــرِ مالِ

مضيءُ نواحى الوجهِ، يُمزجُ بِشره ... بخَمرِ حيـاء فيه مـاءُ جَمـالِ

نسيبُ المعـالى، ليس تدعوه حاجةٌ ... الى صيتِ عمٍّ أو نباهةِ خالِ

---

(١) عوال : جمع عالية وهى أعلى القناة . (٢) نصال : جمع نصل وهى حديدة السيف والرمح والسهم . (٣) حوال : جمع حالية وهى التى عليها حليها . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) الزف : ريش النعام . (٦) رئال : جمع رأل وهو ولد النعامة (٧) حجال : جمع حجلة وهى بيت يزين بالستور للعروس .

إذا افتخر الإنسانُ يوما ببُردِهِ (١) فما بُردُه إلا كريمُ خصالِ

شبيبةُ عزمٍ واكتهالُ بصيرةٍ وتحريمُ عِرضٍ وانتهابُ نوالِ

شمائلُ لو يُنظمنَ أغنى نظامُها نحورَ الغوانى عن عُقود لآلى

وما جاذبوه الفخرَ إلا وحازه بأيدٍ الى نَيل العلاء طِوالِ

صنائعه فى الناس ترعَى سَوامُها ازاهيرَ شكرٍ فى رياضِ مَعالِ

ومِن عشقِهِ المعروفَ أعطى قيادَه سؤالَ تجنٍّ أو سؤالَ دلالِ

كذا السُّحْبُ يَسقِى كلَّ أرضٍ قِطارُها بريحِ جَنوبٍ مرّةً وشَمالِ

ليهنِك آلاءٌ ضمِنتَ وفاءَها من الجود حتى بات ناعمَ بالِ

وأنك بالنُّعمَى التى قد بثثتَها ملكتَ من الأحرار رِقَّ مَوالِ (٢)

فلله ماضٍ من لسانك إنه لنعمَ لِزازُ الخصم يومَ جِدالِ (٣)

ولله ما ضمَّت بنانُك إنها قناةُ طِعانٍ أو خبيئةُ ضالِ (٤)

فِناؤك للعافين بَعلُ أرامِلٍ ودارُك للسّارينَ أمُّ عيالِ

عهدتُك تلقَى كلَّ مرء بقيمةٍ وما كلُّ أعلاقِ الرجال غوالِ

فلِمْ أنا فى ميزان عدلك كِفَّتِى تشِفُّ (٥) اذا قابلتَها بمثالِ

ويرجحُ أقوامٌ كأن جباهَهم نِعالٌ لما زيَّنتَها بقِبالِ (٦)

(١) البرد : الثوب . (٢) موال : جمع مولى وهو العبد . (٣) اللزاز : شدة الخصومة .
(٤) الضال : جمع ضالة وهى السلاح أجمع ، وقيل السهام . (٥) تشف : تنقص . (٦) القبال : زمامة النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

نصيبي من الأموال ما يُمسك الدَّبَى (١) وحظّى من النيران حَظُّ ذُبالِ

ولولاك ما كانت "لطآما" (٢) موقفى ولا أرضُ "باجسْرا" (٣) محطَّ رحالى

مقيما بها كالسيف أُلزِمَ غِمدَه وقد كان يرجو الرىَّ يوم نزالِ

ولو أُطلقت حذّاه وآستُلَّ فى الطُّلَى (٤) براها يمينى ضارب وشمالِ

وما ينفع الطِّرفَ المطهَّمَ (٥) سبقُه إذا كان محبوسا بضيق مجالِ

أرى كلَّ مشنوءِ (٦) الخليقةِ واصلا قِصارَ حبال عجزه بحبالى

تماثيلُ كالأنعام أبقاتِ الربى (٧) لها فغدت فى رعيةٍ وضلالِ

وإنّ زمانا ضمّ شملى وشملَهم لكالليل مسرَى ضيغم وغزالِ

ستعلَمُ (٨) من منّا إذا بعُد المدَى (٩) عليه، تشكّى من وجًى وكلالِ

وتفرُقُ ما بينى هناك وبينهم (١٠) وكيف تُسوَّى (١١) بُزَّلٌ بفصالِ

وما كنتُ أرضَى أن تكونَ ديارُها ديارى ولا تلك الرحالُ رحالى

ولكنّنى ركّابُ (١٢) ما أنا قائد (١٣) ولو ظهر محزولِ السَّنامِ (١٤) ثقالِ

---

(١) الدبى : النمل ؛ والذبال : الفتيلة . (٢) كذا بالأصل ولم نوفق إلى تصويبها .

(٣) باجسرا — بكسر الجيم وسكون السين وراء والقصر — بليدة فى شرقى بغداد كثيرة النخل عامرة .

(٤) كذا بالأصل . (٥) الطرف المطهم : الجواد التام الحسن . (٦) المشنوء : المبغض المكروه . (٧) فى الأصل هكذا «رعمه» . (٨) الوجى : الحفا . (٩) الكلال : التعب والإعياء . (١٠) البازل — من الإبل — : المسن . (١١) الفصيل : ولد الناقة يفصل عن الرضاع . (١٢) المحزول : الذى قطع القتب غاربه . (١٣) السنام : ما ارتفع من ظهر البعير . (١٤) الثقال : البطىء .

وقـد يُرتعَى حَمضٌ[1] وفى الأرض خَلّةٌ ... ويُشرَبُ ماءٌ وهـــو غـيرُ زلالِ

وتسكنُ خفضَ الأرض أُسْدُ خفيّةٍ[2] ... وتسمو الوعـولُ فى رءوس جبـالِ

وما هـــو الإ ذنبُ دهرٍ معـانِدٍ ... يرَى بُرءَ أهـل الفضـل غيرَ حـلالِ

ويارمـا أعطَى الأمانىَّ قـانطـا ... فقـــد تَلقَح العقماءُ بعـــد حِيالِ[3]

* * *

وقال يهنئه بخلاصه من الاعتقال[4] :

إحدَى الكواعب من «بنى نصرٍ» ... شهِـد الظـلامُ لها على البـدرِ

كالبَيْـض تحضُـنه نعـائمه؛ ... بيضـاءُ فى كِلَلٍ[5] من الشَّـعرِ

سـكرَى اللواحظ وهى صاحيـةٌ ... فـدموعهـا فنٌّ من الخمـرِ

ما خِلتُ أنّ بيـاضَ مقلتِهـا ... وسوادَهـا صُحُـفٌ من السِّحـرِ

بسَمتْ وقـــد برزتْ قلائدُها ... فرأيتُ ما فى النحـــرِ فى الثغـرِ

ومن العجائبِ أن تصادف فى الـ ... ـعـــذب الزُّلال لآلئ البحـــرِ

كيف اهتـــديت لحبّ ظـالمةٍ ... وثَبَ الغـــرامُ بها على الصـــبرِ

جمَّشتُها[6] فنبَتْ ، فقلتُ لهـا : ... أهوَيتُ أطلبُ معـــدِنَ التـبرِ؟

---

(١) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عن سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات . (٢) خفية : أجمة من سواد الكوفة تنسب اليها الأسود؛ وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٣) الحيال : العقم . (٤) فى مختارات البارودى : «وقال يمدح ابن فضلان ويهنئه بخلاصه من السجن ويستنجزه وعدا» . (٥) كلل : جمع كلة وهى ما يغطى به الهودج . (٦) جمشتها : داعبتها .

ضُربتْ بأسنمـــةٍ[1] قِبابهـــمُ ... وكأنَّهـا فى ساحة الصـــدرِ

بِيضٌ وسُمـــرٌ فى خيـامهمُ ... ممنـــوعةٌ بالبيـــضِ والسُّـــمرِ[2]

بدم المحبِّ يبـاع وصلُهـــمُ ... فمن الذى يَبتـاع بالسعـــرِ

لو كان غـيرُ الحب جيشَهـــمُ[3] ... ألفيتُهـــم فى جحفـــل مَجْـــرِ[4]

هجروا وهجرهُـــمُ على دَخَـــلٍ[5] ... فـلأجل ذلك طيفُهـــم يَسرِى

وَهَب الظـلامُ لنـا محـاسـنَه ... وأظنُّ مرســلَه بنا يدرى

حتى إذا الإصبـاحُ أيقظـهُ ... ولىَّ يُؤذِّن فيـــه بالغـــدرِ

ياليـــلةً «بالرمـــل» قصَّرهـا ... حـــلُّ العناقِ[6] معاقـــدَ الخُمُـــرِ[7]،

كادت خُطـانا أن تنمَّ على ... آثـــارنا وطُمِسنَ بالأُزرِ،

ورأت كلابُ الحىّ رِيبتَنـا ... فكَرُمن عن نبـح وعن هَرِّ،:

فُضَّت خـــواتيمُ السرور بهـا ... واللهـــوِ حـــتى مطلع الفـــجرِ،

لولا التحـــرُّجُ والغـــلوُّ لمـا ... أُسْميتِ إلا ليـــلةَ القـــدرِ

والليـــلُ عِقْصَتُه[8] قـــد آنتشرت ... ورَمتْ مَدرِاى[9] الأنجم الزُّهرِ

(١) أسنمة : جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير . (٢) المراد بالبيض والسمر الأوليين : الجوارى الحسان ، وبالأخريين : السيوف والرماح . (٣) كذا فى الأصل ولعلها « الحسن » . فحرفت عنها . (٤) الجحفل المجر : الجيش العظيم . (٥) الدخل : الغش والخداع . (٦) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل «العتاب» . (٧) الخمر : جمع خمار وهو كل ما غطى رأس المرأة . (٨) العقصة : الضفيرة . (٩) المدارى : جمع مدراة وهى المشط .

"والنسرُ"(١) قد أعيت قوادمُـــهُ والغـــربُ يجـــذبه إلى وكرِ

وهوتْ من "الجـوزاء" منطقةٌ زهـــراءُ لم تُعقـــد على خصرِ

ورمَى "الثريّا" من معلّقها سبقُ "السِّماك"(٢) وحربةُ "الغَفْرِ"(٣)

فكأنّـها والشمسُ تجمعهـا رهـــطٌ قد ازدحمـــوا على سِرِّ

مثـــل العـــذارى من تعنّفها تســـتصحبُ الدَّبرانَ(٤) كالحـــدرِ

"وهـــلالُها" تحكى آســـتدارتُه عَقـــدَ التمـام لعِـــدّة الشهرِ

وعلى "المجـــرّة" أنجمٌ نُظمتْ مثـــلَ الفقـــار(٥) نُسِقن فى الظهـــرِ

هـــذى حَبابٌ(٦) فـــوق صفحتهـا طـــافٍ، وهذا جدولٌ(٧) يجـــرى

كَيَدِ "ابن فَضْـــلانٍ" غمائمُهـا تغـــدو ببـــذل الوفر أو تسرى

إن حلّ فى بيـــداءَ أو بـــلدٍ نابت سحائبـــه عن القَطْـــرِ

أىُّ المكارمِ قـــد تأبّطهـا وعـــزائمٍ فى ذلك الصـــدرِ؟!

طهُـــرت من الأحقادِ نيّتـــه والقلبُ مغســـول من الغِمْـــرِ(٨)

لامُـــوه فـــيما أتلفتْ يـــدُهُ فـــرأى المحامـــدَ أنفسَ الذُّخرِ

---

(١) النسر : يشير بذلك إلى كوكبين : يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع .

(٢) يشير بذلك إلى كوكبين يقال لأحدهما : السماك الأعزل ، وللآخر : السماك الرامح . (٣) الغفر : ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهى من الميزان . (٤) الدبران : منزل من منازل القمر ؛ ولم تتبين معنى هذا البيت . (٥) الفقار : عظم سلسلة الظهر . (٦) الحباب : ما يعلو على وجه الماء من الفقاقيع . (٧) الجدول : النهر الصغير . (٨) الغمر : الحقد والغل .

إن قال فالسيفُ الحسامُ مَضى أو صال أفنَى الليثَ بالذرِّ

ما إن أرى فى الناس من أحدٍ إلا يُمتُّ اليه بالشكرِ

حتى كأنّ الأرضَ طبّقها بغمائم نشأت من البرِّ

قد مارس الأعداءُ شدّتَه (١) فاستسلموا للبث ذى الأجرى

وكوت مياسمُه (٢) قلوبهم والكىُّ مشفاةٌ لدَى العرِّ (٣)

إنّ الشدائدَ مذ عُنينَ به قارعنَ جُلمودا من الصخرِ

حَمَلَ النوائبَ فوقَ عاتقه حتى رجعنَ إليه بالعُذرِ

وبوائقُ الأيّام (٤) عاديةً لاقَين منه دامىَ الظُّفرِ

لا تنكروا حَبْسا ألمّ به إن الحِسانَ تُصان بالخدرِ

والغمدُ ليس تُفاض بُردتُه إلا على الهندىّ (٥) ذى الأثرِ (٦)

إن حجّبوه فكلُّ ذى شرفٍ يعترُّ بالبوّاب (٧) والسترِ

يغشى الكسوفُ الشمسَ إذ عظُمتْ ويعافُ ضوءَ الأنجم الزُّهرِ

قد يستسرُّ (٨) البدرُ ليلتَه ليتمَّ ليلةَ رابع الشهرِ (٩)

---

(١) أجر : جمع جرو وهو شبل الأسد . (٢) المياسم : المكواة يوسم بها الحيوان .

(٣) العر : الجرب . (٤) بوائق : جمع بائقة وهى الداهية . (٥) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (٦) الأثر : جوهر السيف ورونقه . (٧) فى الأصل «النواب» وهو تصحيف . (٨) استسر : اختفى ليلة أو ليلتين فى آخر الشهر . (٩) كذا بالأصل ومختارات البارودى ومراده : الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

أوليس «يوسفُ» بعد محنته (١) نقلوهُ من سجن إلى «مصر»

لمرقتَ منها مثلما ما انكدرت (٢) فتخاءُ (٣) ترمى الطيرَ بالذُّعرِ

وصبرتَ حتى انجابَ غيهبُها؛ إنَّ النجاءَ عواقبُ الصبرِ

تُنسى مرارةُ كلِّ نازلةٍ بحلاوةٍ فى النهى والأمرِ

وإذا الأغانى حنَّ مزهرُها (٤) ولَّى حنينُ النابِ (٥) والبكرِ (٦)

وإذا تولَّى الشىءُ تكرهُه فكأنَّه ما دار فى سِرِّ

حمدا وشكرا للإله على ما قد حباك وواجب النَّذرِ

وكأننى بك فوق غاربها متسنِّما فى ذروة الفخرِ

يرمى العلاءُ إليك مقودَه لا ينثنى بغماغم (٧) الزَّجرِ

إن العظائمَ ربَّما بُلغت بالهَوْن لا بالكرِّ والفَرِّ

وكذا الألوفُ على تفاوتها محسوبةٌ بأناملٍ عَشْرِ

أنا من يُغالِى فى محبّتِه وولائه فى السرِّ والجهرِ

ما ذاق طعمَ النوم ناظرُهُ حتى البشيرُ أتاه بالبشرِ

ولك الأيادِى لستُ أذكرها إلا يَجِيشُ بحمدها صدرى

هى نِعمة ليديك أشكُرها طولَ الزمان وآخرَ العَصرِ

---

(١) يشير : الى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وهى أشهر من أن تذكر . (٢) انكدرت : انحدرت . (٣) الفتخاء : العقاب . (٤) المزهر : العود . (٥) الناب : الناقة المسنة . (٦) البكر : الفتىّ من الإبل . (٧) غماغم : جمع غمغمة وهى الصوت .

قـد كان وعدٌ منـــك أقسمَ لى ... بعلاك : أنك مصـلحٌ أمرى

وإخال أنّك لستَ ناسيَـهُ ... لكنّنى آستظهـرتُ بالذّكر

قـــد حَزَّت الأيامُ فى كبِـــدى ... وأطـافَ بى مسٌّ من الضُّرّ

وسئمتُ عَتبى كلَّ نائبـة ... ومِلْتُ ما أشكـو من الدهرِ

وإذا جذبتَ إليـك من ضَـبِعى (١) ... طاعنتُهـا بأسـنَّةِ القهـرِ

وصرفتَ عنّى كلَّ نائبـةٍ ... صرفَ الهمـوم سـلافةُ الخمـرِ

أهـــدت لك النَّعماءُ أنفَسَهـا ... من عانس (٢) أو عاتقٍ (٣) بِـكرِ

وخَطتْـك أحداثُ الزمانِ ولا ... برِحتْ رِباعَك (٤) ديمـةٌ تجـرِى

لولاك فى الدنيا لمـا آعترفوا ... للأكرمين بهـا سـوى الذكرِ

وكتب إليه يعزّيه عن أخيه :

عزاءً، فمـا يصنع الجازعُ ؟ ... ودَمْع الأسى أبدا ضـائعُ

بكَى الناسُ من قبلُ أحبابَهم ... فهـل منهُـمُ أحـــدٌ راجـعُ ؟!

عرفنا المصائبَ قبـلَ الوقوع ... فمـا زادنا الحـادثُ الـواقعُ

---

(١) الضبع : — بسكون الباء — العضد . وربما حركت للضرورة . (٢) العانس : الجارية فاتت سن الزواج . (٣) العاتق : التى لم تتزوّج ؛ وقيل : هى التى بين الإدراك والتعنيس ؛ أو هى الجارية أول ما أدركت ، وفى الأصل «علق» وهو تحريف . (٤) رباع جمع ربع وهو البيت .

ولكنّ ما ينظـر الناظرو ... نَ ليس كما يسمعُ السامعُ

يُدَلَّى ٱبنُ عشرين فى لحـدهِ ... وتِسعون صـاحبُهـا راتعُ

وفى رأس ذا أسـودٌ حالكٌ ... وفى فـرعِ ذا أبيضٌ ساطعُ

ليعـلم من شكَّ أن المنـو ... نَ هـوجاءُ[1] ما عنـدها شافعُ

وإن هُنَيـدةَ[2] من عاشَهـا ... لفى عيشـةٍ بعـدها طامعُ

فقل لىَ : ما السُّر فى ذى الحيا ... ة تُهـوى وطائرُهـا واقـعُ ؟

يهيم عليها الكسوبُ الحريصُ ... ويعشقهـا الساجدُ الراكعُ

وللمرء، لو كان يُنجى الفـرا ... ر، فى الأرض مضطرَبٌ واسعُ

ومَن حتفُـه بين أضلاعـه ... أيمنعـه أنّه دارعُ[3] ؟

وكلُّ أبىٌّ لداعى الحِمـام ... متى يـدْعُه سـامعٌ طـائعُ

يسـلِّم مهجتَـهُ سـائمـا[4] ... كما مـدَّ راحتَـه البـائعُ

وحى « الضَّيْزَن[5] » عن متنـهِ ... و« حسَّانُ » أسلمه « فارعُ »

---

(١) الهوجاء : الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٢) هنيدة : مائة سنة . (٣) الدارع : الابس الدرع . (٤) السائم : عارض السلعة لبيعها ؛ وفى الأصل هكذا «ساعا» . (٥) كذا بالأصل وقد كتب أمام هذا البيت على الهامش « فى الأصل » والمراد أن ناسخ الديوان لم يوفق الى صحة هذا البيت فاضطر الى أن ينبه عنه ؛ والضيزن : ملك الجزيرة وكان له حصن منيع يقال له : الحضر — بفتح الحاء وسكون الضاد — . وفارع : حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ومن هذا الشرح الوجيز يمكننا أن نقول : لعل الشاعر أراد

رَمَى "الضَّيْزَنَ" "الحَضْرُ" عن مَتْنِهِ * وحَسَّانُ أَسْلَمَـهُ "فارِعُ"

وفى الأصل «فارع» وهو تصحيف .

وهبّت على «تُبّع»(١) نفحةٌ فلم يبقَ من رهطِهِ تابعُ

ولو أنّ من حَدَثٍ سالما لما خَسَفَ القمرُ الطالعُ

ولا صِيدَ فى شَرَكِ النائباتِ فتًى لشروطِ الفتَى جامعُ

غلامٌ كأنبُوبةِ السمهرى(٢) تُعيي اذا رامها الصادعُ

شمائلُهُ مثلُ نَوْرِ الرّيا ضِ نَمنَمها باكرٌ هامعُ

تكاد تبكّى عليه الغصونُ اذا ناح قُمريُّها الساجعُ

عجبتُ لذاك الحُلِيِّ المصوغِ لنا كيف يُفسِده الصانعُ

تخرّمه ورُواءُ(٣) انشبا بِ لم يدرِكم طولُهُ الذارعُ

على حين أُفرِغَ فى قالَبِ الـ جمال، ورونقُه الطابعُ

وكيف توقّى(٤) الفتى ما يخافُ اذا كان حاصدَه الزارعُ

ومن فوقِهِ ظُلَلٌ كالغمامِ ومن تحته جبلٌ مانعُ

وأقرانُ «فضلانَ» فى عزّةٍ يدور بها الفلَكُ السابعُ

ولو شاء قصّر باعَ الردى فلم يرمِهِ الساعدُ النازعُ(٥)

ولكنّه جاء سائلا فجاد به صدرُه الواسعُ

أأسرفتَ فى الجودِ حتى آستبا حَ أحبابَك الزمنُ الخادعُ ! !

(١) تبع : واحد التبابعة وهم ملوك اليمن . (٢) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٣) الرواء : الحسن والرونق . (٤) فى الأصل « توق » وهو تصحيف . (٥) النازع : الذى يمد القوس للرمى .

✦
✦ ✦

وقال يعزّيه عن أخته :

يَرُوحُ ويغـدو علينا الحِمامُ ... وكلُّ النواظرِ عنـه نيامُ

على شِيَمِ النِّعَـمِ الراتعـا ... تِ يُعقَر هـذا وهـذا يُسامُ

ولا فـرقَ ما بيننا فى القيا ... سِ إلّا العقولُ وهذا الكلامُ

كفى بالممـات لنا مُقنيًا ، ... فَمن أجل ماذا تُراشُ السهامُ ! !

وتُعتقَـلُ الذابلاتُ (١) الطِّوالُ ... ويُحملُ ذو الشَّفرتَين الحُسامُ ! !

كأنّا خُلقنا لرَيبِ المنونِ ... شرابٌ يَلَذُّ به أو طَعـامُ

ستُطوَى مسافةُ مَن عمـرُهُ ... يسـيرُ صباحٌ به أو ظـلامُ

ليالٍ تمرّ كمرِّ السـحا ... بِ والصبحُ فيهنّ برقٌ يشامُ

جناياتُهنّ علينـا البِـلَى ... وأعذارُهنّ إلينا السَّقامُ

لها كلَّ يوم بنـا وقعـةٌ ... فهـلّا تناوبَ عامٌ وعامُ ؟

نلوم الطبيبَ ومـا جُرمُـهُ ... وداءُ المنيّـة داءٌ عُقـامُ؟

إذا فذلكَ (٢) العيشُ عمرَ الفتَى ... فسبّانِ ما خلفه والأمامُ

وما يعصِمُ المرءَ من حتفـهِ ... "عِراقٌ" يَحُلُّ به أو "شآمُ"

بأىِّ حِمًى مانعٍ يُستبحارُ ... إذا لم يُجِرْ "زمزمٌ" "والمَقامُ" !

---

(١) الذابلات الطوال : الرماح . (٢) فذلك ، : فذلك الحاسب حسابه أى أنهاه وفرغ منه

ظِبـاءُ البطاح لهـا مَصرَعٌ وعُصْمٌ[1] لهـا بالجبالِ اعتصامُ
إذا الدَّوحُ[2] مالت به العاصفاتُ فلا ريبَ أن ستميلُ الثُّمامُ[3]
وهل نافعٌ لك طولُ الجماحِ وفى يدِ صَرفِ الزمانِ الزِّمامُ؟!
يحـدِّثُنا بالفَناء البقـاءُ ويُخبرنا بالرحيـلِ المقـامُ
بهذا قضى الدهرُ فى أهـلِهِ تمـرُّ فِئامٌ[4] وتأتى فِئـامُ
يعلّلنـا برَضـاع المنَى وعمّا قليـلٍ يكـون الفِطامُ
نذُمُّ حـذارا بلوغَ المشيبِ كأنَّ لعصرِ التصـابى ذِمامُ
وما يحـذَر اليَفَنُ[5] العُـذْمُلِ[6] يُّ إلا الذى يتقيـه الغـلامُ
عذَرنا الزمانَ بمـوت اللئامِ فما عذرهُ أن يمـوتَ الكرامُ؟
علينا يحـرِّمُ قتـلَ النفوس فكيف أُحِلَّ عليـه الحـرامُ
مَناسـكُ منهوجةٌ[7] بالـوجَى يُجَبُّ[8] على إثرهن السَّنامُ
لعمرُك ما المـرءُ إلا خَيالٌ ولا لذّة العيش إلا منـامُ
ألا أيّهـذا اللبيبُ اتئـدْ ومثـلُك من رامَ مالا يرامُ
ترفّق رويدكَ ، إن السّـلوّ مُراحٌ اليـه يعـودُ الأنامُ
وعادتك الصبرُ إن قعقعتْ صواعقهنَّ الخطوبُ الحِسامُ

(١) عصم : جمع أعصم وهو تيس الجبل يعتصم به . (٢) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .
(٣) الثمام : نبت ضعيف . (٤) الفئام : الجماعات . (٥) اليفن : الشيخ الكبير الفانى .
(٦) العذملى : كل مسن قديم . (٧) الوجى : الحفا من كثرة السير . (٨) يجب : يقطع .

تمـــرُّ عليـــك مرورَ الريا ح زاحمها «يَذبُلٌ» أو «شَمامُ»(١)

تلوثُ(٢) الرداء وتُرخى الإزا ر فى موقفٍ شُدَّ فيه الحِزامُ

يعزِّيك عقـلُك عمّن مضى وعلمُـك أن ما لشىء دوامُ

ونفسُك أبلغُ من واعـظٍ وأكبرُ ان يزدهيها الغـرامُ

وأنت تعـلِّم كيف الثبا تُ إن زعزعتنا الخطوبُ الجِسامُ

تحمّـلُ أثقالَهـا مُهْـوِنا وللـبُزُلِ(٣) لو حَمَلتْهـا بُغـامُ(٤)

إذا الحزن لم يُعد الذاهبينَ فـما هو إلا الجـوى والأثامُ

فراقُ الشقيقـة أشجى فراقٍ أذيلت(٥) عليه الدموعُ السِّجامُ

وفقـدُ الفتى صِـنوَه فادحٌ على الحزن فى مثـله لايلامُ

ولكن يريك الثنايا الجليـدُ(٦) وفى حبّة القلب منه ضِرامُ

وعينُـك إن غلِطتْ بالبكاء فقـــد علّمتها يداك الغمامُ

فسَقيًـا لمودَعةٍ فى الصَّعيـدِ(٧) تُعزَّى الخدورُ بها والخِيـامُ

ولم نـــر دُرًّا ولا زهرةً من التُّرب أصدافُها والكِمامُ

أنلتمس السُّحبَ تسقى ثراكِ وجُود أخيك الغيوثُ الرِّهامُ؟(٨)

وتُسحَب فيـه ذيولُ النسيم ومن عَرفِهِ(٩) تَستَمِدُّ المُـدامُ

(١) يذبل وشمام : جبلان . (٢) تلوت : تلف . (٣) بزل : جمع بازل وهو الجمل المسن (٤) البغام : صوت الإبل فى حنينها . (٥) فى الأصل «أذبت» وهو تحريف .
(٦) الجليد : الصابر . (٧) الصعيد : التراب . (٨) الرهام : المنهمرة بالماء .
(٩) العرف : رائحة الطيب .

لِفقـدانها ما تحنُّ القِلاصُ (١) وتندبُ فوق الغصون الحَمَامُ

فيا جبل "الطُّورِ" لافارقتكَ سحـائبُ يُشفَى بهنَّ الأُوامُ (٢)

يَقِفْنَ حوافـلَ فى عَرصتيـ (٣) ـك حتّى تُساوى الوِهادَ (٤) الإِكامُ (٥)

تخصُّك بالماخضاتِ العشارِ (٦) وغـير رباكَ لهنَّ الجَهـامُ (٧)

ولو كنتِ آئبةً بالخصام لمـا عزَّ فينا الخميسُ (٨) اللُّهامُ

وخيـلٌ تَكَدَّسُ (٩) بالدارعين (١٠) مقـابرُ فُرسانهنَّ القَتـامُ (١١)

ولكنهـا حالةٌ فـرضُهـا علينـا تحيّتُنـا والسـلامُ

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

عساهـا تنجـلى وخلاكَ ذمٌّ (١٢) وماءُ الوجه فى الوجَناتِ جَمٌّ (١٣)

ولم يَجـرِ السؤالُ على لسانى ولا ندَّى يدى بحـرٌ خِضمٌّ

سيحرُسنى التجمُّل من أناس هُمُ عنّى بداء البُخْـل صُمٌّ

---

(١) القلاص : الإبل الفتية واحدها قلوص . (٢) الأوام : العطش الشديد . (٣) العرصة : الفضاء أمام الدار . (٤) الوهاد : جمع وهد وهو ما انخفض من الأرض . (٥) الإكام : جمع أكمة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الماخضات العشار : التى دنا ولادها بعد عشرة أشهر ، والمراد بها السحائب المنهمرة بالماء . (٧) الجهام : السحاب الأبيض لا ماء فيه . (٨) الخميس اللهام : الجيش من خمس فرق ، واللهام الكثير كأنه يلتهم كل شىء . (٩) تكدس : يركب بعضها بعضا من شدة ازدحامها . (١٠) الدارع : لابس الدرع . (١١) القتام : الغبار يثار فى الحرب . (١٢) خلاك ذم أى لا يلحقك الذم . (١٣) الجم : الكثير .

حمانى زادَهـم بطنٌ خميصٌ[1] على الجُـلَّى وعِرنينٌ[2] أشَمُّ
فقد سقَّيتُ بَرْدَ اليأسِ منهم فـؤادا من رجائهمُ يُحَمُّ
وكيف أكلِّف المعروفَ قوما سـواءٌ عنـدهم مدحٌ وذمُّ
تُلاقِى المكرماتُ بهم هـوانا كما يلقَى بذى الرَّوقِ[3] الأجَمُّ[4]
اذا ضحِكوا الىَّ رأَوْه بِرًّا أكلُّ الـبِرِّ تقبيـلٌ وضمُّ؟!
يرَوْنَ عقوقَ ما كنزَوا حراما هل العَرَض المسومُ أبٌ وأُمُّ
وكم من شيمـةٍ دفراءَ[5] فيهم تفـوح لو انّ أخـلاقًا تُشَمُّ
ستأتيهم قوافٍ شـار داتٌ بأنسـاعِ[6] المخـازى لا تُـزمُّ
مقالٌ فى النفوسِ له دبيبٌ وبعض القول فى الأعراض سُمُّ
فإعرابُ الفَمِ المِنطيقِ فتحٌ متى أضحى بناءُ الكفّ ضمُّ

* * *

وقال فى طائفةٍ من أهل الزمان :

أيا بؤسَ قومٍ حسانِ الشخو صِ لكن حُشُوا بطباع النَّعَمْ[7]
يزينيهمُ فى جفون الغـبىِّ حُـلِىُّ الغِنَى وثيـاب النِّعَـمْ
حدوناهمُ بفصيح القـريضِ فمـا ٱستحسنوا منهُ غـيرَ النغمْ

(١) الخميص : الضامر . (٢) العرنين : الأنف . (٣) الروق : القـرن .
(٤) الأجم : — من الكباش — مالا قرن له . (٥) الدفراء : المنتنة . (٦) أنساع : جمع نسع وهو حبل عريض تشد به الرحال . (٧) النعم : الإبل — والمراد بها هنا البهائم — .

وكان الذى خاض أسماعَهم (١) سواءً ونقراتُ زِير (٢) وبَمّْ

وقد جعلوا عذرَ حرماننا الـ ـثّ ـوابَ خلوّهُمُ من فَهمْ

وهبْ أنهم جهلوا ما نقولُ فأين السخاءُ وأينَ الكرَمْ!

أغرَّهمُ كَتبُنا فى الرِّقا ع : نحنُ العبيدُ ونحنُ الخدَمْ!

ومن دون ذلك تُشوَى الوجوهُ (٣) وتُقذَى العيونُ (٤) ويُفرَى الأدَمْ

فإن هم أنابوا ببذل النوالِ وصلنا الثناءَ كوصل الرحِمْ

وإن هم أصرُّوا على لؤمهم وهبنا ثناياهمُ (٥) للندَمْ

اذا جاوزوا الحدّ فى منعهم خلعنا الحياء وجزنا اللِّمَمْ (٦)

وقال :

تمدحُ "عمروا" وتُريد رِفدا ياما خضَ الماءِ عَدِمتَ الزُّبْدا

رأيتَ منه شارةً (٧) وقَدّا ومِشوَذًا (٨) مُفوَّفا (٩) وبُردا (١٠)

نخلتَ إنسانا فكان قِردا يا ربما ظُنّ السرابُ وِردا

---

(١) الزير : الدقيق من أوتار العود . (٢) البم : الغليظ من أوتار العود . (٣) يفرى : يشق . (٤) الأدم : الجلد . (٥) الثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم ، — ثنتان من فوق وثنتان من أسفل — ، وفى الأصل هكذا « ساناهم » (٦) اللمم : صغار الذنوب : (٧) الشارة : الحسن . (٨) المشوذ : ما يعتم به . (٩) المفوف : ما فيه خطوط بيض على الطول . (١٠) البرد : الثوب .

وقال :

زمانٌ فاسدُ النظـرِ مُصاحبهُ على خطَرِ
وقـومٌ إن عَددتُهُم فليس القومُ من نفرى
سمعت بهم فغرُّونى وليس الخُبْرُ كالخَبَرِ
عجِلتُ إلى مديحهمُ وذلك شيمةُ البَشَرِ
فما فهموا مدائحَهم ولا قضّوْا بها وطَرى
نخِلتُ قصائدى حُللا مُجيَّبـةً[1] على بقـــرِ

وقال :

وزيرٌ رَضِى من بأسِـه وآنتقامِـه بطَيِّ رِقاعٍ حشوُها النظمُ والنـثرُ
كما تسجع الوَرقاء فوق غصـونها وليس لهـا نهىٌ يطـاع ولا أمرُ

وقال :

تُعابُ معاشرٌ وكَلوا البرايا إلى تدبير ذى رأيٍ أفينِ[2]
وماغلِطوا، رأَوا سفهَ الليالى فداووْا بالجنون من الجنونِ

---

(١) مجيبة : مجعولا لها جيوبا . (٢) الأفين : الضعيف .

* * *

وقال :

نُبِّئت أنَّ فلانا قد شحا فمَه (١) فقلتُ : مهلًا ، كذاك العَيرُ (٢) نَهّاقُ

من أين للنَّبَطيِّ (٣) الفَـدْم (٤) معرفةٌ هل يُنبِت النَّبعةَ (٥) الصفراءَ رُستاقُ (٦)

وكيف يفهَم قلبٌ دون فِطنتِه من البـلادةِ أبوابٌ وأغـلاقُ (٧)

ياثورُ ! خلِّ لروضِ الحَزنِ (٨) زهرتَهُ فإنّ مرعاكَ قُـلّامٌ وطُبّـاقُ (٩)

ولا تراعِ نجوم الفضلِ ترصدُها فغيرُ خافٍ على الحسّاب أرزاقُ

نبذت عِرضَك نبذَ النعلِ مُخلَقةً (١٠) وكيف يُلبَسُ ثوبٌ وهو خُرّاقُ (١١)

* * *

وقال :

زوَّج اللهـوُ بابنـةِ العنقـودِ خاطبًـا بالبسيط أو بالنشـيدِ

وتمام الإملاكِ (١٢) فى شاهـدَىْ عَد لٍ هما فى حضور نايٍ وعُـودِ

فإذا ما جمعتَ ذاك فقد فـز تَ بعَقـدٍ يسودُ كلَّ العقـودِ

---

(١) شحافه : فتحه . (٢) العير : الحمار . (٣) النبطى : منسوب الى جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم — ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم — . (٤) الفدم : البعيد الفطنة والغبي عن الكلام . (٥) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . (٦) الرستاق : السواد وهو الريف — ومنه : سواد العراق ، لما بين البصرة والكوفة ولما حولهما من قراهما — . (٧) أغلاق : جمع غلق وهو ما يغلق به الباب . (٨) الحزن : ضد السهل ورياضه أنضر وأزهر . (٩) القـلام والطباق : ضربان من الشـجر . (١٠) المخلقة : البالية . (١١) الخـراق : الكثير الخروق . (١٢) الإملاك : التزويج .

وقال :

يا شهوةَ النومِ وما لذَّتُهُ ... جسمٌ تغشَّت قلبَهُ غفلتُهُ

هل هو إلا ميتةٌ عُجِّلتْ ... وإنما قد قُربت رجعتُهُ

وقال فى الغزل :

يسائلنى مـا حاجتى فى ديارِه ... غزالٌ بأوطار الفـــؤاد عليمُ

ستشهدُ لى عيناه أنهما الهوى ... ومبسمُه أنّى عليـه أحـــومُ

أتُظهِرُ فى عرفانِ مابى جهالةً ... وما أحدٌ فى الناس منك سليمُ

وكيف يداوِى داءَ قلبِىَ باخلٌ ... على طَرفِهِ بالبُرء وهـــو سقيمُ

أرقّع فيك الودّ وهـو ممـزّقٌ ... وأرعَى ذمامَ العهدِ وهو ذميمُ

وفى دون مالاقيتُ للمرء زاجرٌ ... ولكنَّ عِرْقٌ (١) فى الوفاء قـديمُ

وقال فى مثله :

يقولون : راجعْ صاحبَ الرأى وآطّرِحْ ... هواكَ فمـا تُغنى الدمـوعُ السواجمُ

ولو أنه بالعقـــل يَعشَق عاشـــقٌ ... لمـا ازدوجتْ أطيارُهـا والبهـائمُ

أليست عـــلى أُلّافِهـا بجهـالةٍ ... يحـاربُ شِـــبْهٌ شِبهَـهُ ويخـاصِمُ

(١) فى الأصل هكذا « ولا ز » .

وقال فى مثله :

« بالجِزْعِ » ذى السَّمُراتِ[1] لى قمرٌ غلبَتْ عليه سحائبُ الأُزُرِ[2]

أرسلتُ أنفاسى فما ٱنقشعتْ عنه وجاد الطَّرفُ بالمطرِ

وقال فى البَرَد ٱرتجالا :

ياطيبَ يومٍ حَجبتْ شمسَهُ سحائبٌ تُمطِرُ كافورا

لما توارت تحت أستارِها مجَّت لنا من ريقها نورا

وقال فى الأكثر من أهل الزمان :

إذا كان هذا الجهلُ قد شاعَ فى الورى فذو العلم فيما بينهم هو جاهلُ

فإن قال مالم يعرفوا قدرَ لفظهِ ولا قيمةَ المعنَى ، فما هو قائلُ

وإن هو بالصمت ٱستجارَ لسانُهُ ففى الصمتِ ذو نقصٍ سواءٌ وفاضلُ

فليس له غيرَ التجاهل ملجأٌ وأصعبُ شىء عالمٌ متجاهلُ

وكنّا سمعنا فى الزمان «بباقلٍ» وهذا زمانٌ كلُّ أهليهِ « باقلُ »[3]

---

(١) السمرات : جمع سمرة وهى شجرة من العضاه تعمى البيوت بخشبها — وليس فى العضاه أجود خشبا من السمر — . (٢) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٣) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

***

وقال :

هززناكُمُ بالمـــدحِ نَجنِي ثمارَكم (١) ونحلِبُ من أخلافِ وُجدِكُمُ (٢) وَفْـــرا

فلم نحظَ من رِبحِ الثناءِ بطائلٍ فرُدُّوا كرأس المـال أو بعضه شِعرا

فإن أنتمُ لم تنصفـونا فإننـا (٣) سنقتصُّ من أعراضكم ذلك الـوِترا

إذا المنـع والإعطـاءُ كان خيـارُه (٤) إليـكم تخيّرنا المذمّةَ والشكـرا

فـلا تحســبوا أنّا إذا نلـتم الغنَى ولم تُشركونا فيـه نُوســعكم عـذرا

***

وقال فى مثله :

بِتنا على «الزّوراء» نهـدِمُ كلَّ ما بَنَتِ القـلوبُ من الأمانى الزُّور

لمـا لقينا من تُجاهِك عصبةً (٥) نضحَتْ بشكواها ذَفَارَى العِـيرِ

إنّ امرأً سلـكتْ إليـك ركابُهُ بِفًـا لقـد دلّى بجبـلِ غرورِ

***

وقال فى سحابٍ وبرقٍ ومطرٍ وبَرَد :

غـــرّاء تحسبها غُمودًا كلّمـا شهَـرَتْ بوارقُها بها أسيـافا

---

(١) أخلاف : جمع خلف — بكسر الخاء — حلمة الضرع . (٢) الوجد — مثلثة الواو — : الغنى والسعة . (٣) الوتر : الثأر . (٤) فى الأصل «المدح» ولعله تحريف (٥) ذفارى : جمع ذفرى وهى فى الحيوان من لدن المقعد الى نصف القذال ، وقيل : هى العظمة خلف الأذن .

كُسِيَ الثَّرَى لمّـا هَمَتْ فظننتُها بالحَـزْنِ[1] عِيرا أُوقرت[2] أفوافا[3]

وتناثرت دُرَرا عليـه دموعُها لمـا جَمَدن خلتُها أصدافا

وقال :

قالوا : ذر الشعرَ وكن عائذا بالله يصرفْ عنك شيطـانَهُ

فى الناس جَهلٌ وبهم شِـرَّة لأجـل ذَيْنِ صفّـــروا شانَهُ

لم يفقهوا اللفظ ولم يفهموا الـ ـمعـــنَى ولا يَدرون ميزانَهُ

فكلُّهـــم يُنكر رُجحانَه وكلُّهـــم يجهـــلُ نقصانَهُ

قلتُ : أمن أجل عمًى فيهـمُ لا يُظهـــر المعـــدِنُ عِقيانَهُ!

هبُـــوا لسانى راعيـا ناعقـا دعا بمـا تجهـــلُه ضـانَهُ،

قـد يُطـربُ القُمرىُّ أسماعَنا ونحن لانفهـــم ألحـانَهُ

وقال :

أحاط بىَ العُـــذّال حتى صرفتُهم بأنّ الهـــوى طبعٌ ولا يُنقَلُ الطبعُ

رأَوا كلَّ ما أبصرتُه أنا عاشـــقٌ ومـا تسمع الأذنانِ ليس له نفـــعُ

فقالوا ــ وقلبى ليس يقبَل نصحَهم ــ : أخـــونا له عينٌ وليس له سمعُ

---

(١) الحزن : ضد السهل ؛ واسم موضع . (٢) أوقرت : حملت وأثقلت . (٣) أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن ، أو هو قطع القطن .

وقال فى الشَّيب :

تخاوصت(١) الحسناءُ عن شَيب لِمَّتى(٢) ولم تلتفت إلى سنىّ القـــلائلِ

وليس بياضا مارأت من شُـعاعهِ ولكنّـه نُور النُّهى والفضـائلِ

وقال يعاتب صديقا له :

كان الوداد منغّصـا(٣) لوُشاتنا ولو ٱرتمـــوا ما بيننـا بفواقـرِ(٤)

تُخطى ظواهرُنا فنُغمِضُ(٥) عيننـا عنها ونطمحُ(٦) فى صـوابِ ضمـائرِ

متحلِّلِي عُقَـــد الضـغائنِ كلَّمـا نصبَ الحسودُ لنـا حِبالة ماكرِ

أيامَ لا عِرسُ الإخاء بطـالقٍ منّـا ولا أُمّ الصـــفاءِ بعـاقرِ

فالآن أقلقنا الحسودُ كما ٱشتهى فينا ونفّـــرنا صـــفيرُ الصـافرِ

وكأنّمـا كانت وسـاوسَ حالم تلك المودّةُ أو فكاهـةَ سامرِ

ومـــتى ثكلت مودّةٌ من صاحبٍ فلقد عدِمت بهـا ســوادَ الناظرِ

ولذاك نُحْتُ على إخائك مثلمـا ناحَ الحمامُ على الربيـــع البـاكرِ

هيهات لستَ بواجدٍ من بعدها مِثــلى ببــذلِ بضـائعٍ ومتـاجرِ

---

(١) تخاوصت : غضت من بصرها .
(٢) اللة : شـعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
(٣) فى الأصل « مفصصا » .
(٤) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تكسر الفقار وهى عظام الظهر .
(٥) هذا الشطر مشوّه فى الأصل ؛ وفى مختارات البارودى هكذا :
* تحطى ظواهرنا فيغمض عتبنا *
(٦) كذا بالأصل وتحتمل أن تكون « ونطمع » .

لا تَنبِذ الخُلّانَ حولك حَجْرةً (١) فالعينُ لاتبقى بغير محاجرِ

ما كنتُ أحسبُ أنّ صبغةَ ودِّنا مما تحولُ على الزمان الغابر

ولو أنى حاذرتُ ذاك فديتُها (٢) منه بلونِ ذوائبى وغدائرى

لكنّ كلَّ غريبةٍ وعجيبةٍ (٣) من فعلِ هذا المَنْجَنونِ الدائرِ

فلئن أقمتَ على التصارُم (٤) لم تجدْ ريّا سِوى عَتبِ الحبيب الهاجرِ

وإن استقلتَ أقلتُها وجزاؤها منّى مَثوبةُ تائبٍ من غافرِ

حتى ترى سُحُب الوصال معيدةً (٥) ذاك الهشيمَ جميمَ روضٍ ناضرِ

إن الغصونَ يعودُ حُسنُ قَوامِها (٦) من بعد ما مالت بهزِّ صراصرِ

أنا من علمتَ إذا المناطقُ لجلجتْ ألفاظها أو غامَ أُفْقُ الخاطرِ

ما بين ثغرِى واللّهازِم (٧) بَضعةٌ هزِئتْ بشِقشقةِ الفنيقِ (٨) الهادرِ

متحكّمٌ فى القول ، يلقُط دُرَّه غوّاصِ ولو من قعر بحر زاخرِ

واذا نثرتُ سمَت بلاغةُ خاطبٍ واذا نظمتُ علتْ فصاحةُ شاعرِ

لى فى مطايا الفضلِ (٩) كلُّ شِملّةٍ أبدا أرحّلها لزادِ مسافرِ

كم موردٍ عرضَ الزُّلالَ لمشربى روّعتُه وجفعتُه بمصادرى

---

(١) حجرة : ناحية . (٢) ذوائب : جمع ذؤابة وهى منبت الناصية من الرأس .
(٣) المنجنون : الدولاب . (٤) التصارم : التقاطع . (٥) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٦) صراصر : جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب والبرد . (٧) اللهازم : جمع لهزمة وهى مجتمع اللحم بين المأضغ والأذن . (٨) الفنيق : الجمل المكرم لا يركب لكرامته على أهله . (٩) الشملة : الناقة المسرعة .

إن رثَّ غِمدى لم ترِثْ مَضاربى ... أو فُلَّ حدّى لم تُفَلَّ بصائرى

تأتى جيادى فى الرِّهان سوابقا ... وجيادُ غيرى فى الرعيلِ (١) العاشرِ

ومجالسُ العلماء حشوُ صدورها ... أنا ، والذُّنابَى للجهول الحائرِ

إن قال أقوامٌ علىَّ مَنافصا ... لم يضرُر الحسناءَ عيبُ ضرائرِ

لو لم تكن فى وسط قلبى حَبَّةً ... لسلوتُ عنك سُلوَّ بعضِ ذخائرى

ولقلتُ : ما هذا بأوّلِ نافضٍ ... عهدا ولا هذا بأوّلِ غادرِ

لكن حللتَ من الفؤاد بمنزلٍ ... أصبحتَ فيه ربيبَ بيتٍ عامرِ

شِيَمِى على جَوْر الزمان وعدلِه ... أنى أقولُ : لَعًا (٢) لرِجلِ العاثرِ

* * *

وقال يستهدى بعضَ أصدقائه مدادا :

هل فى جُنوبِ «اللِّوى» وجدٌ فأطربَهُ ... بأنَّةٍ أرسلَتْها حَنَّةُ العِيرِ؟

أم روضةُ الحَزنِ من دمعى على ثقةٍ ... فلا تحيِّى حيَا الغُرِّ (٣) المباكيرِ

ومن يكن غرّه فى الحبّ غادرُه ... فقد هَوِيتُ ولُبِّى غيرُ مغرورِ

وما ركبتُ الهوى إلا وقد علمتْ ... نفسى بما فيه من هول وتغريرِ

أغشَى الخيامَ بذلٍّ ليس يطردُه ... لَقتُ الخدودِ وإعراضُ الأساريرِ (٤)

---

(١) الرعيل : القطعة القليلة من الخيل .

(٢) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش .

(٣) الغر المباكير : السحاب تمطر فى أول الوسمى .

(٤) فى الأصل « الأساوير » وهو تحريف .

دون الأمانىِّ فيهم كلُّ لاذعةٍ ... والشَّهدُ من دونه لسعُ الزنابيرِ

ما للزمان تُحلِّى لى خدائعَهُ ... أكلَ المُرارِ(١) بأنواعِ الأزاهيرِ

لا يَتبع العينَ قلبى وهى تابعةٌ ... وكيف طاعةُ ذى أمرٍ لمأمورِ

وصاحب لا يدُ التجريب تنقُدُه ... ولا سبائكُهُ تصفو على الكِيرِ(٢)

يسىءُ حتَّى اذا فاحت إساءتُه ... رمَى وراء الخطايا بالمعاذيرِ

تركتهُ بعبَاءِ الغِلِّ مشتملا ... يُكنُّ للغيظ جُرحا غيرَ مسبورِ

حاشَ الذى شفَّ لى عن كلِّ خالصةٍ ... كأنَّ كَشحيْه صِيغا من قواريرِ(٣)

لا يحتبى ببيوت النافقاءِ(٤) ولا ... يروح مشتملا ثوبا من الزورِ

أيابنَ ودِّى انتسابا مالَهُ رحِمٌ ... إلا الذى فيك من فضلٍ ومن خِيرِ،

إليك أشكو مشيبا لاح بارقُهُ(٥) ... فى فرع دهماءَ تجرى بالأساطيرِ

كانت مَفارِقها مسكا مضمَّخةً ... فما لها بُدِّلت منه بكافورِ

ومقلةً عُهِدتْ كحلاءَ مرَّهها(٦) ... طولُ البكاءِ على بِيض الطوامِيرِ(٧)

كانت دجَى حسَد الإصباحُ لِمَّته(٨) ... فجزَّها بحسامٍ منه مشهورِ

---

(١) المرار : شجر اذا أكلته الإبل قلصت مشافرها لشدة عفوصته . (٢) الكير : زق ينفخ به الحداد . (٣) القارورة : الزجاجة . (٤) النافقاء : ناحية جحر الضب التى يخفيها لينفق منها إذا أتى من قاصعائه وهى باب جحره الظاهر . (٥) يريد أن الحبر أبيض من كثرة خلطه بالماء فكنى عنه بالمشيب . (٦) مرهها : أخلاها من الكحل . (٧) الطوامير : جمع طامور وهو الصحيفة ، — وهو يصف بهذه الأبيات الدواة — . (٨) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

يا حبّذا هى والأقلامُ واردةٌ فيها وصادرةٌ سُحْمُ(١) المناقيرِ

كأنّما كرَعَت(٢) فى ناظرَىْ رشإ أو فى سُويداءِ قلبٍ غير مسرورِ

تحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفًا(٣) فيها مُفاخَرةُ الظلماءِ للنُّورِ

فكيف لى بخضابٍ تستردُّ(٤) به من الشبيبة لونًا غير مهجورِ

ذؤابةُ النار شطرٌ فيه معتمدٌ وفيه للنَّحل شطرٌ غير مبرورِ

قد أحكمته يدُ الطاهى فناشَله(٥) كحاذب القوس عن نزعٍ وتوتيرِ

فجاءنا بغُدافٍ(٦) لا تسابقه شُهبُ البُزاةِ الى نحرٍ وتنفيرِ

لو أنّ صبغتَه فاز الشبابُ بها لما رمَى الدهرُ فوديْهِ(٧) بتغييرِ

وحاجة النِّقس(٨) إن قلّت وإن كثرت — اذا سمحتَ بها — مثلُ الدنانيرِ

* * *

وقال يستهدى أقلاما :

ما زال يكشف عنّى كلّ طارقةٍ ما خوّل الله من صُمّ(٩) الأنابيبِ

إن أمطرتْها بنانٌ(١٠) جاش غاربُها على المهارقِ منهلّ(١١) الشآبيبِ

---

(١) سحم : جمع أسحم وسحماء، وهى السوداء. (٢) كرعت : شربت . (٣) الروضة الأنف : التى لم تطأها قدم . (٤) يريد الحبر . (٥) ناشله : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة . (٦) الغداف : الغراب الأسود — وهو كناية عن الحبر — . (٧) الفود : الشعر فى جانب الرأس . (٨) النقس : الحبر ؛ وفى الأصل " النفس " وهو تصحيف . (٩) الغارب : معظم الماء . (١٠) المهارق : الصحف . (١١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

حتى بلغن الى الغـاياب حاسرةً ... هُتْمَ السنـابكِ من بدءٍ وتعقيبِ

وٱحتضَرتْها المُدَى نحتًا وقد فُلِقتْ ... هاماتُها بين تصـعيدٍ وتصويبِ

فعادَ من طول ما يسرى عَشَنَّقُها ... مدغَّما بين أطـرافِ الرواجيبِ

وعنـدك الدوحةُ العليـاء تُنبِتُهـا ... مَنابتَ النبع فى شُمِّ الشَّناخيبِ

فقُدْ الىَّ جيادا من ضوامرِها ... صمَّ السنابكِ سَبْطاتِ الظَّنابيبِ

تختـال فى حَبَرات الوشى تائهـةً ... على متون العـوالى والقواضيبِ

لو أن بعض غصون الأيك أشبهها ... ألهى الحمائمَ عن شـدوٍ وتطريبِ

ولـو يبايعنى الخَـطِّىُّ أنفسـه ... لم أعطه شـطرَ أُنبوبٍ بأنبوبِ

وحَمْلُ كفّى على الأقـلام تُرسلها ... يطلب حملى على الجُرْدِ السَّراحيبِ

لا يملك الفارسُ المغوارُ شِـدّتَهُ ... ولا بسالتَه إلا بمركوبِ

---

(١) هتم : جمع هتماء وأهتم وهو الذى سقطت أسنانه . (٢) السنابك : أطراف السيوف واحدها سنبك . — والمراد بها هنا أطراف الأقلام — . (٣) المدى : جمع مدية وهى السكين — والمراد بها المبراة — . (٤) العشـنق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل . (٥) مدغما : مسود الوجه . (٦) الرواجيب : مفاصل أصول الأصابع ، واحدها راجبة . (٧) النبع : شجر ينبت فى أعلى الجبل . تتخذ منه القسى ومن فروعه السهام . (٨) الشناخيب : جمع شنخاب وهو أعلى الجبل . (٩) صم السنابك : صلاب أطراف الحوافر — والمراد بها الأقلام — . (١٠) سبطات الظنابيب : لينات حروف السيقان ، واحدها ظنبوب . (١١) العوالى والقواضيب : الرماح والسيوف . (١٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى مرفأ السفن بالبحرين — يقال : رماح خطية — على الوصف — ، ورماح الخط — على الاضافة — . (١٣) فى الأصل هكذا « الطبن » . (١٤) الجرد : الخيـل القصيرة الشـعر ، واحدها أجرد وجرداء . (١٥) السراحيب : جمع سرحوب وهى الفرس الطويلة — توصف به الإناث لا الذكور — .

✦
✦ ✦

وقال يستهدى كاغِدا[1] خراسانيا :

تظنُّ فراقا أن تثارَ حُمولُ ... وهل مثلُ إعراض الوجوهِ دليلُ؟

وإن الصدودَ والتجنِّى وإن دنت[2] ديارهُمُ وخدٌّ لهم وذميلُ

وكان شفاءٌ لى لو أن طُولهَم ... خُلقنَ ركابا والركابَ طلولُ

كأنَّ الحمامَ الوُرقَ حاد غصونه ... ليُدركَهم، والبانُ كيف يزولُ!

ألا إنهم كالخمر أحسنُ صنعها ... إلى شاربيها أن تزولَ عقولُ

ترؤون يا آل «المُهيأ» سَرحكم ... وبابن أبيكم فى الفؤادِ غليلُ!

ومالى إلى ماء السحائب حاجةٌ ... ولكنْ يبينُ جائدٌ وبخيلُ

أيوعدنى الأقوام أن ودَّت المُنَى[3] بأنّا لبعض الفاركاتِ بُعولُ!

يقولون: كرُّ الطَّرف فى السِّرب غارةٌ[4] عليه، وأطماع النفوس ذُحولُ

فلا تنذروا سفكَ الدماء لنرعوى ... فكلُّ صريعٍ بالغرام قتيلُ

أبى القلبُ إلا حبَّها «عامريةً» ... بها السيف واشٍ والسنان عذولُ

أخافَ الغيورُ السُّبلَ بينى وبينها ... فما إن لنا إلا الخيال رسولُ!

فياليت أن النجمَ ضلَّ طريقَه ... وعُمْر الدُّجَى فى الخافقيْن طويلُ

---

(١) الكاغد: — بكسر الغين وفتحها — القرطاس، فارسى معرب. (٢) فى الأصل «نأت» والمعنى لا يستقيم بها، والوخد والذميل: ضربان من سير الإبل. (٣) الفاركة: المرأة التى تبغض زوجها. (٤) ذحول: جمع ذحل وهو الثأر، وفى الأصل «دخول» وهو تصحيف.

كما طالَ ليلُ الحِبر عندى ومالَه ... إلى الضوء من صبح البياض سبيلُ

وظلّت أنابيبُ اليراع طـــريحةً ... كما يتلوّى فى الفـــراش عليـــلُ

تشهّى(١) على كفّى ولو سلخَ أرقـــم(٢) ... تبخـــترُ فى أعطافـه وتجـــولُ

فمن لى بخـزّانٍ لديه صنيعـةٌ ... يجـــودُ بمـا جادت به فينيـــلُ

وما أنا باغٍ غـيرَ تسـعينَ رَيْطة(٣) ... تكافأ عَرضٌ عندهنّ وطـــولُ

نواعمَ قـد أفرِغن فى قالَب المُنَى ... فكلٌّ لكلٍّ فى القَـوام عديلُ

صحـائف لو شئنا لقلنا : صفائحٌ ... فـا منهما إلا أغـــرُّ صقيـــلُ

إذا صافحَتْهنّ النواظـرُ عاقها ... شُعاعٌ يردُّ الطَّـــرفَ وهـو كليلُ

وإن زَغزغَتهنّ(٤) البنانُ تضاحكتْ ... قَهاقِهُ فى ترجيعهنّ صَليـــلُ

على مثلهـا يُلقِى الغَيـــورُ رداءَه ... ويُغـــلِى علينا مهرَها فيُطيـــلُ

ولكن إلى رِخو المفاصل فى الندى ... خطبنا ؛ فقد جُرّت لهنّ ذيولُ

وأفـوزُ قِدح قِـــدحُ(٥) خِلّ رِشاؤه(٦) ... بحاجاتِنا فى الأبعدين كفيـــلُ

* * *

وقال يستهدى شرابا :

إن لم أكنْ من راضعى الخمرِ ... ولم أداو السكرَ بالسكرِ ،

(١) يريد : تتشهى . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الريطة : الملاءة — والمراد بها الورق — . (٤) الزغزغة : تجميش فى المغابن كالإبط وأخمص القدم يحدث عنه أفعال يضطر الى الضحك ، وفى الأصل « زعزعتهن » وهو تصحيف . (٥) القِدح : سهم الميسر . (٦) الرشاء : حبل الدلو — وهو هنا مجاز — .

ولا إذا ما ركدتْ خيلُها أجريتُها فى حلبةِ الصدرِ :

فإننى أهوَى النَّدامَى وما يأتون من خيرٍ ومن شرّ

وأعشق الكأسَ ، وسلطانُها يأخذهم بالنهى والأمرِ

كأنما الراحُ براحاتهم كواكبٌ فى فَلكٍ تجرى

منتظمو الأيدى بأدوارها كنظمك الأحرفَ فى السطرِ

ياقوتُها الأصفرُ أمواههم ينبُتُ فيها زَهَرُ الدُّرّ

تحظى بها عينى وحاشا يدى منها وحاشا موضعَ البشرِ

بل ربما طاف بها أهيفٌ أجفانه من صُحُف السحرِ

من سَبَج[1] الإظلام أصداغُهُ ووجهُهُ من جوهر البدر

والراح لا يرضَى سواها قِرًى ولو قَرَيناه من التِّبرِ

إذا علاها زبَدٌ خلتَه سُحُبًا[2] عليها شَنَبُ الثغرِ

وليس لى ممّا بها قَطرةٌ يا واكفَ الأنواءِ بالقَطرِ

بحسْبِ بها تُشبِهُ فى عَرفِها عِرضى وفى رِقّتها شِعرِى

أنتَ صَرِيفِينِى[3] وقُطْرُبُلِّى وموضعُ الشكر من الدهرِ

(١) السبج : الخز الأسود . (٢) الشنب : ماء الأسنان ورقتها وعذوبتها .

(٣) صريفين : قرية عند عكبراء تنسب اليها الخمر ؛ وقطربل : موضع بالعراق تنسب اليه الخمر أيضا .

* * *

وكتبَ الى أبي الحسَن بن نصر الكاتبِ جوابا عن رُقعة :

لو يهتدى وصفِي إلى شغَفى ... خُطِمتْ(١) بنا فى غارب(٢) الصُّحُف

وتركتُ أفلامي مُفلَّلةً(٣) ... وخواطرى منزوحة(٤) النُّطَف(٥)

شوقا إليك وما رُمِى جلَدى ... بسهام هجرٍ أو نوًى قُذُفِ(٦)

ما مرَّ يومٌ لا أراكَ بهِ ... إلا على خطبٍ من الأسفِ

متلفتا تِلقاءَ داركُمُ ... أرنو بعينَىْ مغرم دنِفِ

فاذا طمحتُ لوَى الهوى عُنُقى ... وإذا جمحتُ فسائقى كلَفى

وإذا انصرفتُ فإنما جسدى ... ولِّى وقلبى غيرُ منصرفِ

من ذا ينيلُ جوارحى أملا ... ومواعدُ الآمال للخُلُفِ

طَرفٌ نفَى إنسانَ ناظرِه ... عنه اقتناعا منك بالخَلَفِ

والسمعُ منبِته مفاوضةً ... معقودةٌ فى موضع الشَّنَفِ(٧)

ويريد جثمانى مصاحبةً ... مثلَ اصطحابِ اللام للألفِ

ومطامعى هذى تَصَيُّدُهَا ... كتصيُّد الشَّغواءِ(٨) فى الشَّعَفِ(٩)

---

(١) خطمت : جعل عليها الخطام وهو الزمام . (٢) الغارب : مابين السنام الى العنق — ويهو ما يلقى عليه خطام البعير — . (٣) مفللة : مثلمة مكسورة . (٤) فى الأصل . "منزوحة" وهو تصحيف . (٥) النطف : جمع نطفة وهى الماء الصافى — قل أوكثر — . (٦) قذف : بعيدة تقذف بصاحبها . (٧) الشنف : القرط يعلق فى أعلى الأذن — والأصل فيه سكون النون — ، والبيت ورد هكذا بالأصل وفيه تأمل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل « الشعواء » وهو تصحيف . (٩) الشعف : جمع شعفة وهى رأس الجبل .

يا أيّهذا الخِلُّ دعوةَ مَنْ (١) أثقلتَه بالقرض والسَّلَف
لا تُسرفَنْ فى الودِّ معتمدا رِفْقٌ فإنّ البخلَ فى السَّرَف
قد جاءنى القِرطاسُ (٢) مكتسيا ببدائع كالدُّرّ فى الصَّدَف
فكأن راحتَك الربيعُ فما (٣) تُخلى الرُّبَى من روضة أُنُف
ألقت فُويقَ مناكبى مِنَنًا (٤) مضمونها جبرى على الكُلَف
حسبى عوارفك التى جمعتْ (٥) بين اللُّهَى لى منكَ والشَّرَف

* * *

وكتب إليه أيضا :

يا ماءَ "لِينَةَ" (٦) لو نقعتَ أوامى (٧) كانت حياضُك لى كئوسَ مُدامِ
لا يعدِلُ (٨) المشغوفُ عن سَنَن الهوى ولو أنَّ حدَّ العذل غَربُ حسامِ
كيف السلوُّ وليس يَسلُك سمعَه إلا حنينٌ أو بكاءُ حَمامِ
حتى كأنّ القلبَ مدّ حجابَهُ ليُردَّ عنه طوارقَ اللوّامِ
ولقد عرَضتُ على السلوِّ جوانحى الـ ـحرَّى فلم يَرهنّ دارَ مقامِ
ما ضرَّ من زار الغيورَ أمامَهُ لو زار فى ثوبٍ من الأحلامِ؟

---

(١) فى الأصل «بالفرض» وهو تصحيف . (٢) القرطاس : الصحيفة . (٣) الأنف : التى لم يرعها أحد . (٤) كلف : جمع كلفة وهى المشقة . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٦) لينة : موضع فى بلاد نجد به ركايا عادية وماؤها عذب زلال .
(٧) الأوام : شدة العطش . (٨) فى الأصل "يعذل" وهو تصحيف .

جُزْ "باللوى" إن كنتَ تؤثرُ أن ترى ... حَدَقَ المها (١) وسوالفَ الآرامِ (٢)

وتأنَّ فى نظرِ الخدورِ فبينها ... صورٌ تبيحُ عبادةَ الأصنامِ (٣)

ناضلننا بنوافذٍ مسمومةٍ ... ووددتُ لو قبَّلتُ سهمَ الرامى

وكمَنَّ فى الأيدى خضابا ناميا ... ونظيره فى القلب حبٌّ نامِ

ليس البراقعُ كاسمها لكنها ... يومَ الوداع كنائنٌ لسهامِ

بينى وما بين الكواعب موعدٌ ... يُلقِى إلى كفّ المشيب زِمامى

لا ينتهى الطيفُ المزاورُ مضجعى ... عنّى وفى فَوْدَىَّ (٤) جُنحُ ظلامِ

والدهرُ ذو شيئين يصبغ لِمّتى (٥) ... كلتاهما بالصبح والإظلامِ

قد كنتَ بُهْمَى (٦)، جعدةً (٧)، خسّيةً (٨) ... فبأىّ ماء صرتَ نَوْرَ ثَغامِ؟ (٩) (١٠)

أعلىّ تقترعُ الليالى بعدما ... غلّت يديها شِرّتى وعُرامى؟ (١١)

تلهو بحَوْذان (١٢) « العراق » ركائبى ... وعزائمى ترعَى رياضَ « الشامِ »

لى فى بطون اليعملات (١٣) مَزادةٌ (١٤) ... تُروِى إذا غدَر الغديرُ الطامى

---

(١) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . (٢) آرام : جمع رئم — على القلب — وهو الظبى الخالص البياض . (٣) فى الأصل : « الخدرد » وهو تحريف . (٤) الفود : شعر الرأس من جانبيه . (٥) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٦) البهمى : نبات يشبه الشعر . (٧) جعدة : ملتوية منقبضة مع لين . (٨) خسية : — منسوبة الى الخس — وهو بقلة معروفة عريضة الورق لينة . (٩) النور : الزهر . (١٠) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر ، كأن جماعها هامة شيخ — يخاطب الشعر — . (١١) الشرة والعرام : الشراسة . (١٢) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (١٣) اليعملات : الإبل . (١٤) المزادة : وعاء الماء .

وإذا الجِفانُ الغُرُّ(١) طلّقت الضحى ... حَنَت الظُّبَى(٢) من غاربٍ(٣) وسَنامِ(٤)

كم بازلٍ(٥) كوماءَ أخطأها القِرَى ... رُدَّت فريضتُها(٦) إلى الأَزلامِ(٧)

إن القناعة مذ خَطمتُ بحبلها ... طمعى تساوت رحلتى ومقامى

فالبِيدُ عندى كالقصور ونهضتى ... كتثبُّطى والوُجْدُ كالإعدامِ

ألقَى بنى هذا الزمانِ مُهجهجا(٨) ... زجرَ الحُداةِ بهيمةَ الأنعامِ

أشخاصُهم لا حِسَّ فى عَرَصاتها(٩) ... وقلوبُهم ثكلَى من الأفهامِ

حسبى وقد أصبحتُ فذًّا(١٠) بينهم ... بك يا "أبا الحسَن" الشقيقِ تؤامى(١١)

حَمَلَتْ بنا فى ليلةٍ مزءودةٍ(١٢) ... أمُّ الخِلال الغرّ حملَ تَمامِ

وتكفَّلت ظِئرُ(١٣) العلا برَضاعنا ... حوْلَين ما تحصيهما لفطامِ

حتى إذا الآداب شُدَّ نِطاقُها ... زُفَّت إلى شُمّ الأنوف كرامِ

يَسْبون أبكارَ المعانى حيثما ... شنُّوا الإغارةَ وهى غيرُ حرامِ

هذا هو النسبُ الصريحُ وغيرنا ... يختال بالأخوال والأعمامِ

لوكان نصلُ إخاىَ يصدئه النوى ... لصقلتُه بالوصل والإلمامِ

---

(١) الجفان الغر : القصاع البيض . (٢) الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف والسنان وغيرهما — والمراد بها هنا المدى — . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) السنام : أعلى ظهر البعير .
(٥) البازل الكوماء : الناقة العظيمه السنام . (٦) الفريضة : ما فرض فى السائمة من الصدقة .
(٧) الأزلام : جمع زلم وهو أحد سهام كانوا يستقسمون عليه فى الجاهلية . (٨) مهجهجا : صائحا .
(٩) العرصة : ساحة الدار وهى هنا مجاز . (١٠) الفذ : الفرد . (١١) التؤام : الزوج .
(١٢) مزءودة : مروعة مذعورة — كناية عن شدتها — . (١٣) الظئر : المرضع .

لكننى والبينُ يَحـرُق نابَه أفترُّ عن ثغرِ الهـوى البسّامِ
أنتَ النهـارَ تذكُّرى وتفكُّرى والليـلَ أحلامى وطيفُ منامى
إن كان أقوامٌ نظامُ فـرائدٍ كنتَ النظامَ وسِـلكَ كلّ نظامِ
أنا عن سوابقـك الجيـادِ مقصّرٌ ومسـلِّمٌ يومَ الرِّهَانِ لجـامى

* * *

وقال من قصيدةٍ ولم يُتمّمْها :

قلتُ «لعمرو» جَذِلا أُشجُجْ[1] بهـا هامَ الفلا
فمـا اجتويتَ مـنزلا إلا انتجعتَ مـنزلا
وإنّ من تسـجُنه أوطـانُـه لمُبتَـلَى
قعيـدةُ الخـدرِ فمـا تعـرِفُ إلا المِغـزَلا
أما تـرى الطـائرَ فى أُفحـوصه مقلقَـلا؟
يستخدم الجَنـوبَ فى جَنـاحِهِ وَالشَّـمألا
مخـلِّفـا وراءَه حمـامـةً وجَـوْزلا[2]
إمـا يصيبُ جازئـا[3] من قُـوته أو أجـدَلا[4]
والقـدَر المحتـومُ لا يحُـزُّ إلا المَفصِـلا
لمـا رأيتُ الذلَّ قـد أبـرز نابًا أعصَـلا[5]

(١) أشجج : شق . (٢) الجوزل : ولد الحمام . (٣) الجازىء : ما اكتفى به من الطعام . (٤) الأجدل : الصقر . (٥) الأعصل : الأعوج .

شاورتُ عزمى: ماترى؟ (١) فقـال : هاتِ وهَـلا
إمـا عِتـاقا (٢) للنّجـا ـءِ أو هِجـانا (٣) بُـزّلا (٤)

وقال :

أرى الأمـوالَ فى اللؤماء تثوى وتجتنبُ الـكرامَ من الرجالِ
كذاك الدُّرُّ فى مِلـحِ أُجاجٍ ولبس يكون فى عَذبٍ زُلالِ

وقال :

فلقلْ ركابَك فى الفـلا ودع الغـوانىَ للقصورِ
فحالفـو (٥) أوطانهـم أمثالُ سُكّان القبـورِ
لولا التغـرُّب ما ارتقَى دُرّ البحورِ إلى النحورِ

وقال فى الغَزَل :

عينى التى علِقتْ حبائلُكم بهـا والحسنُ للعين الطموحةِ صائدُ
وخدعتمُ سمعى بطيبِ حديثكم ومن الكلام لآلئٌ وفـرائدُ
وتردّد الأنفاسِ مَلّكَ عرفكم (٦) ما ليس يبلغُه العبيرُ (٧) الجـاسدُ (٨)

(١) هلا : كلمة تستعمل للحث . (٢) العتاق : كرام الخيل . (٣) الهجان : الكرام من الإبل . (٤) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٥) فى الأصل «فخالفى» وهو تحريف . (٦) العرف : الرائحة الطيبة . (٧) العبير : أخلاط من الطيب .
(٨) الجاسد : اليابس ، وفى الأصل "الحاسد" وهو تصحيف .

وأحلتمُ قلـــبى على أخلاقـكم فاذا السُّلافة(١) والزلالُ(٢) البـاردُ
وبقى لسـانى وحدَه لى زاجرا هيهات، لا غَلَبَ الجماعةَ واحدُ!

وقال فى مثله :

لا تَظُنَّنَّ بى سُلُوًّا وإن كنـ ـتُ عزيزَ الدموع بين الجفونِ
إنما يصعبُ الدفينُ من الدا ءِ وسهـلٌ ما كان غيرَ دفينِ
وبكاءُ القـلوبِ أسرفُ فى حكـ ـمِ المحبّينَ من بكاءِ العيـون

وقال يهجو :

أيا وَلد "الحُصَين" وما "حُصَينٌ"؟ لمـاذا ــ ضلَّ سعيُك ــ هِجتَ حَربى
أطلتُ تفـكُّرَى فـرأيتُ علمى وجهـلُك ضـدُّه فعـرفتُ ذنبى
وما أهجـوك أنك أهـلُ هجـوٍ ولكنّى أجـرِّبُ فيـكَ ضربى
وهـل عيبٌ(٣) على شَفَـراتِ سيفى إذا آستحنتُها فى لحـمِ كلبِ

وقال فيه :

لا تغتبط يابنَ "الحُصَينِ" بِصبيَةٍ أضحت لديك كثيرة الأعـدادِ
لا تفخـرَ فيـك ولا آفتخارٌ فيهمُ إن الـكلابَ كثيرةُ الأولادِ

(١) السلافة : الخمر . (٢) الزلال : الماء العذب . (٣) فى الأصل «عتب» .

✦
✦ ✦

وقال فى آبن دارَسْت :

قالوا : آبنُ "دارستِنا" وزيرٌ ... فقلتُ : لفظٌ بغيرِ معنَى

مثلُ لديغٍ يُدعَى "سَليما"(١) ... "نَصْرًا" و"فتحا"(٢) يُسمَى ويُكنَى

كأنّما وجهه كتابٌ ... سوّدتَ فيه ظهرا وبَطنَا

بعضُ وُعولِ(٣) الجبال لكن ... أطولُها لحيةً وقَرنَا

أقبلَ من "فارس" الينا ... فى عُصبةٍ كالحَمير لُكْنَا

ظننتُم حولَه شِياها(٤) ... والشيخَ تيْسا والدّستَ دَبْنَا(٥)

يا رائدا دُلّنا عليه ... صدقتَ حِسًّا وخِبتَ ظنّا

✦
✦ ✦

وقال فيه :

دَستُ الوزارةِ يبتغى حَجَرا ... منكم ليستنجى من الحَبَثِ

أو ليس مفترضا طهارتُه ... بعد "آبنِ دارَسْتٍ" من الحدَثِ

ثُنِيَتْ أرائكه على شَبح ... خالٍ من الأعراضِ والجثثِ

ولربَّ حىٍّ فى تصوُّرِه ... والمَيْتُ خيرٌ منه فى الجَدَثِ(٦)

---

(١) يقال للدوغ سليم تفاؤلا بسلامته من لدغة . (٢) فى الأصل «قبحا» وهو تصحيف .

(٣) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٤) شياه : جمع شاة وهى معروفة . (٥) الدبن حظيرة للغنم تعمل من قصب ، فإن كانت من خشب فهى زرب — بكسر الزاى وفتحها — ؛ و إن كانت من حجارة فهى صيرة — بكسر الصاد — . (٦) الجدث : القبر .

* * *

وقال فيـــه :

لُحِيَ "ابنُ دارَسْتٍ" على إمساكه (١) فأجاب : إنى باذلُ الماعون

أوَ لم تكونوا بيتَ بيتَ جِوارنا (٢) فقَـــرَيتكُم بالماء فى "كانونِ" (٣)؟!

فأرضوا بأسـقيةِ الزلال قرًى لكم ودعوا الجِفـانَ فإنها لكفـــونى

لا كان زادٌ فى وعائـك إنه سببٌ لطـاعمه من الطـاعـونِ

* * *

وقال عند عزله :

ارجِعْ الى ما أنت أهـلٌ لهْ شُـــدَّ متاعَ القـــوم أوحُلَّهْ

قد عثَر الدهـــرُ بكم عثرةً ودَّ بها لو قطعـــوا رِجـــلَهْ

إنّ زمانا "لابن دارستَ" قد قُـــدِّمَ فيـــه زمنٌ أبلَهْ

قد قال عذرا حين وبَّختُـه : لا بدَّ للعـالِمِ من زَلَّهْ

* * *

وكتب إلى صديقٍ له أهدى إليـه رُطَبا معسَّلا وصابونا وقواصرَ تمرٍ يشكره . (٤)

ودادُك فى قلبى ألذُّ من المُنَى وذكرُك أحلَى فى اللَّهاة من الشَّهدِ (٥)

---

(١) الماعون : المعروف .

(٢) يقال : هو جارى بيت بيت أى ملاصقا ، وفى الأصل * أو لم يكونوا بيت بيت جواركم * والضمائر فى هذا البيت مضطربة فأثبتنا ما رجحناه ليستقيم المعنى .

(٣) كانون : من الأشهر الرومية وهو من قلب الشتاء .

(٤) قواصر : جمع قوصرة وهى وعاء من قصب يرفع به التمر من البوارى — وهى الحصر — .

(٥) اللهاة : اللهمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

فلستُ بمحتاج إلى أن تُعينَه ... بما تتجنّه الباسقاتُ من الولدِ

ولكنّما أذكرتنى بشمائل ... جعلنَ على المُهدَى الفضيلةَ للمُهدِى

أتتنا هداياك التى لم نجد لها ... جزاء سوى الشكر المكلَّل بالحمدِ

معاليقُ(١) باقوت تخالُ ثقوبها ... بأبشيزكاتِ(٢) التبر نُظِّمنَ فى عِقدِ

وإنّ نتاجَ النحلِ والنخلِ واحدٌ ... وهل بين شكل الحاءِ والحاءِ من بُعدِ

أتت فى مُروطٍ(٣) من يراعٍ كأنها ... من القصَب المصرىّ تختال فى بُردِ(٤)

وقد قدّرتْ كفُّ الصّناعِ(٥) التئامَها ... كتقدير "داودَ" المساميرَ فى السَّردِ(٦)

تعانقنَ فيها كاعتناق حبائبٍ ... فما نتعاطاهنّ إلا على جهدِ

إذا فرّقتهنّ البنانُ(٧) تشبّثت ... بمثل هَباء الشمسِ خوفا من البُعدِ

وأخرى تجلّت فى قميصِ زجاجةٍ ... كما ضُمِّن القنديلُ لألأةَ الوقدِ

نفَوا قلبها القاسى وآووا مكانَهُ ... رقيقا وإن ساواه فى اللون والقدِّ

فوالله ما أدرى أذاك نَحيتةٌ(٨) ... من الزُّبد أم هذا مصوغٌ من الزُّبدِ؟!

بكا للتنائى بعضُها فوق بعضِها ... دمًا مُجْسَدا فى صِبغة اللحم والجلد

---

(١) معاليق : جمع معلاق وهو كل ما علق . (٢) كذا بالأصل وقد شكلت بالقلم ، ولم نعثر عليها ولعلها بمعنى "سلوك" .

(٣) المرط : كساء من خز ، وربما تلقيه المرأة على رأسها تتلفع به . (٤) البرد : الثوب . (٥) الصناع : الحاذق الماهر فى صنعته .

(٦) السرد : نسج الدرع — ويقال : إن أول من أحكم صنع الدرع داود عليه السلام — .

(٧) تشبثت : تعلقت . (٨) فى الأصل هكذا "نحبه" .

وزادت بلون الزعفـران تصبُّغـا ... ولا تَشْنَعُ(١) الحسناءُ من حمرةِ الخدِّ

فتـلك بَرانٍ(٢) أم مخازنُ جوهر ... حُشينَ فريداتٍ من العـنبر الوردِ؟

اذا قلَّبتهنّ الأكفُّ تعجُّبـا ... توهّمهـا الراءون تلـعبُ بالنَّردِ(٣)

وشهباء(٤) يُستجلَى الضَّريبُ(٥) بلونِهـا ... وطينتُهـا من عنصر الحجَر الصَّلدِ

مقابَلة الأضـلاع ، كان مثالُهـا ... قياسا "لذى القَرنَين"(٦) فى زُبَر(٧) السدِّ

عَدُوَّة "مانى"(٨) فى البياض ، كأنّها ... ولونَ المشيبِ قد أقاما على عهدِ

وما عطَّـر الأثوابَ مثلُ مقدَّمٍ ... على المسك والكافور والعُودِ والنَّدِّ

أيادٍ توالت منك عجَـلَى كأنهـا ... شَرارٌ أطارته الأكفُّ من الزَّندِ

وإنىَ فى عجـزى عن الشكر سائلٌ ... مساعدتى مَن كلَّم الناسَ فى المهدِ؟!!

* * *

وقال يهجو :

ضيوفُ "ابن فَضلانٍ" سواءٌ نهارُهم ... ولَيلُهـمُ صوما من الشّرب والأكلِ

ويُلزمهـم أن يَنكحـوه وعِرسَه ... وصعبٌ على مَن شئتَ خَرجٌ بلا دَخلِ

---

(١) تشنع : تقبح ، وفى الأصل هكذا « لسع » . (٢) البرانى : جمع برنية وهى وعاء من خزف . (٣) النرد : شىء معروف يلعب به — وهو ما يسمى « بالطاولة » — .

(٤) يريد زجاجة بيضاء . (٥) الضريب : العسل الأبيض الغليظ . (٦) زبر : جمع زبرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٧) السد : — بالفتح ويضم — الحاجز بين الشيئين والمراد به ما بناه ذو القرنين ؛ وقصته معروفة فى القرآن الكريم . (٨) مانى : رجل يقول الخير من النهار ، والشر من الليل ، ومذهبه مذهب المانوية ؛ — ومعنى البيت مضطرب — .

وقال :

قل "لابن جابرَ" الذى جعلَ اللهُ لـــه كلّ خَـــلّةٍ[1] قـــذرَهْ:
الجنُّ نارٌ والإنسُ من حَمَـــإٍ[2] فأنتَ لِمْ ذا خُلقتَ من عَذِرَهْ؟[3]

وقال فى سوداء :

عُلّقتُهـا حَمَّـاءَ[4] مصقـولةً سـوادُ قلبى صفـةٌ فيهـا
ما انكسف البدرُ على تِمِّهِ ونُورِه إلا ليحكيهـا
لأجلهـا الأزمان أوقاتُهـا مؤرخاتٌ من لياليهـا

وقال فى الشيب :

لم أبكِ أن رحلَ الشبابُ و إنمـا أبكى لأنْ يتقاربَ الميعـادُ
شَعـــرُ الفتى أوراقُه فاذا ذوَى جَفَّت[5] على آثاره الأعـــوادُ

وكتب الى أبى الخير سعيد بن منصور بن مُوصَلايا يستهدى منه أقلاما ومِدادا عند توجُّهِهِ إلى بعض الأسفار

"أبا الخير" المفيدَ لكلِّ خيرٍ وكاسىَ نُبْـلِهِ ريشَ الصوابِ

(١) الخلة : الخصلة ، والبيت غير متزن وقد تحاشينا التصرف فيه . (٢) الحمأ : الطين .
(٣) العذرة : الغائط . (٤) الحماء : السوداء كالحمأ وهو الطين . (٥) فى الأصل «خفت» وهو تصحيف .

ومن ألقى اليه الناسُ طرًّا مقاليـــدَ الكتابة والحســابِ
ومن إن شاء إنشاءً بليغـا فليس يَعُوزه فصـلُ الخطابِ
فضائلُ يُنسَب الإحسانُ فيها كما نُسب القِطارُ الى السحابِ
أرانا كلَّ معجِبةٍ إلى أن أرانا عنـــده لونَ الشبـابِ
مِدادا إن تضمَّنه محـلٌّ ظننتُ مقرَّه وكرَ الغرابِ
فما أدرى أمن كُحـلٍ مُمـاع تجسَّم أم دُجَى ليـــلٍ مذابِ
تقـــولُ اللِّمَّـــة(١) الشمطاءُ(٢) لمّـا رأته : ليتَ هذا من خِضابى!
وقد أزِفَ الرحيـــلُ فلا مقامٌ سوى شدّ الرِّحال على الركابِ
إلى ملكٍ توسَّـط بين برٍّ وبحـــرٍ طافحٍ سامى العُبـابِ
فلستُ بواجدٍ فيـــه أنيسـا سوى الحيتان تُقرنُ بالضِّبابِ(٣)
فزوّدْنى من الأنقـاسِ(٤) قـــدرا يقـوِّتنى إلى حين المـآبِ
فإن أسعفتَ بالأقـلام منّـا فمـا يغنى الطعامُ عن الشرابِ

* * *

وقال :

تَزاحَمُ فى صـدرى القوافى ولا أرى لهـا مستحقًّا فى الزمان ولا أهـلا
وكيف آمتـداحى معشرا شجرَاتُهم عَوارٍ فمـا تُجدِى ثمـارا ولا ظِـلّا

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) الشمطاء : التى خالطها سواد وبياض .
(٣) الضباب : جمع ضب وهو معروف . (٤) أنقاس : جمع نقس — بكسر النون — وهو الحبر .

فلو شَرُفوا بالعـلم وآطرحوا الندى تأوّلتُ فيهم أننى أمـدح الفضـلا
ولو تركوا الآدابَ عنهم بمعزلٍ وجادوا، لقلت: أمدحُ الجودوالبذلا
ولكنهـم عن ذا وذاك تزحزحوا فلم أرَ أنى أمدحُ الجهـلَ والبخلا

وقال وقد سئل أن يلغز أبياتا فى النار :

هـل تعرفُ الحسناءَ تَفـ ـخَر بالبروز على الطريقِ؟
ولهـا ولىٌّ لا يغـا رُ من الزيارةِ والطُّروقِ
لا يستريبُ بهـا وإن كانت شِعـارا للرفيـقِ
وإذا آختفت فى خِدرها جُلِدتْ لتَظهَر فى الحقوقِ
فأتتـك منـه فى حِدا دٍ ناصلٍ واهى الخروقِ
ثم آكتست بغِـلالةٍ (١) إما عَرارٍ أو شـقيقِ (٢)
تاجُ الزُّمُرّد (٣) فـوق مَفـ ـرقها يُرصّعُ بالعقـيقِ
بين الأنام وبينهـا ماشئت من نسبٍ عريقِ

وقال :

تقاعستُ عن أبناءِ دهرىَ عائفا موارِدَ منهـم ضافياتِ الغـلائلِ
ولى قُـرباتٌ عندهـم غير أننى أضَنُّ على أفضالهم بفضائلى

(١) العرار : النرجس البرى ؛ او هو بهار ناعم أصفر طيب الرائحة . (٢) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة . (٣) الزمرد — بالدال والذال — حجر كريم أخضر اللون .

* * *

وقال ولم يتمّمها :

فـرّ من الحبِّ قلبُـه فنجَا ... من بعد ما خاضَ فى الهوى لُجَجَا

فما سـباه ملـثَّم بضُـحىً ... ولا شجـاه معـمَّم بـدُجَى

من يبكِ حَولا يُعذِرْ فكيف بمن ... بكَى على رسم دارهـم حِجَـجا

هذا اللَّمّى ذلك الذى شغف الـ ... ـقلبَ وخمـرُ الثغور ما مُزِجا

فكيف حالَ الغـرامُ منـه قِلًى (١) ... ونال من بعـد شدَّةٍ فرَجا

لأ تأمنَنّى على مراجعـةٍ ... مَن دبَّر الحبَّ قبلَنا بحِجَا؟

يا ناقـةَ الظبيـةِ التى ظعنَتْ ... أهـودجا ما حمَلتِ أم بُرُجا؟

زاد بـكِ البـدرُ فى منـازله ... منزِلتَيْهـا "عُسْفَانَ (٢) أو أَمَجَا" (٣)

قد أغربَ القينُ (٤) فى سهامهمُ ... راشَ بهُـدبٍ ونصَّـلَ الدَّعَجا

أليس هـذا السـلاحُ ويحكمُ ... أحكَمَ "داودُ" الذى نَسـجَا

كانت دموعى ماءً فصـرنَ دَمًا ... أأبـدل السنُّ شأنَهـا ودَجَا؟ (٥)

ونار قلبى هى التى ظهـرت ... تُوقدُ فى الليـل مَفـرقى (٦) سُرُجا (٧)

---

(١) القلى : البغض (٢) عسفان : منهل من مناهـل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل غير ذلك . (٣) أمج : بلد من أعراض المدينة . (٤) القين : الحـداد .
(٥) الودج : عرق فى العنق إذا قطع لا تبقى معه حياة . (٦) المفرق : — من الرأس — محل فرق الشعر . (٧) سرج : جمع سراج وهو معروف .

ليت الذى نظَّـــمَ اللا لئَ فى فـرعِىَ خَـــلَّى مكانَهـا السَّبَجا[1]

يا مولِجَ الليـلِ فى النهـارِ أما آن لصبحٍ فى الليـــل أن يَلِجا؟!

* * *

وقال ولم يتمّمها :

جاريتُ[2] فى الحبِّ أطلاقا[3] بلا أمدِ فها أنا سابقُ[4] العُشّاقِ بالكمـــدِ

ما يستطيل فؤادى فى الهوى سَفَرا والهمُّ زادى وماءُ العين من عُدَدِى

خفْ يا مليكىَ أن يفنَى عذابُك لى ولا تخفْ أننى أبقى بـلا جَـــلَدِ

جيشٌ من الصبر عندى ليس يهزِمهُ شـوقٌ تُغـير سَرَاياه[5] على الكبِـدِ

بلغتُ أقصَى المَدى فيه وما ثلَمتْ منه الوشاةُ فـــلم ينقُص ولم يزِدِ

إن الألى ملـُوا الأجفانَ من مطرٍ هـــم الألى ملـُوا الأفواهَ من بَرَدِ

مَن نابُهُ شنَبٌ[6] وظُفْـــرُه عَـــنَمٌ[7] فهو الغزال الذى يجنى على الأسدِ

نفسى إلى الله لا تشكو جفـاءكُمُ ولا إليكم ، فهل تشكو إلى أحدِ؟!

* * *

وقال :

تُسائلنى دِرعى : أهذى هى النَّبْلُ؟ لعـلَّ الذى شبّهتَـه الأعينُ النُّجلُ!!

---

(١) السبج : الخرز الأسود — فارسى معرب — . (٢) فى الأصل «حاربت» وهو تصحيف .
(٣) أطلاق : جمع طلق — بفتح الطاء واللام — الشوط ؛ — وبضم الطاء واللام — غير المقيد من البعران أو النوق ؛ والفرس اذا كانت إحدى قوائمها لا تحجيل فيها . (٤) فى الأصل «سائق» وهو تحريف . (٥) سرايا : جمع سرية وهى القطعة من الجيش . (٦) النشب : ماء ورقة فى الأسنان . (٧) العنم : شجر ثمره أحمر يشبه البنان المخضوبة .

رَمَيْنَ[1] سهاما فى الجسوم جراحُها ؛ وما أنتَ من سهم به يخرُج العقلُ ؟!

متى ماتَجِدْ لى الشمسَ فى غسَقِ الدُّجَى أجِدْ لك قلبا ماله فى الهوى شغلُ

ولولا اتّفاقُ الناس فى الحبِّ أنه قديمٌ ، لقلتُ : لوعتى مالها قَبْلُ

أيا حادىَ الأظعان أعجِلْ فإنها الـ منايا ، وبعضُ البِرِّ أن يؤجَرَ[2] القتلُ

ويا قلبُ أقرِرْ بالذى كنتَ جاحدا فقد ضجِر اللاحى وقد فنِىَ العذلُ

يزيد الحسانَ البيضَ فى اللؤم رغبةً تصوُّرُنا أنْ منهُمُ يحسُن البُخلُ

✦ ✦ ✦

وقال :

يا "آل عَوفٍ" أنجدوا الصّبّا ولطالما فرّجتُمُ الكَرْبا

كان ابتداء أخيكُمُ مِقَةً ثم استحالت بعدَ ذا حَربا

كُفّوا ظباءً فى مَسارحكم تَسبى اذا غُزِيتْ[3] ولا تُسْبَى

وخذوا يدى اليمنَى معاهدةً أن لا تعاوِد مقلتى الحُبّا

قالوا : حلَلنا عنهُ رِبقَتَهُ ، صدَقوا ، وشَدّوا العينَ والقلبا

✦ ✦ ✦

وقال ولم يتمّها :

أتنساها على "خَيْفٍ" مِنًى "تَهوِى أبابيلا[4]

---

(١) فى الأصل هكذا « عين » ولعلها محرفة عن « رمين » بأن شبكت الراء فى الميم فالتبست على الناسخ .

(٢) فى الأصل هكذا « يوجر » . (٣) فى الأصل « غرنت » وهو تصحيف .

(٤) الأبابيل الجماعات .

وقـــد ألبسها الوخدُ (١) مِن المَرْو (٢) خلاخيلا

رُبَّى فيها ترى الحامـ ـل قـــد شابَهَ محمولا

فـذا بالنُّسك منحـورا وذا بالحبّ مقـــتولا

أتـدرِى أيّهـا أَســـ ـعُ للأرواح ترحيـــلا

هـــل البِيضَ المباتيرَ (٣) أم البيضَ العَطابيـلا (٤)؟

وليس الخـدُّ مصقولا بدون السيف مصقولا

أمَن يقطعُ فى غِمدٍ كمن يقطـــع مسلولا؟

ألا يازاجـــرَ الســانـ ـح ما أحسنتَ تأويلا (٥)

جرَى اليمنَى وما صادفـ ـتَ حبلَ الوصل موصولا

أرَى الخِدرَ (٦) لمـا يصنـ ـعُ بى سُكّانُهُ غِيلا (٧)

* * *

وقال :

أظنُّك تبتغى حلَبَ الثـغورِ ولو عُوِّضْتَ بالمـاء النميرِ

---

(١) بالأصل ، "الوجد" ؛ والوخد : ضرب من السير السريع . (٢) المرو : حجارة بيض براقة ، وهو أيضا موضع من شعائر الحج . (٣) فى الأصل « السمر » وكتب أمام هذا البيت فى هامش الأصل «أظنه البيض» ؛ ونحن نرجحها لأن السمر — وهى الرماح — لا توصف بأنها باترة ، والبيض المباتير : السيوف القاطعة والبيض الثانية : الجوارى الحسان . (٤) العطابيل : جمع عطبول وهى الجميلة الطويلة العنق . (٥) السانح : الطائر أو الظبى يمر من اليمين ـ والعرب تتفاءل بموضعه البارح — . (٦) الخدر : بيت الجارية . (٧) الغيل : بيت الأسد .

وتطلبُ من حَمامِ الأيك لحنا يَهيج بلابلَ القلب الذُّكورِ

* * *

وقال :

يا كاهنَ الحبِّ خبّرنى مَن الجانى عينى التى عشقت أم طَرْفَ الرانى؟ (١)

ولو علِمتَ الذى يجرِى على كبدى لقلتَ : إنهما فى الحبِّ سِيّانِ (٢)

* * *

وقال ولم يتمها :

قد علمتْ ليلة الحمى ورَعى والبدرُ فيها فريسةُ الطمع

أُغمِضُ عينىَّ عن محاسنها والقلبُ ما تذكر الجفونُ يعى

تزجرُنا خيفة "الإمامِ" عن الـ ـصّبوةِ زجرَ المشيبِ والصّلع

"القائم" المنتضى صوارمَه على رُءوس الأهواءِ والبِدَع

بذكر أسمائِه التى شرُفَت يُعرَفُ فضلُ الأعيادِ والجُمع

* * *

وقال ولم يتمها :

لا مجدَ إلا "للإمام القائم" وإن أدّعتهُ عصابةٌ من "هاشم"

نرضَى لدينِ الله والدنيا الذى رضِىَ النبىُّ لبُرْدِه والخاتم

---

(١) كذا بالأصل ، ومعنى العين والطرف واحد ، ولعل صوابه :

* عَينى التى عَشِقَتْ أمْ قلبىَ العانى *

(٢) فى الأصل «الحسن» وقد كتب فوقها بالقلم الرصاص «الحب» فرجحناها .

* * *

وقال فى غَرَض :

أُقسم بالعـاديات(١) ضَبْحا(٢) حقًّا و بالموريات(٣) قَدْحا :

بانكم توسعون مَقْتا من زادكم عِفـةٍ ونصحا !

فى كلّ يوم لكم سطورٌ تُكتبُ بالعهـد ثم تُمحَى

وكلُّ ما يُبتَنَى عِشاءً يُهـدَمُ بعد التّمـام صُبحا

كالأفق إن غام فى جَنوبٍ هبّت شَمـالٌ له فأصحَى

آمالُنـا فيكُمُ هَبـاءٌ أضرَبَ عنها الرجالُ صفحا

من همُّه أخذُ رأسِ مالى فكيف أرجو لديهِ ربحا؟!

* * *

وقال :

ياليتهـم حين صَيّروا خَدَما عُمّـالَ عُمّالهـم كما حُـكما :

جَروا على ذلك القياسِ بأن تصـيرَ عُمّالهُم لهـم خدَما

* * *

وقال ولم يتمّها :

بعينيـك إضرامُهـم للأكُمْ بجُمـرِ القِبابِ وحُمـرِ النَّعَمْ

تَخيّلها الضيفُ نارَ القِـرَى وما هى إلا قـلوبُ الأمـمْ

---

(١) العاديات : الخيل – سميت بذلك لعدوها — . (٢) الضبح : صوت للخيل فى عدوها لا بالصهيل ولا الحمحمة . (٣) الموريات : الخيـل تصك الحجارة بحوافرها فتبدو منها النار — على التشبيه بإيراء الزناد — .

ورقّ الحُـــداةُ لإنصاتِهِـــم (١) فأبدلْنَها بالســـياطِ النَّـــغَمْ
لقد كذبَ الفألُ لمـا زجرتُ ظباءَ "سُليمٍ" "بوادى السَّلَمْ" (٢)
فما كنَّ إلا الجوى والأسى وطولَ السهـادِ وفرطَ السَّقَمْ
أترجو لمن قـــد هَوِى صحّـةً وما علّـــةُ الحبِّ إلا لَمَـــمْ؟ (٣)
ولمـا رأى البُرءَ فى عَـــذْله رماه الهـوى بالعمَى والصَّمَمْ
تظنُّ السحائبَ أجفـانَهُ لو أنَّ السحائبَ تهمى بدمْ
ولولا الغـــرامُ لمـا شاقَـــه حَمـامٌ دعَا أو غـــزالٌ بَغَـمْ (٤)

* * *

وقال ولم يتمّها :

غداً تراهـا جُنّحاً على "الغضا" تطلُب عهدا من زمان قد مضَى
ما بالهـا خاشعـــةً أبصارُهـا إلا اذا برقُ "العقيق" أومَضـا
مُروعـــة تحسَبُ فى هـاماتها صـــوارما منـه عليهـا تُنتضَى
حنّتْ إلى ركب "الحجاز" تشتكى إليه من أهلِ "الغَديب" مَرَضا
مالكَ فى الركبِ غريمٌ ماطلٌ؟ بلَى، على الحىّ ديونٌ تُقتضَى
قال : وهل ترجو الوفاءَ عندهم كأنهـا على الأجَلّ "المُرتضَى" (٥)

(١) فى الأصل «لأنصابهم» وهو تصحيف . (٢) فى الأصل «ووادى السلم» وهو تحريف .
(٣) اللمم : الجنون . (٤) البغام : صوت الظبى . (٥) الهاء فى كأنها عائدة الى الديون فى البيت السابق .

* * *

وقال :

وقائلٍ : لِمْ هجرتَ الشعرَ من زمنٍ ... فقلتُ قولَ امرئٍ من خيرِهِ يئِس :

رأيتُ هجوى أناسا معجزا لهـــمُ (١) ... وخاب مـدحى فبعتُ النُّطقَ بالخرس

* * *

وقال :

قل "لابن قُـرّانٍ" مقالةَ ناصحٍ : ... أخطأتَ حين نكحتَ حُوراً عِينا

عَلِقتْ حِبالُك ظبيـةً وتركتَها ... وكأنهـا لم تحـــو منك قرينـا

تالله أقسم أنها إن لم تعُـدْ ... بعـــدَ البَكارةِ لاقـا ولَبـــونا

تَركتْكَ كالسّم أبيـــكَ تفتَحُ فاهُهُ (٢) ... وتزيـــدُ فيه بعـــد راءٍ نـونا

* * *

وقال وسُئل عملَ أبيات فى النارنج :

إذا فُتِنَ الإنسانُ يوما بمنـظَرٍ ... فإنى إلى النـارنج مائلةٌ نفسى

تظنُّ السماءَ خُضرةً شجـراتِهِ ... وتحسَبه ما بينهـا كُرةَ الشمسِ

* * *

وقال يُلغز بجَرّة :

ذاتُ أيدٍ ثلاثةٍ أبـدَ الدهـ ... ـرِ ترى فـوقَ رأسِها أيديها

---

(١) كذا بالأصل ويحتمل أن تكون "مفخرا" .

(٢) يريد أن اسمه يصير «قرنان» وهو بمعنى الديوث — وهو الذى يرى الريبة على أهله فيغض عنها —

شرِبَتْ ماسقيتَها من شراب ثم تسقيكَ مثـلَ ما تَسقيهـا
خَـرْتُ[1] آذانها مَغابِنُ[2] أيديـ ـها ويافُوخها مقـرٌّ لفِيهـا

* * *

وقال يهجـــو :

قالوا : "ٱبن مالكَ" قَرنانٌ فقلت لهم : كذبتُمُ وأثِمـتم بل لـه ذَنَبُ
لو كان يملِك قرنا كان ينطح عن شاةٍ له كلُّ تيسٍ فـوقَها يثبُ

* * *

وقال :

عيوبٌ "لٱبن مالكَ" قد كفَتنى عَنـاءَ الذمِّ فيـه والأهـاجى
بـلى ! قالوا : له جارٌ جرئٌ على نِسـوان عمال الخـراج
وليس بطـالبٍ منهنّ شـيأ سوى طلب الديوك من الدَّجاج
لـه رمحٌ بأسـفلِ حالبيْـهِ يجيد الطعنَ فى يوم الهياج
وقد نقَهتْ عليه عِرسُ "يحيَى" على وجه التداوى والعـلاج
لأنَّ بهـا على ما قيـل يَبْسا وأنّ صـديقَها رطبُ المِزاج
فحـاز النَّيـكَ رِحْمٌ فيلسوفٌ بـبرهانٍ صحيـحٍ واحتجاج
فـلا تفْرِر[3] بهـا شرقا وغربا فمـا أحدٌ من الحـدثانِ ناج

---

(١) الخرت : الثقب . (٢) المغابن : الآباط ، واحدها مغبن — بكسر الباء — .
(٣) فى الأصل هكذا « تعرر » .

* * *

وقال :

"ليحيَى بن عبدالله" عِرسٌ كريمةٌ تعاتبُـه أن صاغـــه اللهُ ساقطا

فما يمنعُ البطنَ الخميصةَ زانيًا ولا يحـرِمِ الظهـرَ الموطَّأ لائطا

فأىّ سـبيليْها أراد سلوكَه أصاب له فيـه شريكا مخـالطا

ولو حَمَل "الثَّورُ"(١) السمائِيُّ قَرنَهُ لحرَّمن الأفلاكِ بالأرض هابطا

ومن كان ذاك الوجهُ مِرآةَ وجهِهِ فلا نُكرَ أنْ يُمسِي ويُصبحَ ساخطا

عَبوسٌ تظلُّ العينُ منـه قريحةً كأنّ عليـــه للقَتادةِ(٢) حائطا

ألا ضـلَّةً للقـــوم ردُّوا ولايةً اليـك ولو كانت تُغِـلُّ قَرارِطا(٣)

فما آستحفظوا إلا ذؤيْبا مُغاورا وما آستودعوا إلا لُصَيْصا مغالطا

فلا تبتهج بعاجل الأمر فيهـمُ فسوف تَرى فى أخدَعيْكَ(٤) المَشارِطا

سـتلقَى أليمَ الأخذ للعظم كاسرا وللّحم مِنضاجا وللجِـلد سامِطا

وإن تنجُ لا يُنجيك من سطواته بنفسك إلا أن تُحِلَّ الخرائطا(٥)

---

(١) يريد برج الثور، — وهو أحد البروج التى تنزلها الشمس — .

(٢) القتادة : شوك شجر صلب كالإبر . (٣) قرارط : جمع قيراط — كمفتاح ومفاتح — والقيراط بمكة ربع سدس الدينار، وفى العراق نصف عشره، ويستعمل القيراط أيضا فى المساحة وقد جعل دستورا فى الحساب، فإنهم يقسمون المتجزئات الى أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له نصف وثلث وربع وسدس وثمن صحاح من غير كسر فيطرد التقدير به . (٤) الأخدع : عرق فى الرقبة إذا قطع لا ترجى بعده حياة . (٥) الخريطة : وعاء من أدم يتبرج على ما فيه .

فأعدِدْ لهم ما خنتَ فيه سواهُمُ وعَدِّك[1] ، لم تنظر بعينيك "واسطا"

ويا بَرْدَها عند الفؤادِ بأن تَرى على قارعاتِ الطُّرْق كفّيك باسِطا[2]

* * *

وقال :

يا دُرَّة البحر لو أنصفت نفسك ما جعلتها سِـــلكَ دُمـلوجٍ[3] وخَلخالِ

كم ذى حُلِيٍّ وقد أزرَى به عَطَـلٌ وعاطل ليس يدرى أنـــه حالِ

لولا الهوى لم يبتْ سكّانُ "كاظمةٍ" ممّن منـازلهم "حِجْـرٌ" على بالِ

* * *

وقال :

علَى مَن تبيعُ متاعَ الأدبْ وتنثُرُ دُرَّ كلام العـــرَبْ؟

ومن يستحقُّ حُلِيَّ المديح يصاغُ له كحُـلِيِّ الذهبْ؟

* * *

وقال :

سَنَحْن كما اعترضَ الربربُ[4] ولكنَّ صـدَّهمُ أعجبُ

وجوهٌ ترقـــرقَ ماء الجمـا لِ فيهنّ لو أنّه يُشـــرَبُ!

---

(١) عدك : اصرف نفسك . (٢) يريد أنها تراه متسولا . (٣) الدملوج : حلية كالسوار تلبس فى الذراع . (٤) الربرب : القطيع من الظباء .

وقال :

ولـيـلةٍ قد نسجَتْ ريحُها غـــيما به آفاقُهـا تكتسي

ما زال يطوى النجمُ أخبارَهُ فيها عن الناظر حتى نُسِي

خلنا بها الأرضَ سماءً وقد أُطلعَ فيهـا أنجمُ الـنرجسِ

وقال :

عَذبٌ من المـاءِ قد سُدّتْ مواردُه سـيّانِ واجدُ ممنـوع وفاقـدُهُ

تجفو تعـذُّرَ حبٍّ لست تُبصرهُ والمُـرُّ حِرمانُ محبـوبٍ تُشاهـدُهُ

أرخى ذوائبَـه دونى يُشكِّكُنى أَهْى التى ســـترتهُ أم ولائـــدُهُ؟ ! (١)

فليت قَدْ قَدَّ من جفـنى براقعَـه و إن كفَى فُصِّلتْ منـهُ مجاسِدُه

القدُّ والخصر والطرفُ الكحيلُ له فكيفَ يُغلَبُ مَن هذى مَكايدُهُ؟ !

وما أردتُ ســـلُوّا عن محبّتـــه إلا وقلـبى على كُلِّى يُساعـــدُهُ

وقال :

يا حسنَ مَغداكَ وطيبَ الرواحْ ذاك هو السـعىُ وهـذا النجاحْ

مـــذ زجَروا فألَك أعلمتُهـــم إمساكَ أيديهـم عنانَ القِـــداحْ

---

(١) ولائد : جمع وليدة وهى الأمة .

وقال :

قـد عاد بدرُ الدجى الى فلَكِهْ يغسِلُ وجهَ الظلام عن حَلَكِهْ
سَرَى وأفراسُـــه مطالعُـــهُ ونَقعهُنَّ المُثارُ من حُبُكِهْ (١)
فاقتنَص المجـدَ فوق عاتقِـهِ وآستأسر المكرماتِ فى شَرَكِهْ
أهدىَ به الفضلَ والسماحةَ وال عزمَ "إمامُ الهدَى" الى مَلِكِهْ

وقال :

شَككتُ وقـــد زارنى غَلطةً أفى يقْظـةٍ ما أرى أم مَنـامْ؟!

وقال :

تسعَى بنا قدمُ الرجاءِ وما الذى يُغنِي إذا قَعدتْ بنا الأرزاقُ!!

وقال :

قومٌ كئوسُهمُ السـيوفُ وخمـرهُم ما آستَخرجتْ من شاخِبِ الأوداجِ (٣) (٢)

(١) الحبك : الطرق . (٢) الشاخب : السائل . (٣) أوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق إذا قطع لاترجى بعده حياة .

وقال :

لا يهُنْ عندك اختلالٌ بجسمى فقِـــوامُ الأرواحِ بالأجسامِ

وقال :

ما يصنَعُ المستِرُّ[1] بالغـابِ صُـــنعَ ظِباءٍ وراءَ أطنـابِ[2]

جفـونُ هذى باللحظِ تُرسلُها أقتـلُ مِن ذا بالظُّفْرِ والنابِ

انتهى

---

(١) المستر : المختفى ، — ويريد به الأسد — .

(٢) أطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

هـــذا آخر ما وجد بالنسخة المخطوطة

* * *

"قال عبدُ الله بن إبراهيم الخِيرى : هذا آخر ما وُجِدَ من شـعرِه ؛ وكان رحمه الله يقول :

إن أكثرَ شعرِه ضاعت مسوداتُه فى النُّهوبِ والاختلافاتِ ؛ وما كان سبب جمعِه غيرى ، وكان رحِمه اللهُ كلَّما عمِل بعد ذلك قصيدةً يُنفذها الىّ ، ويقرؤها علىّ ؛ والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلاتُهُ وسلامُهُ على محمدٍ النبىِّ الأمىِّ وآلِهِ الطاهرين أجمعين" .

* * *

كتبها بخطه لنفسه محمود سامى الشهير بالبارودى
من دار الكتب الشهيرة بطوپ قپوسراى
بدار الخلافة العلية بالقسطنطينية
فى شهر رمضان سنة ١٢٨٥ من
نسخة بخط ابى على
الحسن ابن على
كتبها
سنة ٥٢٦

وقد تم نسخها فى ستة ايام لضيق الوقت

إحـــتمال

نضع فى هـذه الصفحة بعضَ آحتمالاتٍ على سبيل المثال مما ورد فى هـذا الديوان لطائفةٍ من الكلماتِ التى تحتملُ وجها آخرَ غير جازمين بها إلا على وجه هذا الأحتمال وللشعر وجوه :

صفحة	سطر	
٢	٨	أعراس — يحتمل فيها فتح الهمزة على أنها جمع ، وكسرها على أنها مصدر .
٣٣	٣	محلّق — كذا بالأصل ، ومن قراءة البيت يجوز أن يكون معناه : أن هذا الجواد لا يسبقه شيء حتى الطير المحلق فى مداه ؛ ونقول إن من المحتمل أن يكون " مُخلَّق " بمعنى ممسوح بالخلوق وهو طيب يغلب على أجزائه الزعفران ، وكانت العرب تمسح به على وجه الجواد السابق للدلالة عليه . وكان من عاداتهم أيضا أنهم اذا أرسلوا خيلا على صيد فسبق أحدها خضبوا صدره بدم الصيد بدل الخلوق علامة له .
٣٤	٣	يجنُب — كذا بالأصل ، ونرجح أن تكون "يجلِب" وإن كان للأولى معنى ولكنه غير دقيق .
٤٤	٢	طال — كذا بالأصل وله معنى بعيد ، ونحن نؤثر أن يكون صوابه "حان" .
٥٨	٩	تُزْهَى لَهُ — كذا بالأصل ومختارات البارودى ؛ ويحتمل أن تكون "تُزهَى بهِ" كما يقتضيه الأستعمال الفصيح .
٦٩	١٠	المربع — من المحتمل أن تكون " المرتع " .

صفحة سطر

١٠٩ ٧ إن مرِضتْ ليلةٌ عُمْيٌ كواكبُها — كذا بالأصل ، وهو لا يخلو من معنى ؛ ويحتمل أن يكون :

* إن عَرَضَتْ ليلةٌ عُمَّتْ كواكبُها *

١٧٤ ٨ ليهنِك — كذا بالأصل ويستعملها كثير من الشعراء على زعم أنها صواب ، وقد جاء فى اللسان : « والعرب تقول : ليهنئك الفارس — بجزم الهمزة — ، وليهنيك الفارس — بياء ساكنة — ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة » .

ملاحظـــة

شرحت كلمتان فى هذا الديوان بغير المعنى الذى يقتضيه سياقهما ، الأولى فى صفحة ١٤٢ رقم ٢ من الشرح وهى « السابرى » : الثوب الجيد ؛ وصوابه «الدرع المحكمة النسج» . والثانية فى صفحة ١٥٨ رقم ٧ من الشرح وهى «المزاد» : وعاء يوضع فيه الزاد ، وصوابه : « وعاء من جلد يوضع فيه الماء » .

إســـتدراك

نستدركُ فى هــذه الصفحة أغلاطا وقَعتْ فى هــذا الديوان أثنــاء الطبع ، وهى و إن كانت لا تخفَى إلا أنّنا آثرنا أن ننبه عليها ليرجعَ اليها القارئ فى محلّها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٠	دَهُرِيّة	دُهْرِيّة
٣٤	٤	المُصيف	المَصيف
٣٦	١٢	يزال	زال
٤٩	٧	وحشَ	وحِش
٥٥	٧	ياعزّ	باغَرّ
٥٥	٧	فوق	فَرْق
٥٧	١٠	الصورُ	الصدرُ
٦٨	١٢	أطلال	أظلال
٦٨	١٢	الرجال	الرحال
٧٠	٥	سحابةٍ	سحابُهُ
٨٤	٢	يقطُف	يقطِف
٩٣	٩	مِـ اح	مُراح
١١١	١١	تعرَّضَ	تعرَّضْ
١١٧	٩	مرهم	مَرهم
١١٩	١	أصوم	أحوم
١٣٤	٤	قُطار	قطار

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	٧	قُطار	قِطار
١٤٠	٢	فاعلَى	فأغلَى
١٤٧	١٤	شُمِتَ	شُمِتَ
١٦٠	٤	قَسٌّ	قُسٌّ
١٦٥	٨	يُجْدَع	يُجْذِع (١)

(١) يجذع : يصير جذعا — وهو من الخيل والإبل — ما قبل الثنى .